الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية — كلية : الآداب والعلوم الإنسانية

قسنطينة — قســم: التاريخ

رقم التسجيل: .....

الرقم التسلسلي: .....

# دراسة في برامج ثورات غير الخوارج في العهد الأموي

## 41 - 132 هـ/661 - 750 م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في: التــاريخ الوســـيط

(مـــشرق إســـلامي-تاريخ وحضارة-)

إعداد الطالب: إبراهيم رمـــاش

إشراف الدكتور: محـــمد فرقـــاني

لجنة المناقشـــــة

| الاسم واللقب | الرتبة | المؤسسة الأصلية | الصفة |
|---|---|---|---|
| أ.د/إسماعيل سامعي | أستاذ التعليم العالي | جامعة الأمير عبد القادر | رئيساً |
| د/محمد فرقاني | أستاذ محاضر | جامعة الأمير عبد القادر | مشرفاً ومقرراً |
| أ.د/مسعود مزهودي | أستاذ التعليم العالي | جامعة باتنة | عضواً |
| د/رشيد باقة | أستاذ محاضر | جامعة باتنة | عضواً |

السنـــــة الـــجامعية: 1430-1431هـ/2009-2010م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾

**سورة المائدة: الآية:32**

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾

**سورة القصص: الآية:5**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الإهداء

إلى التي أضاءت لي درب الحياة ...أمي ، وإلى صاحب القلب الكبير والصبر الطويل...أبي

إلى من تقاسمت معهم هموم الدنيا وأفراحها.... أخوتي الأعزاء

إلي من افرح بلقائها و أتألم لفراقها .... إلى رفيقة الدرب....زوجتي

إلى من كانوا دعما وسندا لي في بحثي....أبنائي الأعزاء

إلي الأصدقاء الذين شجعوني على المواصلة وأسدوا لنا الكلمة الطيبة والنصيحة النافعة

أهدي باكورة عملي وعصارة فكري وجهدي وجزيل شكري.

*رماش إبراهيم*

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# شكر وتقدير

الحمد لله الذي وفقني لانجاز هذه الرسالة ،رافعاً إليه جلّ وعلا آيات الحمد والثناء لما أمدني به من قوة كانت هي عوني في متاهات هذا البحث.

أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الكريم"الدكتور محمد فرقاني " مشرفاً ومعلماً وعالماً ،الذي بصّرني بنور بصيرته ،وصفاء فؤاده، ووجهني توجيه الأستاذ لطلبته،فلم يبخل عليّا يوما بنصائحه وتوجيهاته، رغم كثرة التزاماته ومسؤولياته أتقدم له بخالص الشكر وعميق الامتنان،وفائق التقدير والاحترام،متمنياً له دوام الصحة والعافية،والمزيد من النجاحات والإصدارات التاريخية

وأتقدم بالشكر إلى كل أساتذتي في قسم التاريخ

وكل الشكر والتقدير إلى جميع العاملين في الإدارة ومكتبة جامعة الأمير عبد القادر لما قدموه من مساعدة وخدمات.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أوجه شكري وامتناني إلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة من زملاء وأساتذة وأصدقاء.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**مـــقدمة**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد الهاد ي الأمين ومن اتبع هداه وأستن بسننه إلى يوم الدين وبعد.

جاء تأسيس الدولة الأموية في ظروف غير عادية، كنتيجة لتلك الخلافات والصراعات بين معاوية والإمام عليّ-رضي الله عنهما-،مما عرض قيامها بعد ذلك لهزات سياسية عنيفة ، كادت أن تقوض أركانها في شتى أقاليمها، خاصة وأن الثورات التي ظهرت أيامها رسمت لنفسها برنامجا سياسيا متكاملا تمثل في وضع جملة من النظريات والأفكار والخطط ، والعمل على تنفيذها ميدانيا إن أمكن ذلك ، وصولا إلى إسقاط الحكم الأموي ، وإقامة بديلا له ،يرضي كافة أطياف المعارضة المتمردة والثائرة على الخلافة الأموية.

تكمن أهمية هذا الموضوع" **دراسة في برامج ثورات غير الخوارج في العهد الأموي 41-132هـ/661 - 750م**" في كشفها عن جانب هام من برامج الثورات الرئيسية ،والأكثر تأثيراً عن غيرها من الثورات في المشرق الإسلامي ،سواء كان ذلك في مطالبها الدينية أو السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية التي كانت وراء ميلاد الفكر السياسي المناوئ للسلطة ولأدوات تنفيذها، وما لها من تأثير على تطوير أدوات السلطة وتركيزها في إدارة شؤونها الداخلية وصد تحركات المعارضة في وقتها المناسب، وردعها وقمعها.مما أدى إلى تشكل المعارضة السياسية الفعلية،الرافضة للنهج السياسي الأموي، خاصة جماعة الشيعة(العلوية)وأنصار الزبير،وجماعة القراء والعلماء. يضاف إلى ذلك إبراز المحاور الهامة من برامج الثورات ومدى التقارب فيما بينها ونقاط القوة والاختلاف والأكثر تأثيرا على السلطة الأموية.

إدراك المطامح والبرامج الخلفية للثورات وعمق مطالبها التي هي بمثابة طرح لنظام بديل للحكم الأموي،ويساير الشرعية الدينية الإسلامية،مع تطوير الممارسة السياسية وفق المستجدات الإقليمية والمحلية والاجتماعية والاقتصادية. إلى جانب الوقوف عند أسباب التمزقات الحزبية السياسية التي برزت على الساحة الإسلامية وعمل بنو أمية على إخمادها ومعالجاتها بالقوة تارة وبسياسة الاحتواء تارة أخرى حفاظا على وحدة وقوة الأمة.

**أما دوافع اختيار الموضوع فمنها الخاصة والعامة.**

**الخاصة:** تعود إلى الأستاذ المشرف الذي اقترح عليّ هذا الموضوع " برامج ثورات غير الخوارج في العهد الأموي".ووجدت فيه رغبة تدفعني للبحث عن مستجداته التاريخية.

**العامة:**– اهتمامي المبكر بالتاريخ الأموي لما لهذا التاريخ من أهمية في تطور مسيرة تاريخ الدولة الإسلامية، وإبراز جانب من تاريخ المعارضة الثورية للدولة الأموية وبرامجها المتنوعة الفكرية منها والسياسية، وما لها من تأثيرات ايجابية وسلبية طيلة العهد الأموي ( 41- 132هـ/661-750م) ، خاصة على نضج الفكر السياسي والديني، وتطور أدوات الممارسة السياسية والإدارية الأموية،وإلى أي حد كانت سلبيات السياسة الأموية سببا في تأجيج العمل الثوري المعارض في كل الجبهات.

–التعمق أكثر في دراسة التاريخ السياسي والديني لفترة صدر الإسلام.

–التأثر بشخصية معاوية السياسية القوية المرنة المتزنة التي عرفت كيف تسيّر الأحدا ث التاريخية وفق الواقع المحيط بها وصولا إلى ترسيخ سلطة الدولة الإسلامية ومركز قرارها في منطقة جديدة تصدت لكل المحن المحاكة ضدها، وصمدت في وجه الثورات المتعددة التي حاولت مناهضة المسار السياسي الأموي والتشكيك في مصداقية رجالها.

وتتمثل **أهـــداف الدراسة** أيضا في فتح مجال واسع لدراسة برامج الثورات في الدول الإسلامية المتعاقبة عبر التاريخ، خاصة الدولة العربية الإسلامية بمفهومها الواسع، لما لهذا الجانب من أهمية في تثبيت بعض الأطروحات التاريخية ونفي البعض منها، وبالتالي إعادة كتابة تاريخ هذه الثورات وبرامجها وفق منهج سليم.

تتجلّى **إشكالية موضوع الثورات في العصر الأموي** بين واقعية برامجها الفكرية السياسية المثيرة وتأثيراتها العميقة والمختلفة،سواءً كان ذلك في الفكر السياسي والديني، ومن هنا تطرح تساؤلات كثيرة:

ما دوافع وأسباب ظهور هذه الثورات؟ وما هي برامجها الفكرية والسياسية؟ ما هي الوسائل التي اعتمدتها في تجسيد بعضها على أرض الواقع؟ وما هي الصعوبات التي اعترضتها ؟ وما نتائجها؟.

أما **بالنسبةللدراسات السابقة** حول الموضوع حسب اعتقادي وفي حدود معرفتي واطلاعي لم تسبقها دراسة تحت هذا العنوان بالضبط، إلاّ إذا وجدت و لم أتصل بها.

وتوجد بعض الدراسات بعناوين مختلفة ركزت على المعارضة السياسية الأولى في صدر الإسلام، خاصة أحداث السقيفة وما نتج عنها من خلاف بين الأنصار والمهاجرين، إلى جانب فتنة مقتل عثمان والخلاف بين علي ومعاوية-رضي الله عنهما- وبداية التمزق للمسلمين،وظهور المعارضة السياسية الحزبية في الإسلام،ودراسة بعض هذه الثورات دراسة عامة، أما التركيز على برامج الثورات في العهد الأموي يكاد يكون منعدم.

وللإجابة على تلك الإشكالية التي تتمحور حولها العديد من التساؤلات اتبعت كل المناهج التي تقتضيها طبيعة هذا الموضوع منها:

**المنهج التاريخي الوصفي** ،الذي يهتم بوصف الأحداث وتسلسلها تسلسلا كرونولوجيا في الزماني والمكان،لأن موضوع هذا البحث جملة من ألأحداث الخاصة بالثورات التي لا تتضح معالمها ،إلاّ بتفاعل جميع عناصرها،كوصف لبعض أحداث تلك الثورات وأساليبها ونتائجها.

**أما المنهج التحليلي التاريخي** النقدي ،اعتمدته في دراسة المادة العلمية ونقدها وتحليلها،بحثاً عن حقيقة التطور لهذه الثورات في هذه الفترات بالذات، واستنتاج أسباب القوة والضعف فيها.

**أم المنهج المقارن** فقد اعتمدته لمعرفة أوجه الشبه والاختلاف ،والتداخل بين برامج الثورات ، أو لإبراز الاختلاف بينها.

ومن هنا يمكن القول أن حركية أحداث وتشابكها،تتطلب منا التحليل والتعليل والمقارنة والاستقراء، ويكون هناك تزاوج بين بعض المناهج،حتى تكون دراستنا في مستوى الحدث، وحتى لا نصل إلى نتائج سطحية،بل نعيد بناء الماضي بكل أسبابه ونتائجه، الظاهر منها والخفي وبكل موضوعية.

**أما الصعوبات التي واجهتني** أثناء انجاز موضوعي هي:

شمولية الموضوع-برامج الثورات-لفترة زمنية طويلة مليئة بالأحداث الهامة التي كانت وراء تطور سيرورة التاريخ الإسلامي،والغنية بمعلوماتها،وأفكارها الدينية والسياسية،وحساسية فترتها التاريخية،مما جعلني أحطاط كثيرا عند أخذ أي معلومة وفكرة ،تجنبا للشبهة.يضاف إلى ذلك أن المصادر التاريخية، تختلف الروايات في بعض أجزائها من مصدر إلى أخر ،هذا ما جعلني أعتمد الروايات المجمع عليها في غالبية المصادر.

**دراسة مصادر ومراجع البحث:**

اعتمدت في كتابة هذا البحث المتعلق بـــ" **دراسة في برامج ثورات غير الخوارج في العهد الأموي**"على مصادر أسياسي متنوعة،ومراجع ،يمكن تصنيفها على النحو التالي:

**أولاً:المصادر التاريخية.**

**أ-كتب الإخباريين:** تفيدنا من ناحية التطور التاريخي لإحداث الثورات والأسباب التي كانت وراءها وما ترب عنها من نتائج . وتأتي معلوماتنا التاريخية الأولى عن الإخباريين الذين كانوا رواد الكتابة التاريخية منهم:

1-نصر بن مزاحم بن سيار المنقري الكوفي ( ت 212 هـــ ) حيث يزودنا كتابه « صفين » بمعلومات وافية عن وقعة صفين،و تعد من أقدم المعلومات التاريخية التي اعتمد عليها البلاذري والطبري ، إذ يظهر لنا أنصار عليّ وشيعته في تلك الموقعة ودورهم فيها وتطور الأحداث حتى خروج الخوارج .

وما يؤخذ على نصر أنه ذو ميول علوية في روايته لأحداث صفين كما تظهر ميوله العراقية،فهو كوفي كما أنه شيعي ، ذكره ابن النديم في الفهرست [1].

2- ومن المؤرخين الأولين الذين تناولوا أحداث الثورات وتطورها أبو حنيفة الدينوري ( ت 276 هـــ) في كتابه « الأخبار الطوال » فالبرغم من الانحياز في الكتابةللعلويين ، فقد أورد معلومات وافية عن خلافة عليّ بن أبي طالب وحرب الجمل وصفين ، كما ذكر أخبار الحسن بن عليّ وتنازله والحسين ، ثم يذكر أخبار المختار بن عبيد الثقفي بشيء من التفصيل ، يليه ثورة ابن الأشعث ويزيد بن المهلب ،ثم يعطي معلومات عن الدولة العباسية ، وبدء الدعوة ودور أبو مسلم إلى نهاية مروان بن محمد وقيام الدولة العباسية ،والمعلومات التي يوردها الدينوري ذات أهمية تاريخية للمؤرخ.

3- ويعطينا أحمد بن يحي بن جابر البلاذري ( ت 279 هـــ ) في كتابه « أنساب الأشراف » معلومات مفصلة عن ثورات الشيعة والفقهاء ،وكذا أحداث الدعوة العباسية، فيبدأ بذكر أخبار عليّ بن أبي طالب، ووقعة الجمل وصفين وتتصف أخباره بكونها مفصلة فيذكر قصة مقتل عليّ ثم يذكر أولاد عليّ، فيذكر أخبار الحسن ويتكلم عن الحسين وأولادهم، لأنه لا يلتزم بالتسلسل التاريخي وإنما يسير في ذكر الأخبار على الأنساب فيبدأ بالنبي صلّى الله عليه وآله وسلم ،والعلويين ثم العباسيين ويتبعها بذكر أخبار الأمويين .

و يذكر أخبار الحسين ومقتله بشيء من التفصيل ثم يتكلم عن زيد بن عليّ وثورته وأخباره ، كما يورد أخبار المختار بن أبي عبيد الثقفي ويتكلم عن العباسيين فيذكر العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله بن العباس ثم محمد بن عبد الله ويذكر انتقال الخلافة إلى بني العباس والكلام عن الدعوة العباسية وسير أحداثها ،وأنه بعيد عن التشيع.

وفي كتاب فتوح البلدان يرد نفس الأحداث السابقة ولكن بشيء من الاختصار.كما يذكر بشيء من التفصيل أحداث باقي ثورات العلماء والفقهاء على رأسها ثورة عبد الله بن الزبير ،وابن الأشعث ويزيد بن المهلب.

4-ويأتي بعد هذا أحمد بن يعقوب بن أبي جعفر بن وهب بن واضح الكاتب الإخباري ( المشهور باليعقوبي ) المتوفي سنة 282 هـ فيقدم معلومات هامة عن تاريخ الشيعة ، وكان اليعقوبي مولى لبني العباس وكان جده من موالي أبي جعفر المنصور ولكن بالرغم من صلته بالعباسيين لم يستطع أن يخفي ميوله العلوية في كتاباته ، إلاّ أنه كان معتدلاً فقد ،أورد أحداث خلافة عليّ وحروبه في الجمل وصفين ، ثم خلافة الحسن وأخبار الحسين والتوابين والمختار كما تكلم عن ثورة عبد الله بن الزبير وابن الأشعث ويزيد بن المهلب والدولة العباسية وبدء الدعوة وأخبار الشيعة مع العباسيين إلا أن الأخبار التي يذكرها مختصرة تمشياً مع الخطة التي التزمها في الإيجاز .

5-أما محمد بن جرير الطبري ( ت 310 هـ ) فيزودنا تاريخه « الرسل والملوك » بمعلومات عن الثورات وبرامجها وتطورها وتمتاز معلوماته بكونها مأخوذة من مصادر متعددة ويروي الحوادث بشيء من التفصيل،مع أنه لا يعطي رأيه في الأحداث التي يرويها إلاَّ أنه انتقى من الروايات الكثيرة التي توفرت له .

ويورد لنا الطبري معلومات مفصلة عن وقعتي الجمل وصفين وهو في هذا يأخذ معلوماته عن رواة عراقيين. ومع أنه اعتمد بالدرجة الأولى في الجمل على أبي مخنف وفي صفين على نصر بن مزاحم . ويبدو أن الطبري يهتم اهتماماً كبيراً بالثورات فيعطي أهمية لثورة الحسين ويشرحها بالتفصيل معتمداً في روايته لأحداثها على أبي مخنف وكذا في حركة التوابين والمختار وتتشابه معلوماته مع معلومات البلاذري في هذه الفترة .ويتحدث الطبري بشيء من التفصيل كذلك عن ثورة عبد الله بن الزبير وابن الأشعث ويزيد بن المهلب، وعن الدعوة العباسية،وسير مراحلها.

6- أما أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ المسعودي ( ت 346 هـ ) فيعطي في كتابه « مروج الذهب ومعادن الجوهر »جملة من الأحداث الهامة والمختصرة،ويمتاز المسعودي بأنه ينفرد بذكر أخبار لا

ترد عند بقية المؤرخين [1]،إلاّ أن أخباره مختصرة ،ونفس الشيء في كتابه «التنبيه والإشراف» .

7- أما طاهر المقدسي ( ت 355 هـــ ) فيورد في كتابه « البدء والتاريخ » معلومات أخبار خلافة عليّ والحسن ومقتل الحسين والمختار وكذلك أخبار عبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الأشعث ، ويزيد بن المهلب،والدعوة العباسية،إلاّ أن الأخبار التي يذكرها مختصرة .

8- ويعطينا أبو الفرج الأصفهاني ( ت 356 هـــ ) معلومات وافية ومفصلة عن آل أبي طالب ومن قتل منهم في كتابه « مقاتل الطالبيين » وقد قسم الأصفهاني كتابه إلى أقسام فذكر من قتل من آل أبي طالب في بدء الإسلام ثم من قتل منهم في أيام الدولة الأموية وأيام الدولة العباسية ، وهو في ذكر هذه الأخبار لا يقتصر على ذكر مقاتل آل أبي طالب وإنما يورد ترجمة لكل من قتل منهم مع ذكر أخباره ونسبه وسبب قتله وما قيل فيه من المراثي والأشعار ، فهو تاريخ لآل أبي طالب في أيام الأمويين والعباسيين كما أنه يكشف عن العلاقة بين فرعي الهاشميين العلويين والعباسيين .

9-أما « أخبار العباس وأولاده » مجهول المؤلف ، والكتاب يبدأ بذكر العباس وأولاده ومنزلته من النبي، ثم ذكر أولاد العباس والكلام عن عبد الله بن عباس ومنزلته وعلمه وأخباره مع الأمويين . ويذكر أخبار الإمامة ويقصد بها إمامة آل العباس وكيفية انتقالها إليهم عن طريق محمد بن الحنيفة مع ذكر ثورة زيد بن عليّ وموقف آل العباس منها . وهذه المعلومات غير متوفرة في كتب التواريخ الأخرى ولا سيما في أخبار الدعوة العباسية فيذكر أسماء الدعاة العباسيين وأسماء النقباء وأساليب الدعاة كما أنه يجعل بدء الدعوة بفترة أسبق مما جعلها الطبري وبقية المؤرخين وينتهي إلى انتقال الخلافة إلى العباسيين وتولي السفاح الخلافة .ويبدو من المعلومات التي يزودنا بها صاحب الأخبار أن له صلة بآل العباس لأن المعلومات التي يرويها لا يمكن أن يذكرها إلاّ من كان مطلعاً على الدعوة أو أحد رجالها . وبعض رواياته متقاربة مع البلاذري.

10-وذكر محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري ( ت 630 هـــ ) في كتابه « الكامل في التاريخ » نفس الأحداث التي أوردها الطبري وسار على طريقته في ذكر الحوادث مع إضافات، وقد ذكر ذلك في خطبة كتابه حيث يقول : « إني قد جمعت في كتابي هذا ما لم يجمع في كتاب واحد ... فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنفه الإمام أبو جعفر الطبري إذ هو الكتاب المعول عليه عند الكافة ... فأخذت مافيه من جميع تراجمه و لم أخل بترجمة واحدة منها وقد ذكر هو في أكثر

[1] مروج الذهب :3/83 ــ 84 في كلامه عن المختار حيث يعدد فئات غير موجودة عند كتاب الفرق،انظر نفس المصدر 3/ 220.

الحوادث روايات ذات عدد كل رواية منها مثل التي قبلها أو أقل منها ، وربما زاد الشيء اليسير أو نقصه فقصدت أتم الروايات فنقلتها وأضفت إليها من غيرها ما ليس فيها »[1].

11- ويروي ابن الطقطقي ( ت 709 هـ ) في كتابه « الفخري في الآداب السلطانية » أخبار عليّ بن أبي طالب والأمويين وأخبارهم مع العباسيين ، وهو في روايته للأحداث لم يستطع أن يخفي ميوله العلوية.

12- أبو الفدا ( ت 732 هـ ) يذكر في كتابه « المختصر في أخبار البشر» خلاصة عن ما أورده من سبقه من المؤرخين .

13-ويعطي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ( ت 748هـ ) في كتابه « تاريخ الإسلام» تراجم للصحابة ويذكر بعض الأخبار التي لها علاقة برجال الثورات، ويأخذ عن الطبري ونفس الشيء في سير أعلام النبلاء.

14-ويسير ابن كثير ( ت 774 هـ ) في كتابه « البداية والنهاية في التاريخ » على طريقة الطبري وابن الأثير في روايته للأحداث ويأخذ عن الذهبي في بعض الروايات .

15-ابن خلدون ( ت 808 هـ ) يسير على طريق يختلف عن بقية المؤرخين فهو لا يكتفي بسرد الحوادث وإنما يحاول أن يجد فلسفة وأسباباً للأحداث ، فيذكر في مقدمة كتابه « العبر وديوان المبتدأ والخبر » فصلاً عن الملل ويتحدث عن الشيعة وبداية ظهورهم وسبب ظهور الفرق ثم يورد في العبر الأخبار الواردة عند المؤرخين،ويذكر أحداث الثورات بشيء من الدقة مع بعض الاختصار.

**ب-كتب الطبقات والأعلام** التي تروي أخبار الصحابة والتابعية،ورجال الأعلام،والتعريف بهم،منها:

1-الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد كاتب الواقدي ( ت 230 هـ ) فقد ترجم لعليّ بن أبي طالب ولمحمد بن الحنفية ، وعبد الله بن الزبير، وأهمية كتاب الطبقات ترجع لقدم فترته ويلاحظ أنه لم يترجم للحسن ولا للحسين .

2- وترجم أبو نعيم الأصبهاني ( ت 430 هـ ) صاحب « حلية الأولياء » للحسين ورجال ثورات الشيعة ، ودعاة العباسيين.

---

[1] الكامل في التاريخ 1/ 5.

3-وتكلم ابن عبد البر ( ت 463 هـ ) في كتابه « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » عن قادة ثورات الشيعة وعبد الله بن الزبير ويزيد بن المهلب،وكانت ترجماته مركزة ودقيقة.

4-وذكر ابن الأثير ( ت 630 هـ ) في « أسد الغابة في معرفة الصحابة » أخبار رجالات الثورات التي تناولناها مع الاختصار في بعضها.

5-وذكر أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ( ت 681 هـ ) في كتاب « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » أخبار قادة الثورات التي تناولناه مع الشرح لأهم أحداثها،نفلاً عن الطبري ومن سبقه.

**ج- أما كتب الفرق:** فتبحث في تكوين الفرق ،وفكرها ،يأتي على رأسها:

1- سعد القمي أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي ( 310 هـ ) فذكر في كتابه « فرق الشيعة » المذاهب خاصة الشيعة وتفرقها لاختلاف الرؤية لأئمتها،خاصة حول الإمامة، ويتقارب في طرحه مع تلك الأخبار التي أوردها أبوسعيد نشوان الحميري في كتابه الحور،مع بعض الإضافات القليلة والاختلاف في الأسلوب .

2-كتاب « الفرق بين الفرق » ويتحدث عبد القادر بن طاهر بن محمد البغدادي ( ت 429 هـ ) في كتابهعن الشيعة وتعداد فرقها واختلافهم حول الإمامة،لكن البغدادي يتصف على خلاف كتاب الفرق بإعطاء رأيه في الحوادث.

3-ويتكلم عبد الكريم الشهرستاني ( ت 548 هـ ) في كتابه « الملل والنحل » عن الشيعة فيتحدث عن الزيدية والكيسانية والإمامية وفرقهم وسبب اختلافهم.

4-ويتكلم أبو سعيد نشوان الحميري ،المتوفي سنة 573هـ في كتابه (الحور العين)على المذاهب خاصة الشيعة وتفرقها لاختلاف الرؤية لأئمتها.

**د-كتب المعاجم والبلدان:** وهي تختص في تحديد المواقع والمسافات والأبعاد بين الأقاليم والبلدان،يأتي على رأسها الحموي ،شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (ت 626هـ /1228م)في كتابه« **معجم البلدان**»،الذي يوضع فيه مواقع المدن والبلدات...

**هـ-الكتب الأدبية:** ذات أهمية كبيرة في تفسير بعض الأحداث وبرامج الثورات ،خاصة وأنها تهتم بالأشعار والنثر وما قاله الخطباء،وبذلك فهي تكمل بعض النقص في الكتب التاريخية، ومنها:

**1-** الجاحظ،عمرو بن بحر(ت355هـ/965م):**البيان والتبيين،ثم كتاب الرسائل.**

**2**–ابن عبد ربه،احمد بن محمد عبد ربه الأندلسي(ت328هـ/940م):**العقد الفريد**.

**3**–النويري،احمد بن عبد الوهاب(ت733هـ/1332م):**نهاية الإرب في فنون الأدب**

**ثانياً:المراجع**:فهي الأخرى كثيرة ومتنوعة،وذات قيمة تاريخية، نظراً لقراءتها التحليلية، والنقدية، وتبسيطها لبعض النصوص المعقدة لغوياً وفكريا،ومن أهما:

1–محمد ماهر حمادة:**الوثائق السياسة** والإدارية العائدة للعصر الأموي.

2–عبد العزيز الدوري :**مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي**،و **العصر العباسي الأول**.

3–يوسف العش:**الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها....**

**أما كتب المستشرقين فمنها:**

1–فلهاوزن،يوليوس :**تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية**.

2–فلوتن،فان:**السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات"المهدية" في ظل خلافة بني أمية**.

وقد وظفت هذه المراجع وغيرها في نقد النصوص والتعليق،واستخلاص النتائج،رغم افتقار بعضها للموضعية.

**خطة البحث** : تتكون الرسالة من مقدمة وفصل تمهيدي ،وثلاثة فصول،كل فصل مقسم إلى أربعة محاور،ثم الخاتمة،وفهرس الأعلام والأماكن والقبائل والأمم والموضوعات.

خصصت **الفصل التمهيدي** لطريقة وصول معاوية إلى الخلافة،والعوامل التي ساعدته على ذلك.

**أما الفصل الأول فكان تحت عنوان برامج ثورات الشيعة** ،تطرقت فيه إلى أسباب الثورات وبرامجها ،وسير تنفيذ البرامج، والنتائج المترتبة عنها،تركيزا على أهم الثورات التي كان لها التأثير على واقع السياسة الأموية، والحركة الفكرية للمعارضة.ومن أهمها، **ثورة الحسين بني عليّ بن أبي طالب** ،التي كانت بمثابة الشرارة التي أوقدت نار الثورات في هشيم الدولة الأموية.وفسحت المجال لتشكل المعارضة الحقيقية في الإسلام، يليها **ثورة التوابين** التي جاءت كرد فعل على قتل الحسين والتوبة عن الذنب ،ورد الاعتبار لشيعة الحسين.

يضاف إلى ذلك ثورة **المختار الثقفي** الذي ثار على ظلم بني أمية ،مستغلاً أنصار الشيعة والموالي لتحقيق برنامجه وأهدافه السياسية ،وكان بمثابة المحرك والمحرض للموالي للثورة على الدولة العربية ،طيلة فتراتها المتلاحقة،لكن المختار لم يحقق طموحه ولا طموح أنصاره من الموالي، وانتهت ثورات الشيعة

بثورة زيد بن عليّ،التي زادت في تأجج الوضع على بني أمية،من الخراسانيين والموالي الساخطين على سياسة العصبية القبلية، فأنفتح الطريق للدعوة العباسية،التي وجدت في قتله والتنكيل به ذريعة لتحريك برنامجها ونشره في الكتمان والسرية التامة.

وركزت على برامج هذه الثورات الأربعة دون غيرها من الثورات الشيعية لشدة تأثيرها على السلطة الأموية،وإشغالها عن أمورها الخارجية،إضافة إلى أنها بلورت الفكر الشيعي المعارض ليني أمية، وفسحت المجال لمشاركة الموالي في المعارضة السياسية،وتقارب محاور برنامجها.

**الفصل الثاني: ثورات القراء والفقهاء وبرامجها**، قسمته إلى ثلاث ثورات ،والتي كانت هي الأخرى من أقوى وأعنف الثورات التي عرفها العصر الأموي ،وما أفرزته،من نتائج على الصعيد الداخلي والخارجي للدولة الأموية،واشتركت هذه الثورات في أهم الأسباب،وعملت على تطبيق نفس البرامج،يأتي على رأسها ،ثورة ابن الزبير بالحجاز والعراق،في إطار ثورة أهل المدينة،المطالبة بعودة عاصمة الخلافة إلى ما كانت عليه في العهد الراشدي ، وكاد أن يقضي ابن الزبير على الخلافة الأموية،هذا ما شجع الطامعين والطامحين للثورة **فكانت ثورة محمد بن عبد الرحمان ابن الأشعث ثم يزيد بن المهلب** في العراق والقسم الشرقي من الخلافة الإسلامية،الناتجة عن مفاسد السياسة الأموية ،وتشددها في قراراتها مع بعض عمالها وقادة جيشها، مما كان لها الانعكاسات العميقة على وحدة صف المسلمين،فبدأ الخرق والفتق والضعف للدولة الأموية.

بينما خصصت **الفصل الثالث لبرنامج الثورة العباسية** ، وقسمته هو ألأخر إلى أربعة محاور أساسية ،ممثلة في أسباب الثورة الناتجة عن مفاسد الإدارة الأموية والتنافس بين العصبيات،وما انجر عن ذلك من تزايد الكره والحقد للعنصر العربي بصفة عامة والأموي بصفة خاصة من قبل الأعاجم،هذا ما ساعد على بروز برنامج الثورة العباسية الذي كان شاملاً للبرامج السابقة،ومن أجل تجسيد مبادئه الرئيسية ركز الدعاة على إقليم خراسان ،أين تتواجد المعارضة القوية،والقيادة الراشدة ،الواعية بمهام المسؤوليات ،وحجم الخطورة، والتي استفادت من أخطاء الثورات السابقة في تنفيذ برنامجها، وجني ثمار الثورة بإسقاط الدولة الأموية وإقامة الخلافة العباسية، والذي تحقق في سنة132هـ /750م.

# الفصل التمهيدي

## عوامل انتقال الحكم من الراشدين إلى الأمويين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## الفصل التمهيدي:عوامل انتقال الحكم من الراشدين إلى الأمويين

لقد استغل معاوية بن أبي سفيان ما حدث من تمرد وعصيان عسكري على الخليفة الراشدي عثمان بن عفان، والثورة على الإمام عليّ بن أبي طالب ،وما ساد من تفرق حول الزعامات الإسلامية، ونفوذه السياسي والإداري في الشام،للوصول إلى الخلافة عبر مايلي:

### 1-استغلال مقتل عثمان وتفرق المسلمين على الزعامات

بعد مقتل عثمان بن عفان اتخذ معاوية من دمِه وسيلة إلى الفوز بالخلافة،مستغلا انزلاق الصحابة للتنافس على منصب الخلافة ،لذلك كان مقتل عثمان حدثا أساسيا حاسما ،لا يكاد يدانيه في خطره حادث أخر في التاريخ الإسلامي، وصار للسيف القول الفصل ، أدى إلى سيل من الأعمال والأفعال المأسوية داخل الخلافة الإسلامية، تسبب في الفتنة والانشقا ق داخل الأمة،وانشقت الجماعات الإسلامية بعده ، وتفرقت شيعا وأحزابا، كل منها يحاول أن يفرض سلطانه السياسي ، وأن يلجأ للسيف تأييدا لإمامه على الإمام الحاكم بالفعل[1].

وأمام الفوضى العارمة ، تقدم الثوار المصريون إلى عليّ لبيعته لكنه اختبأ منهم ، وتبرأ منهم ومن مقالتهم،وطلب الكوفيون الزبير فلم يجدوه،وتبرأ منهم هو الأخر،وكذلك طلحة مع البصريين،ثم عرضوها على باقي الصحابة فرفضوها [2] ،خاصة وأن الخليفة عثمان المقتول لم يوص لأحد ،أو يقترح مجلس شورى لانتخاب الخليفة مثلما فعل أبو بكر الصديق أو عمر بن الخطاب [3] ،لذا اتسعت الانقسامات،وبرزت الزعاما ت السياسية والمذهبية التي استغلتها المعارضة السياسية لتحقيق مصالحها ومطامحها الخفية والعلنية، فكان التمزق للصف الإسلامي والخلاف حول السلطة بين الصحابة وعليٍّ ومعاوية بن أبي سفيان،حتى قال عبد الله بن عمر ﷺ«**وإنما هؤلاء فتيان قريش يقتتلون على هذا السلطان وعلى هذه الدنيا**»[4].

وفي هذا الجو المشحون بالأحداث والتطورات السياسية ، أجتمع أهل المدينة،أهل الحل والعقد للنظر فيما آل إليه وضعها،فقال لهم أهل مصر أنظروا رجلا تنصبونه ونحن لكم تبع ، فقال الناس عليّ

---

[1] فلهاوزن:تاريخ الدولة العربية،ص51، الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي:ص49،

[2] ابن خلدون:العبر،603/2،يوسف العش: الدولة الأموية،ص81.

[3] الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي:ص50.

[4] الأصفهاني:حلية الأولياء،310/1.

ابن أبي طالب،فوافقوا عليه،وجاء هذا بعد تهديدهم بقتل كل من الثلاثة،عليّ وطلحة والزبير، وأناس كثير، ورغم أن الإمام عليّ رفض وأشار باختيار غيره إلاّ أن الثوار أرغموه على قبول البيعة[1].

إذن تولى عليّ بن أبي طالب أمر الخلافة،بعد أن بايعه الناس بيعة عامة [2]، ثم خاطبهم قائلاً: «**أيها الناس، بايعتموني على ما بويع عليه من كان قبلي، وإنما الخيار قبل أن تقع البيعة، فإذا وقعت فلا خيار، وإنما على الإمام الاستقامة، وعلى الرعية التسليم، وإن هذه بيعة عامة، من ردها رغب عن دين الإسلام، وإنها لم تكن فلتة**»[3]،وبذلك حدد الخليفة الجديد موقفه من معارضيه وممن ينكث بيعته،بما فيهم معاوية،لكن البيعة تمت بواسطة أيد غير بريئة من الإثم ،وفيها نوع من التهديد باستعمال السيف من جديد،فساد النفوس الاضطراب ، ولصق بعليّ وبجيشه ومبايعيه الإثم،كما لصق به أن مصدر خلافته يرجع إلى الثورة التي قتلت عثمان، وأن دمه يلحق به، وأن جيش عليّ مكون من قتلة عثمان والمعارضين الأوائل للسلطة الإسلامية عبر التاريخ—الخوارج والشيعة–[4].

وهكذا تحولت البيعة للخلافة من الانتخاب والشورى إلى استعمال السيف والقوة لإجبار الكل على الاستسلام للأمر الواقع وإلاّ القتل،ويوم تغيب القوة وتضعف ينتفض الكل على السلطة، ومن يملك القوة ،يملك السلطة،لذا انتفض طلحة والزبير على الخليفة الجديد عندما شعرا بضعف صفه ، وقلة قوته، وطالبوه بإقامة الحدود على قتلة عثمان ،«**فقال لا قدرة لي على شيء مما تريدون حتى يهدأ الناس وننظر الأمور فتؤخذ الحقوق فافترقوا عنه**»[5]، وكان تأخير إقامة الحدود حفاظاً على صفه ،وتجنبا لثورة القبائل عليه، وبالتالي اتساع هوة الخلاف بين المسلمين،لكن الكل لم يُقدر هذا الموقف للإمام.

## 2–استغلال معركة الجمل وأثرها على صف عليّ

أصبح الخليفة عليّ رضي الله عنه تحت سلطة سيف المعارضين لسلطة عثمان والبيت الأموي، وأصبح الخيار صعبا أمامه لإحقاق الحق، وأمام خاصة وعامة المسلمين للاختيار بين الوقوف بجانب دم عثمان وبين الوقوف بجانب عليّ،لذا خرج عليه طلحة والزبير، وهما اثنان من كبار الصحابة، واتهماه،بأنه هو الذي استفاد من قتل عثمان،وزاد من قوة موقفهما،إعلان عائشة رضية الله عنها براءتها من دم عثمان ،ثم

---

(1) ابن خلدون:العبر،603/2،يوسف العش: الدولة الأموية،ص82.

(2) البلاذري:أنساب الأشراف،7/3.

(3) الدينوري: الأخبار الطوال،ص133.

(4) الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي:ص49.

(5) ابن خلدون:العبر،603/2.

نادت معهما إلى الأخذ بثأر عثمان من الخليفة الجديد،لأنها كانت تبغض عليًّا [1].وقد زاد هذا في صلابة موقف الزبير وطلحة ، وخاصة أن أم المؤمنين الرافضة لخلافة عليّ أعطت الشرعية الدينية للثائرين على الخليفة الجديد،بما فيهم معاوية، مما جعل الصراع ينتقل من المدينة إلى الكوفة والبصرة أين يتواجد الأنصار والمقاتلة والأموال، رغم أن رجال العراق أثرت عليهم النزعة الإقليمية والعصبية القبلية، وباستقرار الإمام عليّ هناك تخلّي عن مركز التيار الإسلامي [2] ،وأراد أن يحكم بسياسة أبي بكر وعمر في وسط قبلي تتجاذبه الزعامات السياسية ، لذلك كان كمن يطرق على حديد بارد[3].

ويظهر دور الصراع القبلي عندما قام سعيد بن العاص يخطب في وسط الخارجين لقتال عليّ ولاقتصاص منه ،قائلاً: «**وقد زعمتم أيها الناس أنكم إنما تخرجون تطلبون بدم عثمان، فإن كنتم ذلك تريدون فإن قتلة عثمان على صدور هذه المطي وأعجازها فميلوا عليهم بأسيافكم**»[4] ،وكان يقصد من وراء ذلك طلحة والزبير وباقي الصحابة المعترضين لسياسته، والذين كانوا في المدينة و لم يقاتلوا لمنع قتل عثمان[5] ،لكن مروان بن الحكم ردّ قائلاً:«**لا بل نضرب بعضهم ببعض فمن قتل كان الظفر فيه ويبقى الباقي فنطلبه وهو واهن ضعيف**»[6]، وحتى لما حاول الزبير التخلي عن قتال عليّ ،ولحق به طلحة، فنظر مروان بن الحكم إلى طلحة بن عبيد الله يوم الجمل فقال: «**لا أطلب بثأري بعد اليوم فرماه بسهم فقتله**»[7]،ثم التفت إلى أبان بن عثمان فقال:قد كفيناك بعض قتلة أبيك [8].

ونستشف من هذا الروايات أن فكرة الخروج عن عليّ ،فكرة حركته العصبية القبلية الجاهلية الخفية التي قاتلها وحاربها الرسول صلّى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر بن الخطاب، ولهذا تحركت للتصدي للحكم النبوي الراشدي،وبذلك من يملك العصبية الأقوى والمنظمة تحت قيادة واعية للموقف والمصير، وذكية التصرف والتصور،بالضرورة سينتصر في النهاية.

---

(1) البلاذري: أنساب الأشراف،213/6،فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية،ص53.

(2) عبد العزيز الدوري: مقدمة في تاريخ صدر الإسلامية،ص66.

(3) المرجع نفسه:ص66، 68..

(4) ابن سعد:الطبقات،34/5-35،ابن عساكر:تاريخ دمشق،117/21.

(5) المودودي: الخلافة و الملك،ص80.

(6) ابن سعد:الطبقات،34/5-35،ابن عساكر:تاريخ دمشق،117/21.

(7) تاريخ اليعقوبي:182/2، خليفة بن خياط:تاريخه،ص181، ،ابن عساكر:تاريخ دمشق،122/25، الفخري: ص88.

(8) خليفة بن خياط:تاريخه،ص185.

لكن عليّ ﷺ استطاع أن ينتصر عليهم ويقتل كل من طلحة والزبير ويعيد عائشة إلى المدينة بعد معركة الجمل سنة 36هـ[1](656م)،وينتهي القتال بمبايعة أهل العراق لعليّ [2]،ثم اتخاذ الكوفة مقراً وعاصمة له بدلاً من مدينة الرسول صلّى الله عليه وسلم، وبالتالي انتقال مركز الثقل من وسط جزيرة العرب إلى أطرافها ، ومنذ ذلك الحين تراجعت جزيرة العرب عن مستواها الذي كان لها قبل الإسلام ،تراجعا كبيراً، وذلك بسبب هجرة العرب منها على نطاق واسع،فلم تعد المدينة عاصمة الدولة، و لم يبق لها شأن سوى أنها دار للعلم والعلماء، وللمعارضين لهذا التحول الجديد،أو للذين أخفقوا في دورهم السياسي [3]، مما أدى إلى تراجع قداسة الخلافة ،بعد أن أصبح الاحتكام للسيف لتحديد شرعية الخليفة بدلا من الانتخاب والشورى.

وهكذا كان قتل عثمان ، وإيواء عليّ لقتلة عثمان في صفوف جيشه ، واستعمال الثوار السيف في تغيير الخليفة أو توجيه قراراته، ونقل عاصمة الخلافة الإسلامية من المدينة إلى الكوفة هي المبررات التي سيتخذها المعارضون للسلطة والطامعين إليها فيما بعد، ومنهم معاوية بن أبي سفيان الذي وظف هذه المبررات أحسن توظيف للتصدي للخليفة عليّ ومطالبته بدم عثمان.

## 3- مطالبة معاوية عليّ بدم عثمان

كان موقف معاوية في الشام يختلف عن موقف طلحة والزبير،فهو لم يظهر مطلبه في الخلافة، بل لم يعتبر ولايته انتهت بمقتل عثمان، وحافظ على منصبه، وأعرب عن ولائه للسلطة الشرعية، و لم يشارك في الفتنة[4]،وبحكم أنه ابن عم الخليفة المقتول ،فمن حقه المطالبة بدمه، وواجب الثأر يقع عليه دون غيره من أقارب عثمان ،لأنه كانت له الوسائل الكفيلة لتحقيق ذلك دونهم جميعاً،لكن الدوري [5] يقول: إن «**خروج معاوية للمطالبة بدم عثمان على أساس قبلي واضح ،لأن هذا واجب الدولة وحقها وليس حق الأقرباء**» ،بل ظل يراقب الأحداث عن كثب ، ويترصد الفرص وخاصة وأنه صاحب الولاية المنظمة ، المطاعة لسلطته منذ عشرين سنة،ذات الجيش المنضبط والملتزم للأوامر،وكانت مصلحتهم في أن تظل الخلافة والسيادة ملكاً لهم ،مما أدى إلى التضامن السياسي بين سكان الشام [6]،و لم يثوروا على أميرهم معاوية بن أبي سفيان ،عكس الكوفة والعراق.و لم تكن لمعاوية الصفة الشرعية للقيام بأية مبادرة،

---

[1] تاريخ اليعقوبي:2/182،ابن عساكر:تاريخ دمشق،25/122، الفخري:ص88.

[2] فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية،ص53، الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي:ص51.

[3] الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي:ص48، فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية،ص53، 54.

[4] الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي:ص51.

[5] مقدمة في تاريخ صدر الإسلامية: ص66.

[6] أنظر فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية،ص 55، الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي:ص51.

فقد كان مجرد والٍ دون «**ماضي إسلامي ناطق بما فيه الكفاية ليكون منذ البداية لسان حال جميع أولئك الذين كانوا مصدومين من القتل** »[1] لعثمان ، لكن بعد مطالبة عائشة أم المؤمنين بالثأر لدم عثمان استغله معاوية ووظفه ضد الإمام عليٍّ ﷺ. يضاف إلى ذلك أنه لو كان جميع المهاجرين والأنصار بايعوا بالإجماع علياً، لكان من الصعب على معاوية إظهار انشقاقه، أو حتى أنه ما كان باستطاعته أن يقوم به، فمثلا لو كان طلحة والزبير بايعا علياً عن رحابة صدر...وباختصار لو كان كل الصحابة اجتمعوا على عليٍّ، لما كان في إمكان أن يقف ضد الشرعية الإسلامية، لكن الاجتماع لم ينعقد والبيعة لم تتم بالكامل [2]،لأن هناك امتناع لسبعة عشر صحابيا [3]،جعل معاوية يتردد في البيعة ويربطها بدم عثمان وقتلته وبقائه عاملاً له في الشام.

هذا شجع معاوية على رفض شرعية عليٍّ واستعمال عمق هذا الخلاف ، وتوظيف دم عثمان كأسلوب للثورة عليه. مما دفع بالإمام عليّ بعد التفرغ من وقعة الجمل ،التحرك نحو صفين لتأديب معاوية وإلزامه بالبيعة ،ثم إقالته عن ولاية الشام ،فكتب له في الأمر بعدة كتب ،لكن معاوية تمسك بموقفه ،حيث قال معاوية حين قدم جرير بن عبد الله عليه في بيعة عليّ، يا جرير اكتب إلى عليّ أن يجعل لي الشام وأنا أبايع له[4]،لكن عليّ رفض ذلك ،رغم أن الكثير من الصحابة أشاروا إليه أن يترك عمال عثمان حتى تهدأ الأوضاع ،ثم يبعدهم ، ومن بينهم ابن عباس الذي أشار عليه بترك معاوية على الشام،وعدم الخضوع لهؤلاء الثائرين،قائلاً له:«**إن نهضت مع هؤلاء القوم يحملك الناس دم عثمان غدا فأبى عليّ**»[5]، وهذا نصر بن مزاحم [6] يؤكد مطلب معاوية نحو عليّ قائلاً:« **فادفع إلينا قتلة عثمان نقتلهم به.فإن قلت إنك لم تقتله فاعتزل أمر الناس فيكون أمرهم هذا شورى بينهم، يولى الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم**»،بينما يرى عبد الله بن عمر رضي عنه ،أن سبب الخلاف هو السلطة والدنيا،حيث يقول:«**وإنما هؤلاء فتيان قريش يقتتلون على هذا السلطان وعلى هذه الدنيا**»[7]، متخفين وراء دم عثمان،تحركهم العصبية القبلية للظفر بالخلافة،ويعتبر الأمويون أن الخلافة حق من

---

[1] هشام جعيّط: الفتنة جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر ، ص145.

[2] المرجع نفسه،ص181.

[3] أنظر المودودي: الخلافة و الملك،ص76.

[4] ابن عساكر:تاريخ دمشق،131/59.

[5] ابن خلدون:العبر،604/1.

[6] وقعة صفين:ص200.

[7] الأصفهاني:حلية الأولياء،310/1.

حقوقهم، وأنهم ورثوها عن عثمان، الذي نالها بالشورى ثم خرجت منهم بعد قتله ، وانتقلت إلى غيرهم،لذا وجب عليهم القتال لاستردادها [1].

ونتيجة لموقف عليّ بن أبي طالب من عمال عثمان وخاصة معاوية، ورفض بقاؤه على رأس ولاية الشام ،تحرك معاوية ليشوش على الخليفة ويفسد عليه إقليم الشام،مستغلا طاعة أهل الشام له لينشر في وسطهم أن عليًّا قتل عثمان ليكون له الحق بالطلب بدمه ،ثم وَكَّل شرحبيل بن السمط للتأكد من ذلك« **فخرج شرحبيل فلقيه النفر الذين وطأهم له معاوية فأخبروه أن عليًّا قتل عثمان فَقَبل ذلك، فعاد إلى معاوية فقال له يا معاوية أَبَى الناس إلاّ أن عليًّا قتل عثمان فلئن بايعت عليًّا ليخرجنك من الشام**»[2]، و لم يكتف شرحبيل عند هذا بل تحرك لنشر فكرته في بلاد الشام وطلب البيعة لمعاوية بعد أن بايعه وبايع عامة أهل الشام معه[3].

وبذلك قوت شوكة معاوية عند الشاميين ، ودخل طرفاً في النزاع ضد الإمام رداً على رفض مطلبه في الشام، ومستغلا القصاص لعثمان،ومتحججا على معارضيه من المسلمين الذين نهوه عن ذلك، قائلاً:« **...لا والله إني لأعلم أن عليًّا أفضل مني وأنه أحق بالأمر مني ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما، وأنا ابن عمه، وإنما أطلب بدم عثمان، فائتوه، فقولوا له، فليدفع إليّ قتلة عثمان، وأسلم له. فأتوا عليًّا ،فكلموه بذلك، فلم يدفعهم إليه**»[4]،لكن عليّ رد على أبي مسلم الخولاني رسول معاوية،في كتاب جاء فيه نوع من النهي والتوبيخ ،والتحذير من مآخذ الشيطان،وتذكير معاوية بماضيه،وأنه ليس من أهل سلطان [5].

وتعبيرا على رفض أهل الشام لموقف عليّ واستعداداً للقتال من اجل الثأر من قتلة عثمان ،قال العبسي صاحب طومارمعاوية : «... **أني قد خلفت بالشام خمسين ألف شيخ خاضبي لحاهم بدموع أعينهم تحت قميص عثمان، رافعيه على أطراف الرماح، قد عاهدوا الله ألا يشيموا سيوفهم حتى يقتلوا قتلته، أو تلحق أرواحهم بالله**»[6]، وبذلك أجج معاوية الأمر على عليّ بن أبي طالب واتهمه

---

(1) حسين عطوان: الأمويون والخلافة ،ص13.

(2) ابن عساكر:تاريخ دمشق،134/59

(3) المصدر نفسه:135/59.

(4) ابن عساكر:تاريخ دمشق،132/59،الذهبي: سيره،140/3.

(5) أنظر نصر بن مزاحم:وقعة صفين،ص109،ابن عساكر:تاريخ دمشق،132/59-133.

(6) الدينوري: الأخبار الطوال،ص133.

بمقتل عثمان وإيواء قتلته[1]،وكتب له كتاب،جاء فيه،« **أما بعد: فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، ولكنك أغريت بعثمان المهاجرين، وخذلت عنه الأنصار، فأطاعك الجاهل، وقوي بك الضعيف. وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان، فإن فعلت كان شورى بين المسلمين. ولعمري ما حجتك عليّ كحجتك على طلحة والزبير، لأنهما بايعاك ولم أبايعك. وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة لأن أهل البصرة، أطاعوك ولم يطعك أهل الشام، وأما شرفك في الإسلام، وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعك من قريش فلست أدفعه**»[2]، هذا الرد عبارة عن إصرار وتحدي من قبل معاوية واستعماله للدهاء والمال العام لإغراء الناس وجرهم إلى صفه وإقناعهم بضرورة الاقتصاص من قتلة عثمان وجعله شرطا لبيعة عليّ بن أبي طالب مثل ما فعل مع ابن زياد[3].لكن الإمام عليّ خالف هؤلاء ،وكان يرى ضرورة تأخير القصاص من قتلة عثمان ، و أصر على موقفه ،و على استخدام القوة تجاه من خالفه و لم يبايعه[4]

و يرى الباحث أبو الأعلى المودودي [5] ، أن قرار عليّ بن أبي طالب بتأخير القصاص من قتلة عثمان كان صوابا ، لأن تطبيقه مباشرة قد يؤدي إلى تعصب القبائل لهم . نعم قد تكون المصلحة في تأخير القصاص لدفع شر هؤلاء ، ريثما يتمكّن منهم . لكن يجب أن لا ننس أن الاقتصاص من هؤلاء المجرمين واجب شرعي، و أنه مما لا شك فيه أن مقاتلة المطالبين بدم عثمان ليس بالأمر الهين و ليس هو بالأمر المحبذ شرعا و لا عقلا ، فهم يطالبون بمطلب شرعي ، و عددهم كبير جدا–و من ورائهم قبائلهم– فمجموع قتلة عثمان لا يزيد عن : 2000 شخص[6] ، في حين عدد جيش هؤلاء أكثر من 30 ألف جندي[7] . لذا كان على الإمام عليّ أن يسعى لإضعافهم ،و يخطط للاقتصاص منهم ، لكن الذي حدث هو أنه عندما اتخذ قرار قتال أهل الشام –و هو في صالح المجرمين– كانوا في جيشه وحاربوا معه ، فساهم هو –من حيث يدري أو لا يدري – في تقوية شوكتهم ،و توفير الحماية لهم ،

---

[1] المسعودي: مروج الذهب، 3/ 23، 42، البلاذري:أنساب الأشراف، 121/5،الطبري: تاريخ الرسل،268/5-271، ابن عبد ربه:العقد الفريد ،4/ 366، ابن الأثير:الكامل، 3/ 69.

[2] المبرد: الكامل ،244/1.

[3] وإني أسألك النصر عليه بعشيرتك ثم لك عهد الله وميثاقه أني أوليك إذا ظهرت أي المصرين أحببت .(المصدر نفسه:173/3).

[4] المودودي: الخلافة و الملك ، ص79

[5] المرجع نفسه.

[6] المرجع نفسه ،ص72.

[7] انظر ابن كثير : البداية،7/ 238 و ما بعدها .

وهم بدورهم عزّزوا مواقعهم في عسكره ، وصار بعضهم من كبار قادته ، كالأشتر النخعي[1]،و حكيم ابن جبلة[2] . فأصبح من الصعب جدا عل الإمام عليّ أن يقتص منهم.

## 4 صفين والتحكيم وانقسام جيش عليّ ونهاية خلافته

أعلن الإمام عليّ القتال على أنصار معاوية في صفين، ولما رأى هذا الأخير أن ه على وشك الهزيمة، ومال النصر إلى جانب عليّ، رفع أهل الشام المصاحف على أسنة الرماح، وفهم بعض قادة جند عليّ أنهم يطلبون الحق تحت راية كلام الله الذي ثاروا باسمه على عثمان، ومن أجله حاربت عائشة أم المؤمنين عليًّا [3].

وضع قادة جيش عليّ السلاح خضوعاً لتحكيم القرآن، وأُجبر عليّ أن يقبل التحكيم ويكف عن القتال، ويجعل تقرير أمر الخلافة للقرآن بدلاً من السلاح، أي على يد حكمين يصدرون في حكمهم عن القرآن[4]،ولما رفض عليّ التحكيم وأعتبره خدعة هددوه بالقتل، وأن مصيره مصير عثمان [5]،فرد عليهم،«**ألا إني كنت أمس أمير المؤمنين فأصبحت اليوم مأمورا، وكنت ناهيا فأصبحت منهيا.وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون**»[6]. ويعود هذا الانقلاب على الإمام إلى أن أهل الكوفة هم الذين ناصروه على معارضيه ، ورفعوه إلى منصبه ،كما أنهم كانوا أبعد عن روح النظام، وفيهم غرور وصلف، متأثرين بروح البداوة، والتزامهم بالدين التزاماً ساذجاً ، مما صعب على عليّ قيادتهم في الغالب ولا ينقادون لرأيه ،فأفسدوا عليه سياسته،كما أن الذين قاموا بالتفاوض ، كانوا يبثون في أرائهم،ويصدرون الأحكام دون العودة إلى الإمام عليّ،فأصبحت القيادة في جانب والمفاوضون في جانب،وكان للخليفة عليّ فكر ولقيادة جيشه فكر،والقَبَلية هواها مع زعمائها،بينما معاوية هو من أقترح لعبة التحكيم، وخطط لها مع عمرو بن العاص ،وقدر لها كل الأبعاد والنتائج، وكانت القيادة هي الموجهة ، والمفوض صاحب الفكرة والاقتراح والحكم القاضي، ومن ورائهم الجيش الموحد [7]،عكس جيش الإمام عليّ الذي كان في مجموعة قبائل،أقواها اليمانية،التي دخل صفوفها الصراع بين الأشتر

---

(1) ابن كثير:البداية، دار إحياء التراث العربي،1988،7/284،285،289،الزركلي:الأعلام،5/259.

(2) ابن كثير:البداية، دار إحياء التراث العربي،1988،7/260،الذهبي:سير،2/322،ابن خلكان: وفيات الأعيان ، 7/59،60، الزركلي:الأعلام،2/269.

(3) تاريخ اليعقوبي:2/188،الطبري : تاريخ الرسل،5/49، الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي:ص55.

(4) نصر بن مزاحم:وقعة صفين،ص514.

(5) الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي:ص55.

(6) نصر بن مزاحم: وقعة صفين،ص484.

(7) الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي:ص58، 60.

والأشعث، وهما من نفس القبيلة ومن كبار قادة جيش عليّ، ومن هنا كان موقف الإمام عليّ صعبا وسيئاً للغاية، نتيجة لعدم الانضباط، وعدم وحدة الرأي، وغياب المشورة التي هي الأساس الأول في التفاوض[1]،فكان الانتصار والتفوق لمعاوية. وبذلك دخلت قوة السيف والدهاء والخداع في قلب الموازين ، وتقرير الأحكام وإصدار الأوامر وليس الشَّرع والدين، وهكذا كان الانقلاب على الإمام عليّ،وعلى مبادئ دولة الرسول والخلفاء الراشدين،بعد أن أصبحت القوة هي التي تقترح الحلول وليس التشاور، ولا أهل الحل والعقد.

وقد كان لموقف التحكيم تأثير على تمزيق صف جيش عليّ، وهو المقصد والغاية التي عمل من أجلها دهاء عمرو بن العاص ومعاوية،وفعلت الخديعة به فعلتها، «**كان له جمع عظيم ففرقه، وكان له حصن حصين فهدمه**»[2]. وأتت بثمارها لصالح معاوية، وأبعدت عنه شر الهزيمة،وأفقدت الإمام عليّ قوته، بعد عودته إلى الكوفة ،حيث انفصلت عنه جماعة من القراء–الخوارج- بمكان يعرف بحروراء [3] وخرجت عليه و آذنته بالحرب [4]،،وقالوا: لا حكم إلا لله[5]،و هذا يعني أن هؤلاء لم يكونوا موافقين على وقف القتال و الصلح منذ البداية ، لذلك خرجوا على عليّ بن أبي طالب . وأنكروا عليه قبول التحكيم، وعلى رأسهم عبد الله بن وهب الراسبي ، و قالوا له : إنك أوصلتنا إلى الفرقة و المعصية و الذل في الدنيا و الآخرة ، ثم دعوه إلى قتال عدوهم[6]،ولما أستجمع الإمام جيشه ،ورفض نتائج التحكيم وأستعد لمواجهة أهل الشام ،تدخل قادة الجيش وألحوا عليه أن يقاتل الخوارج في النهروان لأنهم قتلوا عبد الله بن خباب بن الأرث ابن أحد السابقين في الإسلام،فاستجاب الإمام عليّ لإلحاحهم [7]، وأنقاد لهم بدلاً أن ينقادوا له، وهذا خطأ سياسي وقع فيه الإمام عليّ، من حيث يعلم أولا يعلم،نتيجة لخضوعه في أول أمر بيعته وخلافته لقوة السيف وقتلة الخليفة عثمان، فكانت نهايته نهاية عثمان.

وهكذا نجد التحكيم انحرف عن مساره الحقيقي وهو النظر في قضية قتلة عثمان وكيفية الاقتصاص منهم، بدلاً من النظر في قضية الخلافة، وسوّا الحكمان بين الخليفة عليّ وعامله معاوية، باستعمال الدهاء والخداع ،لينتزع عمرو بدهائه وحيله الخلافة من الإمام عليّ ، ومن الأسرة الهاشمية ،

---

(1) الطبري:تاريخ الرسل، 383/3،الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي:ص59.

(2) الطبري:تاريخ الرسل، 61/5.

(3) حروراء: وهو موضع يظاهر الكوفة وبه كان أول اجتماعهم وتحكيمهم حين خالفوا عليّاﷺوخرجوا عليه(أنظر هامش الذهبي:سير،143/7).

(4)أنظر الطبري:تاريخ الرسل،91/5، 92 ،93، ابن عساكر:تاريخ دمشق،103/37،الزركلي: الأعلام، 351/7.

(5) الطبري: تاريخ الرسل ، 55/5،الذهبي: سير ،137/3.

(6) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة،1/ 190.

(7) الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي،ص63.

ويضعها في شخص معاوية ، وفي البيت الأموي ،ليفتح باب الصراع الجاهلي من جديد بين القبلتين القرشيتين،فازدادت نار الحرب والعداء والخلافات تأججاً، وأنفتح باب التحزب والتشيّع وظهرت الأحزاب الإسلامية التي سيكون لها تأثيرا على السلطة الأموية فيما بعد،خاصة شيعة عليّ، وانتهى الخلاف بقتل الإمام عليّ في 17 رمضان سنة 40هـ/660م من طرف عبد الرحمن بن ملجم الخارجي[1]، وفق مؤامرة دبرها الخوارج.

والحقيقة أن المتتبع لهذه الأحداث المتسلسلة من غير العسير عليه أن يلمح مرة أخرى شبح المؤامرة التي أوشكت على استكمال فصلها النهائي بسقوط عليٍّ ومعه بقايا النظام الراشدي المهزوم، وفق مخطط الحيلة والدهاء من قبل معاوية ،حيث قال بعد انتصاره على عليٍّ:« **حاربت علياً بعد صفين بغير جيش ولاعناء**»[2].

هكذا جاء انتصار معاوية وانتصار التيار التقليدي في الإسلام ليكرس سيادة الذهنية القديمة، القائمة على تحالف القبائل والارستقراطية القرشّية وهو الأسلوب الذي أخذ في الظهور منذ نجاح هذا التيار في استرداد نفوذه المفقود [3]، وانتزع بذلك معاوية النصر من عليٍّ ،وقطف ثمار الخلاف، وأبعد التيار الديني النبوي وثبت التيار الأموي السياسي،وما بقي لمعاوية إلاَّ أن يزحزح الحسن عن السلطة ويكمل مخططه ودهاؤه بينه وبين عمرو بن العاص ليتقاسموا الغنيمة على حساب دماء المسلمين.

إن مقتل الإمام عليّ أزاح منافسا قويا في طريق معاوية ،ولكن لم ينه النزاع بين القبلتين.فإن الهاشميين سرعان ما نصبوا الحسن بن عليّ خليفة مكان أبيه، إذ يقول الدينوري [4]:« **ولما توفيّ عليّ ﷺ خرج الحسن إلى المسجد الأعظم، فاجتمع الناس إليه فبايعوه** » ،«**وكانت بيعته التي أخذ على الناس أن يحاربوا من حارب ويسالموا من سالم ، فقال بعض من حضر :والله ما ذكر السلم إلاّ ومن رأيه أن يصالح معاوية**»[5]. لكنه لم يكن من القوة والمقدرة السياسية حتى يتمكن من التصدي والمواجهة لمعاوية الذي لم يجد صعوبة في إزاحته من طريقه [6]،باستعمال الدهاء والأموال لتفريق صف جيشه ،وإضعاف عزيمته[7]. لأن معاوية كان ينظر إلى القضية من كل جوانبها، ليرى جميع القوى الفاعلة فيها ليتمكن من

---

[1] الذهبي: العبر،33/1.

[2] البلاذري: أنساب الأشراف، 156/3،،الذهبي: سير ،144/3.

[3] إبراهيم بيضون : ملامح التيارات السياسية ،ص 137

[4] الأخبار الطوال ،ص 199.

[5] البلاذري : أنساب الأشراف ،279/3، الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص72.

[6] إبراهيم زعرور وعليّ أحمد: تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري،ص11

[7] أنظر تاريخ اليعقوبي:2/ 216.

إعادة ترتيب هذه القوى بصورة بارعة، والوصول إلى تسوية بارعة،كان يتخذ المقررات الحاسمة بعد تفكير طويل وحكيم، وعند المستطاع يرفض استخدام القوة كحل لقضاياه،كان ذا عقلية واقعية وسياسية إلى حد بارز، اتسمت بالانضباط ورباطة الجأش[1].

وهكذا وظف معاوية كل الحيل للوصل إلى الخلافة حتى أخذها بالقوة، وقد اعترف بذلك في بعض خطبه لأهل المدينة بأنه لم يصل إلى الحكم بانتخاب الأمة له، وإجماعها عليه ولا بقبولها به، والرضا عنه، بل قاتل في سبيلها حتى غلب عليها، إذ يقول « **والله ما وليتُها بمحبّة عَلِمْتُها منكم، ولا مسرَّةٍ بولايتي،ولكني جالدتكم بسيفي هذا مُجالَدةً**»[2]،وبذلك أدرك معاوية أن قوة السيف التي قتلت الخليفة عثمان،وانتزعت الخلافة من البيت الأموي ونصبتها في البيت الهاشمي هي التي وظفها لاستعادة سلطة الخلافة إلى نفس البيت.

وأمام قوة سيف معاوية ودهائه، تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية سنة 41هـ /661م.وسمي هذا العام بعام الجماعة الاجتماع الأمة الإسلامية على حاكم واحد [3].لكن معاوية لم يجد الأمور سهلة بل واجهته مصاعب شتى ،كانت في غاية الصعوبة والتعقيد، دفعته إلى استمالة الأقطار المختلفة إلى حكمه،والاعتماد على أهل الشام كركيزة أساسية من ركائز حكمه،فقد وجد فيها تقاليد عريقة في الحكم والإدارة ساعدته على أداء مهمته في فتر التأسيس لدولته[4].

ووظف معاوية حنكته ودهاؤه للسيطرة على الوضع ،إضافة إلى ما يتمتع به من صبر وحلم وسعة صدر للتحمل ،فانحنت له الرؤوس وتقبلته النفوس على مضض ، لأن الناس كانوا غير مستعدين للدخول في صراع مسلح غير مأمون النتائج والعواقب.مما ساعده على توطيد أركان دولته على أسس متينة وثابتة[5].

قال معاوية انتصرت على عليّ بأربع« **كان يفشي سره وكنت أكتمه،وكان في أعصى جند، وكنت في أطوع جند**»[6].

---

(1) محمد عبد الحي محمد شعبان:صدر الإسلام والدولة الأموية،ص90.

(2) ابن عبد ربه: العقد الفريد، 171/4،ابن عساكر: تاريخ دمشق،154/59،الذهبي: سير ،148/3.

(3) ابن سعد :الطبقات،الجزء المتمم،61/1، ابن عساكر :تاريخ دمشق،35/28،الذهبي :سير ،137/3 ،146، الزركلي: الأعلام،200/2.

(4) إبراهيم زعرور وعليّ أحمد: تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري،ص13.

(5) المرجع نفسه :ص13،14.

(6) الطبري:استشهاد الحسين، ،ص22.

وهكذا انتقلت الخلافة إلى معاوية ، وأنتقل معها مركزها من الكوفة إلى دمشق،وأنتقل معها بيت المال في نفس الوقت، وصارت الكوفة مصرا من الأمصار، وعلى سكانها أن يقتنعوا بفتات الأعطيات التي تتساقط من مائدة سادتهم الشاميين،أعداء الأمس،فلا عجب أنهم كانوا يرون في سلطة الشام عليهم هواناً قاسياً، وأنهم كانوا مستعدين إلى التخلص منه إذا بدا لهم أن الظروف مهيأة لذلك،لأنهم كانوا مجتمعين الحَنَقُ نتيجة لضياع ما كان لهم من سيادة، ومجتمعين على الكره والبغض لمن غصبهم إياها.وكانت أعنف الثورات وأشدها على الأمويين تأتي من جانب أهل العراق خاصة الشيعة منهم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الفصل الأول : ثورات الشيعة وبرامجها

أولاً: ثورة الحسين بن عليّ

ثانياً: ثورة التوابين

ثالثاً: ثورة المختار الثقفي

رابعاً: ثورة زيد بن عليّ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## الفصل الأول: برامج ثورات الشيعـــــــة

إن الشيعة هم الذين شايعوا الإمام عليّ بن أبي طالب[1]، وهم أتباعه ، الذين آمنوا بأن الإمامة حق لبني هاشم وحق لعليّ من بعد الرسول ﷺ،ومن ثم حق لأبناء عليّ من فاطمة بنت الرسولﷺ [2]، بيد أن بعضهم جوزوا الإمامة في أبناء عليّ من غيرها،كالكيسانية [3]، وكانت تلك الفرقة شديدة في معارضتها للحكم الأموي ، ولعلها الأخطر في تاريخ الأمويين.أما بذورها فقد ظهرت حين أفضت الخلافة إلى أبي بكر الصديق،وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان ،هذا ما يدل على أن بني هاشم كانوا يطمحون إلى الخلافة، ويرونها حقاً فيهم. وعندما سخط الناس على عثمان ،بحثوا عمن يستحق الخلافة،فكانت لعليّ بن أبي طالب،بعد البيعة له،وعندئذ تكونت لعليّ بطانة،عرفت بالشيعة،شايعته على الإمامة،وبايعته على الخلافة ، ورأت أنها من حقه،فهو من آل البيت،وقد وصى بذلك الرسول ﷺ في غدير خم[4] وإنما تجاوز أهل الشورى أمرهم في بيعته.

بعد بيعة الإمام عليّ رضي الله عنه انتقل إلى العراق ، فاتخذ الكوفة [5]حاضرة له ، ولحزبه فشايعه كثير من أهل العراق إماما ، وأصبحت الكوفة مركزاً لشيعة عليّ وآله . و لم يكن أهل العراق مع الأمويين، بل كانوا غاضبين عليهم، معارضين لحكمهم.وقد ثاروا عليهم مرارا ، وتكراراً،في ثورات أهمها: الثورة الحسينية وثورة التوابين، وثورة المختار وثورة زيد بن عليّ .

---

(1) النوبختي : فرق الشيعة، ص28، الاصبهاني:مقاتل الطالبيين، ص24-45،ابن الأثير:أسد الغابة،4/100.

(2) النوبختي: فرق الشيعة، ص28، 29،الشهرستاني:الملل والنحل،1/146، ابن خلدون: المقدمة، ص 247.

(3) أنظرالنوبختي:فرق الشيعة ، ص33،34،البغدادي: الفرق بين الفرق، ص39، الشهرستاني:الملل والنحل،1 /146 ، ابن خلدون:المقدمة ، ص248.

(4) أنظر النوبختي: فرق الشيعة ،ص29،الشهرستاني: الملل والنحل ،1:163،ابن خلدون:المقدمة،ص246.

(5) تاريخ اليعقوبي:2/184، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص174.

## أولاً: ثورة الحسين وبرنامجها

60-61هـ/680-681م

الحسين بن عليّ بن أبي طالب الهاشمي أبو عبد الله المدني سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته،«كان الحسين فاضلاً ديناً كثير الصيام والصلاة والحج»[1]،محبوبا معظما ومبجلاً لدى كبار الصحابة وأبنائهم،فهذا عبد الله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة إذ رأى الحسين بن عليّ مقبلا فقال هذا«**أحب أهل الأرض إلى أهل السماء اليوم**»[2]،وبانتمائه إلى بيت الرسول ﷺ،عظمت مكانته،وزادت همته،وهو الذي تأصلت العداوة بسببه بين بني هاشم وبني أمية حتى ذهبت بعرش الأمويين[3]،وزاد من تلاحم الشيعة والمعارضة ضد بني أمية.

### 1- أسباب الثورة

#### أ-نضج فكرة الثورة ورفض سياسة المداهنة لمعاوية

استعمل معاوية بن أبي سفيان سياسة الشدة والحيلة في نفس الوقت لإخضاع المسلمين لسلطته وإلزام عماله على المناطق لتنفيذ ذلك،فكان زياد« **يقتل المُعْلِنَ ويَسْتَصْلحُ المُسرُ،ولا يُجَرِّدُ السيف حتى تزول التّهْمَة**»[4]،ويعتبر زياد«**أول من أخذ بالظِنّة وعاقب على الشُبْهَة وأخاف الناس في سلطانه**»[5] ، وما يثبت ذلك أن سادة القبائل من أهل الكوفة والبصرة كانوا يتذمرون من كبت معاوية لهم وسطوته عليهم،وأنهم كانوا في حيرة من أمرهم ،إذ لا يجرؤون على مصارحته وإظهار أرائهم المعارضة لسياسته ،لأنهم كانوا يرهبون غضبه وقسوته،و لم يستسيغوا مداهنته،لذا كانت إجابتهم عن سيرته وسياسته متحفظة فيها لباقة وكياسة، وممهوة ،يحتالون فيها تجنبا للصدام معه،ويتركون القرار والحكم له،دون أن يكشفوا له عما في نفوسهم،وحول ذلك يقول اليعقوبي [6]:«**دخل إليه عدي بن حاتم،فقال له: كيف زماننا هذا يا أبا طريف؟قال:إن صدقناكم خفناكم،وان كذبناكم خفنا الله:قال: أقسمت عليك قال:عدل زمانكم هذا جور زما ن قد مضى،وجور زمانكم هذا عدل زمان ما**

---

(1) الاستيعاب في معرفة الأصحاب:ص184.

(2) ابن حجر:تهذيب التهذيب،427/1.

(3) الزركلي: الأعلام،243/2.

(4) المبرد: الكامل،184/3.

(5) البلاذري:أنساب الأشراف ،225/5.

(6) تاريخ:233/2

**يأتي**»،وقال ابن سعد[1].«**ذكروا عند معاوية شيئا فتكلموا والأحنف ساكت فقال معاوية :تكلم يا أبا بحر فقال: أخاف الله أن كذبت ،وأخافكم إن صدقت**». ومن هذه الأمثلة نستشف حيلة معاوية ودهاؤه في جر الناس إلى الكشف عن مواقفهم من سياسته، وللوقوف على حقيقة حكمه وموقف الرعية منه،وهذا قد يؤدي من جانب آخر إلى استعمال البطش والشدة ضد من يكشف عن حقيقة موقفه المعارض لخلافته وأسلوب حكمه في الرعية.

ويروي المدائن أن معاوية قال للأحنف بن قيس التميمي أيضا :« **ما ترى في بيعة يزيد؟قال: نخافكم إن صدقناكم ،ونخاف الله إن كذبنا** »[2]،وكان أقصى ما يقبل به من المخالفين له،ويحتمله من الساخطين عليه أن يُلموه،بينما من هاجم سياسته،وتعدى إلى استنهاض الناس للثورة عليه بطش به ومن معه[3].

يضاف إلى ذلك تخلّي معاوية عن النهج السياسي المنتهج من قبل الخلفاء الراشدين، وانتهاج سياسة الترغيب والترهيب ،والتحول من الدولة الدينية الجماعية إلى الدولة الفردية ، لأن الدين كان يؤسس السياسة ويحكمها ، وكانت السياسة تطبيقا للدين وخادمة له في العهد الراشدي، لكن هذا الأمر تغير تماما في الدولة الأموية،فساد الفساد،و كان الانحراف عن الحق،انحراف في الدين، وانحراف في السلوك، وانحراف في الاجتماع، وانحراف في كل قيم الحياة الإنسانية الفاضلة. فمعاوية بن أبي سفيان بعد أن انتهت مهزلة التحكيم واستلم زمام الحكم عمل على إحياء النزعة القبلية ، والتشديد في قبضته على المعارضة الإسلامية، وبهذه السياسة حاول معاوية القضاء على ما لدى المسلمين من نزعة إنسانية تجعلها خطرا على كل حاكم يجافي مبادئ الإسلام في ممارسته لمهمة الحكم[4].

ومع انتصار الأمويون كان عليهم أن يبادروا لجمع المال وضبط موارده والتدقيق في جبايته حتى يكون لهم الصمود في وجه المطالب الكثيرة،لأن الدولة التي تهتم بالعطاء والعصبية تتوقف على الغنيمة، ونتيجة لذلك كتب معاوية إلى عامله على الخراج في العراق أن «**احمل إليّ من مالها ما استعين به.فكتب إليه ابن الدراج –عامله– يعلمه أن الدهاقين أعلموه أنه كان لكسرى وآل كسرى صوافي يجتبون مالها لأنفسهم ولا تجري مجرى الخراج. فكتب إليه: أن أحص تلك الصوافي واستصفها، واضرب عليها المسنّيَات.... فبلغت جبايته خمسين ألف ألف درهم من أرض الكوفة وسوادها. وكتب إلى**

---

(1) الطبقات :95/7،ابن قتيبة:عيون الأخبار،180/2،المبرد: الكامل،42/1،ابن عساكر:تاريخ دمشق،327/24، المزي:تهذيب الكمال ،284/2،ابن خلكان: وفيات الأعيان،2 /500.

(2) ابن عبد ربه:العقد الفريد، 117/5-118،ابن الأثير: الكامل:101/3،ابن خلكان: وفيات الأعيان،500/2.

(3) حسين عطوان:الأمويون والخلافة، ص85.

(4) حسين الحاج حسن: الرسالة في الثورة الحسينية، ص72.

**عبد الرحمن بن أبي بكرة بمثل ذلك في أرض البصرة، وأمرهم أن يحملوا إليه هدايا النيروز والمهرجان، فكان يحمل إليه في النيروز وغيره وفي المهرجان عشرة آلاف ألف** »[1].وكتب إلى زياد عامله على البصرة يأمره أن يصطفي له "**الصفراء**"و"**البيضاء**"(الذهب والفضة)من غنائم الفتوحات في خراسان. [2]، لكن عامله على خراسان الحكم بن عمرو الغفاري رفض ، ورد عليه قائلاً:« **إني وجدت كتاب الله أحق أن يتبع من كتابك، وإني قسمت ما غنمت في الجند**»[3]،رافضا التنازل عن حق الرعية فيما أفاء الله عليهم.

غير أن الدولة إذا كانت تستطيع إرضاء البعض وإسكات البعض وتأجيل معارضة آخرين،فإنها لا تستطيع ضمان الاستقرار ،وأن رفض العامة ينمو،وضرب القبائل بعضها ببعض يولد الأحقاد ويثير الفتن، والعطاء نفسه يذكي الضغائن،وبالتالي فقيام ثورة مسلحة أو إشغال نار حرب أهلية كان شيئا ممكنا كل لحظة.

وعند قدوم معاوية المدينة عا م الجماعة ،ألقى خطاباً وضح فيه الأبعاد والمحاور الأساسية لسياسته،حيث قال: « **أما بعد ، فإني والله ما وليتُها بمحبة علمتُها منكم ولا مسرَّة بولايتي، ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة. ولقد رُضْتُ لكم نفسي على عمل ابن أبي قحافة(أبي بكر) وأردتها على عمل عمر فنفرتُ من ذلك نفاراً شديدا** ، **وأردتها مثل ثَنيَّات عثمان[وفي رواية أخرى سنيات] فأبت عليّ فسلكت بها طريقا لي ولكم فيه منفعة: مؤاكلة حسنة ومشاربة جميلة.فإن لم تجدوني خيرَكم فإني خيرٌ لكم ولاية. والله لا أحمل السيف على من لا سيف له، وإن لم يكن منكم إلاَّ ما يستشفي به القائل بلسانه، فقد جعلت ذلك له دَبْرَ أذني وتحت قدمي.وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله فأقبلوا مني بعضه، فإن أتاكم مني خيرٌ فأقبلوه، فإن السيل إذا زاد عَنّى،وإذا قلَّ أغنى، وإياكم والفتنة فإنها تفسد المعيشة وتكدّر النعمة** »[4]،وبذلك كشف معاوية عن سياسته الجديدة التي هي مغايرة لما سبقها، فإذا كان الشعار سابقا هو العمل بكتاب الله وسنة نبيه وسنة أبي بكر وعمر، فإن معاوية أراد أن يؤكد أنه يلتزم فقط بما يستطيع الوفاء به [5]،ومن هنا نفهم أن معاوية حاول تكييف حكمه السياسي، وفق ما حدث من مستجدات اجتماعية وسياسية واقتصادية، إرضاء للمعارضة وإشراكها في الرأي والمشورة

---

(1) تاريخ اليعقوبي: 218/2.

(2) الطبري:تاريخ الرسل،251/5،ابن عبد ربه:العقد الفريد،297/2، ابن الأثير:الكامل،66/3،المزي: تهذيب الكمال،126/7.

(3) الطبري: تاريخ الرسل،252/5، ابن عبد ربه:العقد الفريد،297/2، ابن الأثير:الكامل،67/3 المزي: تهذيب الكمال،126/7.

(4) البلاذري:أنساب الأشراف،55/5،ابن عبد ربه:العقد الفريد،171/4،ابن عساكر: تاريخ دمشق:154/59..،الذهبي: سير، 148/3،وتاريخ:312/4،ابن كثير:البداية:134/5.

(5) أنظر ابن كثير: البداية،134/5.

دون المس+اس أو التفكير في السلطة،خشية من تنامي دورها الثوري لسلطته ونفوذه السياسي والإداري،لذا لم يكن يرغب في القطيعة مع أحد بل بالعكس كان يحرص على أن تبقى العلاقات القبلية والسياسية قائمة بينه وبين خصومه، وفي ذلك يقول: « **لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت .قيل وكيف ذلك؟ قال: كنت إذا مدّوها خلَّيْتُهَا وإذا خلَّوْها مددتها**»[1].

وهكذا نجد سياسة معاوية تتراوح بين الترغيب تارة وبين الترهيب طوراً، مما جعل المعارضة السياسية للأمويين تتلون هي الأخرى بألوان المجتمع الجديد الناشئ والمتنوع، وتتحرك في إطاره السياسي طلبا للتغيير والعودة إلى نظام الشورى الراشدي.

وأمام تنامي دور الشيعة في العراق،وخشية من استفحال أمرها في باقي الأجزاء الإسلامية، وما ينجر عنها بالنسبة للسلطة،خاطب معاوية أهل المدينة،وحذرهم ،قائلا :« **يأهل المدينة، إنّي لست أُحِب أن تكونوا خَلْقاً كَخَلْق العِراق، يَعيبون الشيء وهم فيه، كلّ امرئ منهم شِيعةُ نَفْسه، فاقبلونا بما فينا،فإن ما وراءنا شرٌّ لكم، وإنَّ معروف زماننا هذا مُنكَر زمان مَضى، ومُنْكَرَ زماننا معروفُ زمان لم يأت، ولو قد أتى، فالرَّتْق خَيْرٌ من الفَتْق، وفي كلٍّ بلاغ،ولا مُقام على الرزيّة** »[2].

ونتيجة لسياسة الشدة ، أخذت الكراهية للحكم الأموي تزداد،والحقد والضغينة على معاوية تنمو، وبدأت الوفود تتوافد على الحسين من جميع المناطق الإسلامية وهي تعجّ بالشكوى وتستغيث به نتيجة الظلم والجور الذي حلّ بها، وتطلب منه القيام بإنقاذها من الاضطهاد ، والثورة على معاوية ، ونقلت العيون في يثرب إلى السلطة أنباء تجمّع الناس واختلافهم إلى الإمام الحسين ، وكان على المدينة الوالي مروان بن الحكم ففزع من ذلك وخاف من عواقبه ، فرفع مذكّرة إلى معاوية جاء فيها : «**أمّا بعد فقد كثر اختلاف الناس إلى الحسين، والله إنّي لأرى لكم منه يوماً عصيباً** »[3]،إلاّ أن معاوية كان يدرك وزن الإمام الحسين السياسي والديني والاجتماعي، وشدة معارضته للأمويين، ومدى تعلق المسلمين به ،وبآل البيت، وخاصة أهل العراق الذين حاول أكثر من مرة إخراجه ضد السلطة الأموية، لذا حاول تهدئة الموقف، والتريث في معالج الموقف إلاّ بالتي هي أحسن،فكتب إليه معاوية، «**بأنْ اترك حسيناً ما تركك ولم يُظهر عداوته ويبدي صفحته، واكمن عنه كمون الثرى إن شاء الله**

---

(1) ابن قتيبة: عيون الأخبار،9/1.

(2) ابن عبد ربه:العقد الفريد،4/171-172.

(3) البلاذري:أنساب الأشراف،3/367

**والسلام»**[1]، لكن معاوية حاول تأكيد الأمر من الحسين، فكتب إليه رسالةً جاء فيها: «**أما بعد فقد أفهيت إليّ عنك أمور إن كانت حقاً فإني لم أكن أظنها بك رغبة عنها، وإن كانت باطلاً فأنت أسعد الناس بمجانبتها وبحظ نفسك تبدأ، وبعهد الله توفي، فلا تحملني على قطيعتك والإساءة إليك، فإني متى أنكرتك تنكرني، ومتى تكدني أكدك، فاتق الله يا حسين في شق عصا الأمة، وأن تردهم في فتنة**»[2].فرد عليه الحسين في كتاب يبرز فيه معارضته لأسلوب حكم معاوية وتسلطه على الأمّة الإسلامية، فكان جواب الحسين ﷺ:« **ألستَ قاتلَ حُجْر بن عَدّي وأصحابه المصلّين العابدين ...ظُلماً وعُدواناً، بعد إعطائهم الأمان بالمواثيق والأيمان المغلّظة؟ أولستَ قاتل عمرو بن الحَمِق صاحب رسول الله ﷺ الذي أبلته العِبادة وصفّرت لونه وأنحلت جسمه؟! أولستَ المدَّعي زياد بن سُمَيَّة...وزعمت أنه ابن أبيك وقد قال رسول الله ﷺ :﴿الولد للفراش وللعاهر الحَجَرُ﴾**[3]، **فتركت سنة رسول الله ﷺ وخالفت أمره متعمّداً، واتّبعت هواك مكذّباً، بغير هُدَى من الله، ثم سَلّطته على العراقَيْن فقطع أيدي المسلمين وسملَ أعْيُنَهم، وصلبهم على جذوع النخل، كأنَّك لست من الأمَّة وكأنَّها ليست منك**»[4].

ويضيف الحسين في هجومه لسياسة معاوية،كاشفا لعيوبها ،منتقدا لأسلوبه في الحكم وظلمه للرعية،متحدياً له،قائلاً: «**أولست صاحب الحَضْرَمَيِّن الذين كتب إليك ابن سُمَيَّة أنَّهم على دين عليّ، فكتبت إليه: اقتلْ من كان على دين عليّ ورأيه، فقتلهم ومثل بهم بأمرك، ودين عليّ دين محمّد ﷺالذي كان يضرب عليه أباك، والذي انتحالُك إياه أجلسك مجلسك هذا، ولولا هو، كان أفضل شَرَفِك تجشّمُ الرِحْلَتَين في طلب الخمور، وقُلت: انظرْ لنفسك ودينك والأمّة واتّقِ شقَّ عصا الأُلفة وأن تَرُدّ النّاس إلى الفتنة،فلا أعلم فتنةً على الأمة أعظم من ولايتك عليها، ولا أعلم نَظَراً لنفسي وديني أفضل من جهادك، فإنْ أفعله فهو قُرْبَة إلى ربّي، وإن أتركه فذنبٌ أستغفر الله منه في كثير من تقصيري، وأسأل الله توفيقي لأرشد أموري؛ وأما كَيْدُكَ إيَّاي فليس يكون على أحدٍ أضرَ منه عليك، كفعلك بهؤلاء النفر قتلتهم ومثلت بهم بعد الصُلْحِ من غير أن يكونوا قاتلوك ولا نقضوا عهدك، إلاَّ مَخافةَ أمرٍ لَوْ لم تقتلهم مُتَّ قبل أن يفعلوه، وأماتوا قبل أن يُدركوه، فأبشرْ يا معاوية بالقصاص، وأيقنْ بالحساب**»[5].

---

[1] البلاذري:أنساب الأشراف، 367/3

[2] المصدر نفسه: 367/3.

[3] أنظر ابن عساكر: تاريخ دمشق،198/19، الأصفهاني:حلية الأولياء،167/2،النووي: تهذيب الأسماء ،408/1.

[4] البلاذري:أنساب الأشراف،128/5-129، حسين الحاج :الثورة الحسينية، ص (255-256).

[5] البلاذري:أنساب الأشراف، 129/5-130،حسين الحاج:الثورة الحسينية ،ص 256.

وهكذا نكتشف نضج الفكرة الثورية لدى الإمام الحسين من خلال رده العنيف على معاوية، وحججه البالغة والدامغة، والراسخة،ورفضه لسياسة المداهنة.

وما نصل إليه أن بوادر الثورة الشيعية ،اختمرت ونضجت في السرية التامة، منذ زمن بعيد،تعود إلى تاريخ استلام معاوية للسلطة، وتنازل الحسن عنها،و ما يؤكد ذلك ،قوله لشيعة أخيه لما ألحوا عليه الخروج ، «**قد كان صلح وكانت بيعة كنت لها كارها فانتظروا ما دام هذا الرجل حياً فإن يهلك نظرنا ونظرتم**»[1]،وبذلك رفض الخروج على معاوية حفاظاً على بيعته ، وخشية من الطعن في خروجه.

وظل معاوية في مواقفه وخطبه لأهل الأمصار بين الوعد والوعيد خشية من الانتفاضة، وسعيا للتهدئة،وكسبا للأتباع والأشياع، وتخويفا وتهديدا للمعارضين، هذا ما جعل البعض ينتقد سياسته، ويرفض مواقفه وعلى رأسهم شيعة الحسين بن عليّ.و لم يُستساغ هذا الأسلوب في التعامل لدى كثير من أشراف ووجهاء المسلمين،دفع بالبعض لمناهضة ذلك منهم الشيعة التي رفضت تطبيق مبادئ السياسة الأموية ،وما اتصل بها من مظاهر الحكم المطلق.

ب- **الثورة على توريث الخلافة**

عارض الحسين بن عليّ بشدة بيعة يزيد بن معاوية ورفض توريث الخلافة في البيت الأموي،لأن الأمويين تغلبوا على الخلافة ،وأخذوها بالقوة،وأعلنوا أنهم أهلُها وأصحابها، واستأثروا بها ، مما نفر المعارضين ضدهم ، وعُنْفهم بالمتمردين عليهم[2].

والسبب الذي أجج المعارضة أكثر ضد بني أمية ، قيام معاوية بن أبي سفيان بإعلانه ولاية العهد لأبنه يزيد، ولقي معارضة قوية حين أعلن أنه يريد أن يستخلف ابنه.إذ تصدى فريق من الصحابة له مع نفر من أبناء الخلفاء الراشدين وبعض أزواج النبيﷺ منددين بعملية التوريث للخلافة ومنكرين له،لأنهم رأوا فيه مخالفة لمبادئ الإسلام وتخطياً لهم بتقديم ابنه عليهم وهو أقل منهم صلاحاً وكمالاً وأدنى علماً وجلالاً[3].

وبدأ معاوية يمهد الأمور، بإقناع أهل العراق والحجاز بالبيعة ليزيد ، فالعراق تتواجد به المعارضة الشيعة المعارضة للشام،وفيه ولاة قد قبضوا على ناحية الأمور بقبضة متشددة، أما الحجاز فهو موطن الصحابة وأولادهم، وقد مرّ بهم سوابق اختيار الخلفاء الراشدين ، مما يحملهم على الوقوف موقف المعارضة ،

---

(1) أنساب الأشراف:364/3.

(2) حسين عطوان: الأمويون والخلافة ،ص13.

(3) المرجع نفسه:ص13

وكان الحسين بن عليّ يتزعم أبناء الصحابة ، إلى جانب أهل المدينة،وكانت مظاهر المُلك التي سادت زمن معاوية عاملاً لإثارة مشاعر أهل المدينة ، فأخذوا يقارنون بين معاوية المتشبه بالقياصرة والأكاسرة وبين الخلفاء الراشدين الذين لمسوا عن قرب بساطتهم وزهدهم.

أمام هذا الوضع رأى معاوية أن يرحل إلى الحجاز مستطلعاً رأي أهله ، فرحل إلى المدينة سنة 50هـ(670م) متظاهراً بالحج ، ولكن أبناء الصحابة أجمعوا رأيهم على المعارضة لبيعة يزيد بكل قوة. وعبّر عبد الله بن الزبير عن آرائهم ،حيث يقول ابن قتيبة [1]: « **أما بعد ، فإن هذه الخلافة لقريش خاصة، تنالها بمآثرها السنية ، وأفعالها المرضية مع شرف الآباء،وكرم الأبناء ، فاتق الله يا معاوية وأنصف من نفسك ، فإن هذا عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله ، وهذا عبد الله بن جعفر ذو الجناحين ابن عم رسول الله** ،وأنا عبد الله بن الزبير ابن عمة رسول الله ﷺ ...**وعلي خلَّف حسناً وحسيناً ، وأنت تعلم من هما** ،**وما هما ، فاتق الله يا معاوية ، وأنت الحاكم بيننا وبين نفسك** »،وردّ عليه عبد الله بن جعفر ،قائلاً:«**أما بعد،فهذه الخلافة إن أُخِذَ فيها بالقرآن،فأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، وإن أخذ فيها بسنة رسول الله ،فألوا رسول الله،وإن أخذ فيها بسنة الشيخين أبي بكر وعمر فأي الناس أفضل وأكمل وأحق بهذا الأمر من آل الرسول ؟ وأيم الله لو ولوه بعد نبيهم لوضعوا الأمر موضعه لحقّه وصدقه... فاتق الله يا معاوية فإنك قد صرت راعياً ونحن رعيَّة فأنظر لرعيتك فإنك مسؤول عنها غداً**»[2]. وهذا الموقف بمثابة الرفض لبيعة يزيد لوجود من هو أفضل منه عند خاصة المسلمين أو عامتهم ،تأييدا لموقف المعارضين وعلى رأسهم الحسين بن عليٍّ ، فعاد معاوية إلى الشام دون أن يأخذ البيعة لابنه، وحرص على ألاّ يقطع صلات أهل الحجاز وأعطياتهم،حفاظاً على وحدة الصف.

وما عجل معاوية بأخذ البيعة لابنه يزيد،هي وفاة زياد والحسن بن عليّ،وأختلف المؤرخون حول ذلك، فالطبري[3] وابن الأثير [4] يرجعان البيعة لوفاة زياد وكان قد عارض فكرة البيعة ليزيد بولاية العهد. بينما ذكر ابن قتيبة[5]أن السبب المباشر هو موت الحسن بن عليّ.ونحن نؤيد الرأي الأخير، فمعاوية لا يستطيع أن يأخذ البيعة ليزيد في حياة الحسن، فقد هدأ المعارضون للخلافة الأموية لاطمئنانهم

---

[1] الإمامة والسياسة:1/149-150.

[2] المصدر نفسه:1/149.

[3] تاريخ الرسل: 5/303.

[4] الكامل :3/99.

[5] الإمامة والسياسة :1/151

أن الخلافة ستكون شورى بين المسلمين بعد وفاة معاوية، وأن الحسن حتماً سيليها فلما مات الحسن رأى معاوية أنه في حلٍّ من نقض العهد الذي عقده معه.

أسرع معاوية في طلب البيعة ليزيد بعد وفاة الحسن ، فرأت الشيعة أن مطالبته للبيعة تُعد نقضاً للعهد الذي بينه وبين الحسن. أما أهل العراق فقد انهار صرح آمالهم بالبيعة ليزيد لاعتقاداتهم أنهم سيظلون يعانون من ظلم الولاة الأمويين ، كما رأوا في البيعة استمراراً لانتصار الشام على العراق . أما أهل الحجاز ، الذين شاهدوا البيعة للخلفاء الراشدين فقد أبدوا معارضتهم وعبر أبناء الصحابة على رأسهم الحسين بن عليّ ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن العباس ... عن آرائهم، وكان مبدأ الوراثة غريباً على عقولهم ، حتى أن ابن الزبير سأل معاوية، إن مللت الخلافة فأخرج منها نبايع يزيد[1].

عارض كثير من المسلمين البيعة ليزيد بولاية العهد ،فإلى جانب غضبهم من أن الخلافة أصبحت ملكية وراثية ،وكأنها كسروية أو قيصرية ، فقد كانت صفات يزيد وأخلاقه لا ترضي المسلمين ، ولا يمكن لهم مقارنتها بما كان عليه الخلفاء الراشدين ،بل معاوية نفسه قد اعترف بذلك ، فقال: لن يأتيكم إلاّ من أنا خير منه [2].وتحجج معاوية بأن بيعة يزيد توفر الاستقرار والأمن للدولة الإسلامية ، وتبعد اضطراب أمر المسلمين، وافتراقهم ،وحرصا على وحدتهم ومصلحتهم بعد موته [3]، إذ يقول إني أَتخوف أن أترك أُمة محمد بعدي كالضأن لا راعي يرعاها [4].ولما توفيّ معاوية وخلفه يزيد،رأى الحسين ألاَّ يبايعه بالخلافة.فقد كان الحسين يعتبر نفسه خيرا من يزيد«**أبا وأما ونفسا**»[5].

لكن بمجرد تولي يزيد الخلافة، لم يكن همه إلاَّ إلزام النفر بالبيعة[6]،رغم أنه خالف وصية أبيه،التي ذكر فيه« **انظر أهل الحجاز فإنهم أصلك فأكرم من قدم عليك منهم، وتعهد من غاب عنك من وجوههم، وانظر أهل العراق وإن سألوك أن تعزل عنهم في كل يوم عاملاً فافعل، فإن عزل عاملٍ أهون عليك من أن تشهر عليك مائة ألف سيف، وانظر أهل الشام فإنهم بطانتك وعَيْبتك فإذا رابك من عدو شيء فانتصر بهم ثم ردهم إلى بلادهم فإن هم أقاموا في غيرها فسدت أخلاقهم**»[7]، بينما

---

(1) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة،176/1،الذهبي: تاريخه،149/4.

(2) المبرد: الكامل، 362/4، البلاذري:أنساب الأشراف،5/ 51 ،ابن الأثير :الكامل ،119/3، النويري:نهاية الأرب، 229/20، الذهبي:سير ،159/3، ابن كثير: البداية،143/5، ابن خلدون: العبر،23/3.

(3) حسين عطوان : الأمويون والخلافة ،ص53 .

(4) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة،159/1،الطبري:تاريخ الرسل،304/5، المنتظم:286/5.

(5) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة،162/1،الطبري:تاريخ الرسل، 305/5،النويري: نهاية الأرب:238/20،ابن الأثير: الكامل، 104/3.

(6) ابن خلدون :العبر،25/3.

(7) البلاذري:أنساب الأشراف،154/5، الطبري:تاريخ الرسل، 323/5،

يضيف الطبري[1] «**وإني لست أخاف من قريش إلا ثلاثة: حسين بن عليّ، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير... وأما الحسين بن عليّ فإنه رجل خفيف، وأرجو أن يكفيكه الله بمن قتل أباه، وخذل أخاه، وإن له رحماً ماسة، وحقاً عظيماً، وقرابةً من محمد صلى الله عليه وسلم، ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه، فإن قدرت عليه فاصفح عنه، فإني لو أني صاحبه عفوت عنه**»، لكن يزيد لم يعمل بها ،بل أصر على بيعة الحسين، لأنه يدرك تماماً أن في بيعته ،بيعة العراق،وفي بيعة أبناء الصحابة بيعة الحجاز.ويؤكد ذلك مروان بن الحكم رداً على خالد بن الحكم بعد أن جاء كتابُ يزيد يلزمه ببيعة هؤلاء حيث قال له:خذ بيعتهم، حتى لا يتخلف أحد عن بيعة يزيد[2] ،لكن الحسين رفض أن يبايع سراً، إلاّ إذا اجتمع الناس على البيعة[3].ثم خرج الحسين إلى مكة،ينتظر ما تأتي به الأيام.

وما أثار سخط المسلمين على خلافة يزيد بن معاوية، شخصيته ، وسياسته التي اتسمت في كثير من جوانبه بالتسرع والارتجال والتشدد ،دون النظر إلى العواقب المترتبة في اتخاذ المواقف المصيرية، التي قد تهدم كل ما بناه أبوه معاوية، ويتضح ذلك في أن يزيد بن معاوية وازن في سياسته بين السماحة والخشونة ،فقد دعا الناس إلى الطاعة ، وحبب إليهم فوائد سياسته وحذرهم من الفتنة وعواقبهم ووعدهم أن ينظر في حاجتهم وينفذه ا ، و يعترف بالأخطاء ويصححها ، وفي ذلك يقول بعد موت أبيه :« **إن معاوية كان عبداً من عبيد الله، أنعم الله عليه ثم قبضه إليه وهو خير ممن بعدهُ ودون من قبلهُ، ولا أزكيه على الله فهو أعلم ، فإن عفا عنه فبرحمته ، وإن عاقبه فبذنبه، ولن أني عن طلب ولن أعتذر من تفريط ،وعلى رسلكم إذ أراد الله شيئاً كان**»[4].

وكان يزيد متشدداً في سياسته لبني أمية ، ولا يتهاون في الذود عنها هذا ما أثار نقمة المعارضة عليه وحول ذلك قال عوانة بن الحكم:« **كان صحيح العُقدة فيما يرى، ماضي العزيمة لا يهُمُّ بشيء إلا ركبه**»[5] وما يؤكد ذلك التشدد كتابه إلى الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان،قائلاً له:« **خذُ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديدا ليست فيه رخصة ولا هوادة حتى يبايعوا**»[6]،ثم أعلن عن مقاتلتهم.وبعد أن شعر الحسين بملاحقة عيون يزيد له، قال: « **والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العَلَقَةَ من جوفي، فإذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم من يُذِلُّهم حتى يكونوا أذَلَّ**

---

[1] أنظر تاريخ الرسل:323/5،

[2] ابن قتيبة: الإمامة والسياسة 175/1،البلاذري:أنساب الأشراف،314/5، الطبري:تاريخ الرسل،339/5،المنتظم:323/5.

[3] ابن كثير:البداية،49/5.

[4] البلاذري:أنساب الأشراف،162/5، الطبري:تاريخ الرسل،338/5.، ابن كثير:البداية ،149/5.

[5] البلاذري:أنساب الأشراف،299/5.

[6] البلاذري:أنساب الأشراف،313/5 و368/3، الطبري: تاريخ الرسل، 5/ 338،المنتظم:323/5، ابن كثير:البداية، 149/5.

**من قَرَمِ الأمة»**[1]، إلى جانب رفضه أن يقتل في مكة، ،قائلاً لابن عباس: «**والله لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلي من أن تستحل بي هذه الحرمة غدا**»[2]. ثم رد في موضع أخر«**لأن أقتل خارجا من مكة بشبر أحب إلي من أن أقتل فيها، ولأن أقتل خارجاً منها بشبرين أحب إلي من أن أقتل خارجاً منها بشبر**»[3].

ويبدو أن ما وقع من فتن في عهد خلافة يزيد بن معاوية كان عبارة عن ثورة على ما انتهت إليه حياة المسلمين، أكثر مما كان ثورة على خلافة يزيد نفسه، ولكن قيامه بأمر الخلافة مع ما عُرف من تَرفِهِ ولهوهِ في حياته الخاصة [4]، كان السبب في الكره له والتمرّد عليه ،مما أدى إلى التنافس حول الخلافة بين فروع قريش وأسرها والسابق إليها بين أهل الحجاز ثم العراق والشام [5].

ومجمل الأمر أن أهل الكوفة حرضوا الحسين بن عليّ على الخروج والقدوم عليهم ،عبر كتب ورسائل ووفود،ومبايعته ،اعتقاداً أنهم سيناصرونه ،ويأخذون جانب من الحيطة له،وكان هو يعتقد ذلك، خاصة وانه كان قد أبي بالأمس الخروج إليهم،احتراما لبيعته لمعاوية [6] ،فقد تغير الموقف اليوم،وحانت الفرصة لإحياء الخلافة العلوية ونقل عاصمة الدولة إلى الكوفة.

## 2-برنامج ثورة الحسين

**أ-رفض أهل العراق الخضوع لسلطة الشام** :بعد وصول أخبار وفاة معاوية بن أبي سفيان إلى أهل الكوفة ،ورفض الحسين البيعة ليزيد، اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد،وكتبوا للحسين كتاباً يدعونه للقدوم،مبرزين مطالبهم في قتال بني أمية،رافضين لعماله،قائلين للحسين:« **إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق. والنعمان ابن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتى نلحقه بالشأم إن شاء الله؛ والسلام ورحمة الله عليك**»[7].

وهذا الكتاب يكشف مدى تشيع أهل الكوفة لآل البيت وسعيهم للتخلص من الحكم الأموي، ورفضهم لسياسة الابتزاز التي مارسها عمال معاوية ضدهم،باغتصابه لسلطة العراق من أصحابها

---

(1) ابن كثير:البداية ، 170/5.

(2) البلاذري:أنساب الأشراف:363/3.

(3) المصدر نفسه:375/3.

(4) ابن خلكان:وفيات الأعيان :3/ 287 ،ابن كثير: البداية ،227،228/5.

(5) حسين عطوان : الأمويون والخلافة ص 94.

(6) أنظر يوسف العش:الدولة ألأموية،،ص168،169.

(7) الطبري:تاريخ الرسل، 352/5،ابن الأثير: الكامل،133/3،النويري:نهاية الأرب:241/20.

الشرعيين، ومن العراقيين وجعلها في أهل الشام، وقتل خيارهم، واستبقى شرارهم.ونتيجة لذلك أكد أهل الكوفة في رسائلهم وإجاباتهم للحسين على مقاتلة بني أمية، حيث يقول عابس بن أبي شبيب الشاكري«...**والله لأجيبنَّكم إذا دعوتم، ولأقاتلنَّ معكم عدوكم، ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله، لا أريد بذلك إلا ما عند الله** »[1]،وهذه المواقف الرافضة لسلطة بني أمية،تعبر عن سعي العراقيين للتحرر من الارتباط بأهل الشام، والعودة إلى ما كانت عليه العراق في عهد الخليفة عليّ بن أبي طالب، حتى يكون لهم الاستقلال المالي والإداري، ويقون فيئهم في بلدهم.

**ب- حق أهل البيت في الخلافة**

وبعد تحرك الحسين نحو الكوفة، أقبل حتى إذا بلغ الحاجر [2] من بطن الرُّمَّة [3] بعث قيس بن مسهر الصيداوي إلى أهل الكوفة، وكتب معه إليهم «**أما بعد فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم، واجتماع ملأكم على نصرنا، والطلب بحقنا ...**»[4]،ويضيف الحسين « **أما بعد، فإن الله اصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم على خلقه، وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه الله إليه وقد نصح لعباده، وبلّغ ما أرسل به صلى الله عليه وسلم، وكنا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته وأحق الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه، وقد أحسنوا وأصلحوا، وتحروا الحق، فرحمهم الله، وغفر لنا ولهم** »[5]. وفي طريقه إلى الكوفة التقى بالجيش الأموي، ف خاطبهم بعد صلاة العصر موضحا برنامجه من القدوم عليهم،قائلاً« **أما بعد، أيها الناس، فإنكم إن تتقوا وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى لله، ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان، وإن أنتم كرهتمونا، وجهلتم حقنا، وكان رأيكم غير ما أتتني كتبكم، وقدمت به علي رسلكم، انصرفت عنكم** »[6]. هذه الكتب والرسائل من قبل الحسين

---

[1] الطبري: تاريخ الرسل 355/5

[2] منزل للحجاج بالبادية. أنظر معجم البلدان:159/3، والحاجِرُ: بالجيم والراءِ وهو في لغة العرب ما يمسك الماء من شَفة الوادي وكذلك الحاجور وهو فاعل وهو موضع قبل معدن النقرةَ. أنظر معجم البلدان:204/2.

[3] قاع عظيم بنجد تصب فيه مجموعة أودية.أنظر الحموي: معجم البلدان،449/1.

[4] البلاذري:أنساب الأشراف:378/3، الطبري: تاريخ الرسل، 394/5-395،ابن كثير: البداية ،168/5،النوير:نهاية الأرب: 20 /257-258.

[5] الطبري:تاريخ الرسل، 357/5،ابن كثير:البداية ،160/5،159.

[6] البلاذري:أنساب الأشراف:380/3. الطبري:تاريخ الرسل، 402/5،ابن الأثير:الكامل،158/3، النوير :نهاية الأرب: 20 /261.

لشيعة بالكوفة ،تحدد الغاية من خروجه،لاسترجاع حق آل البيت في الخلافة،التي لا يحق لغيرهم توليتها ، لأنهم ورثوها عن الرسول ﷺ.

وبذلك فإن برنامج الحسين وشيعته يدعوا إلى إرجاع الخلافة إلى أصحابها الشرعيين ، وترسيخها في أبناء أهل البيت ،الذين لهم الحق في توارثها ،عن غيرهم من الأميين حسب اعتقادهم.

**ج- الدعوة إلى الإصلاح:** لكل ثورة هدف،ولكل قائد ثورة، لها غاية منشودة يبغي تحقيقها، ولا يخفى أن للإمام الحسين متطلبات ثورية وهي الخلافة ،اعتمدها من وراء ثورته من أجل الوصول بها إلى غايته الكبرى وهدفه الأعلى وهو إصلاح المجتمع وإعادة النظام الإسلامي كما كان على عهد أبيه رضي الله عنه وجده ﷺ . وطبيعي أن هذا الهدف لا يتم إلا عن طريق السلطة لتنفيذ محاور البرنامج،لذلك يرى الحسين أن من يتولّى زمام الأمة الإسلامية يجب أن يقوم بتحقيق العدالة بين سائر الناس ويحكم بالقسط بين سائر البشر، أما إذا انحرف عن خط الرسالة الإسلامية، وظلم وجار، ونكث عهد الله، وخالف كتابه، وسنة نبيه، وعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، وأظهر الفساد، وعطل الحدود، كما فعل معاوية ابن أبي سفيان وابنه يزيد من بعده، فعندها يجب أن ينهض كل فرد في الأمة على مبطلي[1]الحق والعدل.

أجل أن الحسين رضي الله عنه كان ثائراً من اجل إحقاق الحق ونشر العدل والخير والسلام، والحق لا يتحقق من طريق الباطل، والعدل لا ينتشر بواسطة الظلم، والخير لا يعطي على أيدي المبطلين، والسلام لا يعم عـــن طريق التواكل والتهاون.

وقد أكد الحسين على مطالب برنامجه الإصلاحي،وسبب خروجه، في كثير من كتبه ورسالاته وخطبه ، حيث يقول:« **فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله** »[2]،وبذلك فالإمام « **الحسين أراد السلطة لاستخدامها في مصلحة المجتمع ولخدمة الدين، ورفع كلمة الإسلام** »[3].ومن أجل الثورة والتغيير الشامل ،قال الحسين:واني ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنما خرجت أريد الإصلاح في أمة جدي [4].وفي رسالة أخرى كتبها الحسين إلى شيعته بالبصرة ،جاءت نسخة واحدة إلى جميع أشرافها ، ورءوس أخماسها منهم مالك بن مسمع البكري، و الأحنف بن قيس، و المنذر بن الجارود، و مسعود بن عمرو، وقيس ابن الهيثم، وعمرو بن عبيد الله بن معمر،جاء فيها،«...**وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله**

---

[1] حسين الحاج:النظم الإسلامية،ص197.

[2] الطبري:تاريخ الرسل، 353/5، ابن الأثير: الكامل،133/3، ابن خلدون:العبر،27/3.

[3] حسين الحاج: النظم الإسلامية ،ص94-95.

[4] المرجع نفسه:ص143.

**عليه وسلم، فإن السنة قد أميتت، وإن البدعة قد أحييت** »[1]، وبعد أن منعت قوات الحر الحسين من دخول الكوفة،قام خطيباً في أصحابه وأصحاب الحر بالبيضة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن رسول الله ﷺ ،قال: « **من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله، ناكثا لعهد الله، مخالفا لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقا على الله أن يدخله مدخله. ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وأنا أحق من غير... ألا ترون أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه...فإني لا أرى الموت إلا شهادة، ولا الحياة مع الظالمين إلاَّ برما** »[2]،وتجلَّت المحاور الكبرى للبرنامج الإصلاحي للحسين من خلال خطبه والرسائل المتبادلة بينه وبين أهل الكوفة ،والذي بايعت عليه الشيعة مسلم بن عقيل في النحو التالي:

1 الدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله .

2 جهاد الظالمين و مقاومة السلطة الجائرة والدفع عن المستضعفين.

3 إعطاء المحرومين، وقسمة الفيء بين المسلمين بالسوية.

4 إقامة الحدود (تطبيق الشرع).

5 رد المظالم إلى أهلها،ونصرة أهل البيت والمسالمة لمن سالموا،والحرب لمن حاربوا دون ردّ لقومهم.

6 طلب السمع والطاعة كشرط أساسي لتحقيق برنامج الخروج على بني أمية.

7 تصحيح الانحراف الذي أصبحت عليه الأمة والسلطة.

وهذه الرسائل والكتب كاستدلالات من قبل الحسين عن شدة ظلم وجور بني أمية وتعطيلهم للكتاب والسنة،تحفيزا لشيعته،وتهويلاً من بني أمية،وهي من غايات خروجه لاسترجاع الخلافة وتوريثها في آل البيت.

## 3- سير تنفيذ البرنامج والثورة

---

[1] الطبري:تاريخ الرسل، 357/5،ابن كثير:البداية ،160/5،159.

[2] الطبري: تاريخ الرسل، 403/5-404،ابن الأثير: الكامل،159/3،النويري:نهاية الأرب،262/20.

تجنب الحسين بن عليّ الخروج على معاوية ،حفاظا على بيعته ،وأن المسلمين أجمعوا على بيعته في عام 40هـ/660م ،فأمر شيعته بالركون إلى الهدوء حتى تنتهي حياة معاوية ويعود الأمر إلى الحسن كما وعده معاوية بذلك فقال لهم:« **ليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته ما دام معاوية حياً ، فإنها بيعة كنت والله لها كارهاً ،فان هلك معاوية نظرنا ونظرتم،ورأينا ورأيتم** »[1]،لكن بعد وفاة معاوية، تحرر الحسين ،وليس في عنقه بيعة ليزيد ،وكان يرى أن بني أمية لم يلتزموا حدود الله وسنة نبيه وجاروا وظلموا ،فحق له الخروج عليهم، وبما أن ليست هناك بيعة في عنقه نحوهم [2]،إلاَّ أن هذا لم يكن سبباً مباشراً للخروج،بل كتب ورسل أهل الكوفة التي جاءت الحسين حتى في حياة معاوية كما ذكرنا سابقاً في الأسباب يستدعونه إليهم،فأبى ذلك عليهم،فراسلوا محمد بن عليّ بن أبي طالب،المعروف بابن الحنفية،فقصد ابن الحنفية أخاه الحسين يستشيره ،فقال له الحسين:«**إن القوم إنما يريدون أن يأكلوا بنا،ويستطيلوا بنا،ويستنبطوا دماء الناس ودماءنا.فأقام الحسين على ما هو عليه من الهموم،مرة يريد أن يسير إليهم،ومرة يجمع عن الإقامة عنهم**»[3].

وتسارعت الشيعة إلى دعوة الحسين ليولوه الخلافة في العراق لعدم اقتناعهم واعترافهم بالخلافة الأموية ،وقالوا«**أن الإمامة لا يستحقها إلاَّ الفاضل الذي يعرف فضله وتقدمه على جميع الأمة في ظلال الخير**»[4]، وفي ذلك يروي الدينوري[5]أنه«**لما بلغ أهل الكوفة وفاة معاوية وخروج الحسين بن عليّ إلى مكة،اجتمع جماعة من الشيعة في منزل سليمان بن صرد واتفقوا على أن يكتبوا إلى الحسين يسألونه القدوم عليهم، ليسلموا الأمر إليه،ويطردوا النعمان بن بشير،فكتبوا إليه بذلك**»،كما ذكرنا في برنامجه سابقا،وهذا بعد أن رسمت شيعة العراق منهجا لتحقيق أمالهم ومستقبلها السياسي،فسعت أولاً إلى أن تؤول الخلافة إلى أبناء فاطمة وارثة الرسول الحقيقية،ثم يطردون والي يزيد،ويطلبون من الحسين مغادرة الحجاز إلى العراق.

وتتابعت كتب أشراف الكوفة على الحسين حتى بلغت خمسين كتابا،وكان أخرها :« **أما بعد، فقد اخضر الجناب، وأينعت الثمار، وطَمَّت الجِمام، فإذا شئت فأقدم على جندٍ لك مجنَّد؛ والسلام عليك** »[6]،وأمام الكتب المتلاحقة،ووعود أهل الكوفة المغرية والمشجعة للخروج،رأى الحسين أن

---

(1) الإمامة والسياسة :1/142، الدينوري: الأخبار الطوال، ص 205،البلاذري:أنساب الأشراف،3/ 365.

(2) أنظر يوسف العش: الدولة الأموية،ص166،167.

(3) ابن كثير:البداية،5/163.

(4) ابن نشوان:الحور العين ،ص203

(5) الأخبار الطوال :ص212، الطبري:تاريخ الرسل، 5/352،ابن الأثير: الكامل،3/133،النويري:نهاية الأرب،20/386.

(6) البلاذري:أنساب الأشراف،3/ 370، الطبري:تاريخ الرسل، 5/353، ابن كثير:البداية ،5/153.

يستجيب لدعوتهم ويشخص إليهم. وللتحقق من صدق نيتهم وكتبهم،أرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن أبي طالب،ليمهد له الطريق ويعرف أهواء الناس واستعدادهم.

قدم مسلم بن عقيل إلى الكوفة،فتسارعت الشيعة إليه وبايعته.وساعد على نجاحه في مهمته أن النعمان بن بشير والي الكوفة كان« **حليما ناسكا يحب العافية**»[1]،ولذا نراه« **يضرب عن ذلك صفحا ولا يعبأ** »[2].لكن السلطة الأموية لم ترض عن موقف النعمان من مسلم والشيعة،فاتهموه بالضعف ، رغم دفاعه عن نفسه[3].فكتب الأمويون إلى يزيد بأمر النعمان،فعزله،ورأى أن زياد هو الشخص الوحيد الذي يمكنه الوقوف في وجه الحسين [4]،حيث وضع العيون والمراصد لتتبع أخبار الحسين وكتبه،حتى تمكن المنذر بن الجارود[5]–كان ابن زياد قد تزوج ابنته– أن يطلعه على رسالة الحسين، ونشاط مسلم ابن عقيل[6]،مما جعله يتحرك على جناح السرعة إلى الكوفة ،فلما دخل الكوفة ملثما ظنه أهلها الحسين، فكانوا يوجهون إليه التحية والسلام.وعلم ابن زياد أن مسلم ابن عقيل يختفي في بيت هانئ بن عروة المرادي،فأرسل من يطلب هانئا،وكان هانئ مقداما ثابت الجنان،فجرؤ على أن ينصح ابن زياد بمغادرة العراق ،فقال:«**تَشْخَصُ إلى أهل الشام أنت وأهل بيتك سالمين بأموالكم، فإنه قد جاء [حق] مَنْ هو أحق من حقك وحق صاحبك**»[7].ولكن ابن زياد قتل هانئا،فخرج أبو مسلم لينتقم ويثأر من قاتل هانئ ،صحبه ثلاثون ألفا من آهل الكوفة [8] ،وحاصر ابن زياد في قصره،وكان في ثلاثين من وجوه الكوفة [9]، إلاَّ أن خيانة العراقيين،أدت إلى تضاءل الآلاف الثلاثون حتى أصبحت ثلاثين رجلاً فقط[10]، ثم أصبح ابن عقيل وحيداً[11]،ثم ألقى ابن زياد القبض على مسلم،فتركته الشيعة يلقي مصيره

---

(1) الطبري: تاريخ الرسل،306/5، ابن الأثير:الكامل ،163/3.

(2) ابن كثير:البداية ،154/5.

(3) الطبري :تاريخ الرسل، 348/5، ابن حجر: تهذيب ،302/2،الذهبي: سير،306/3، المنتظم:325/5

(4) الجهشياري:الكتاب والوزراء ،ص19.

(5) واسمه بشر بن عمرو بن حبيش بن المعلى بن يزيد بن حارثة بن معاوية العبدي، وكان سيداً جواداً شريفاً ولي إصطخر لعلّي، ثم ولي ثغر الهند من قبل عبيد الله بن زياد، فمات هناك سنة إحدى وستين، وله ستون سنة(الذهبي: تاريخ الإسلام،256/5).

(6) الدينوري:الأخبار الطوال:ص214،ابن الأثير :الكامل،135/3،النويري:نهاية الأرب،243/20.

(7) المسعودي:مروج ،98/3.

(8) المصدر نفسه:( فأجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة)

(9) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين،ص104،ابن الأثير: الكامل،3/ 142، أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر ،235/1

(10) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر ،235/1.

(11) الاصفهاني:مقاتل الطالبيين ص104، ابن الأثير::الكامل ،142/3،ابن كثير:البداية ،157/5.

بمفرده، فكانت آخر كلمة تفوه بها وهو في طريقه إلى أعلى القصر حيث قذف به من هناك:« **اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وكذبونا ثم خذلونا وقتلونا**»[1].

لما علم يزيد بن معاوية بمقتل مسلم بن عقيل ، وخروج الحسين إلى الكوفة ،كتب إليه :«... **أن الحسين بن عليٍّ قد توجه نحو العراق؛ فضع المناظر والمسالح، واحترس على الظن، وخذ على التهمة، غير ألا تقتل من قاتلك**»[2] وهذه الرسالة تنبه زياد للاحتياط والحذر من قتل الحسين،إلاَّ إذا بادر بالقتال،خاصة وأن كتاب مسلم بن عقيل وصل إلى الحسين يحثه على الخروج ،قائلاً: :« **إن الرائد لا يكذب أهله ، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألف رجل، فأقدم فإن جميع الناس معك ولا رأي لهم في آل أبي سفيان** »[3]،هذا ما جعل الحسين يتشجع ويثق كل الوثوق في أهل الكوفة، ثم يخرج من مكة إلى الكوفة في 8 من ذي الحجة سنة 60هـ/680م وحاول الكثيرون أن يمنعوه وينهوه عن عزمه ويذكروه بتخاذل أهل العراق بأبيه وبأخيه من قبل، ولكنه أصّر على الرحيل . وعندما بلغ الحسين القادسية علم بقتل مسلم،فآثر العودة.ولكن إخوة مسلم أصروا على السير قدما للأخذ بثأره [4]، وأرسل ابن زياد عمر بن سعد بن أبي وقاص لقتال الحسين،ولكنه تباطأ في قتاله،فبعث شمر بن ذي الجيوش والحصين بن نمير وشبث بن ربعي في جيش عدته عشرون ألفا ما بين فارس وراجل [5]،ليقاتلوا الحسين وكان في تسعين نفسا ما بين رجل وامرأة[6].

كانت كربلاء هي النقطة الفاصلة في خروج الحسين وأصحابه ،لا شك وأن أهل العراق حينئذ يحملون اكبر جانب من المسئولية.فشيعة البصرة لم تحرك ساكنا،ولفت الحسين نظرهم إلى ذلك،ولكنهم استمروا في استكانتهم.أما شيعة الكوفة وهم الذين راسلوا الحسين،فقد كان زعيمهم سليمان بن صرد، وهو اعلم الناس بهم،غير مطمئن إلى ثباتهم على موقفهم [7].و لم تمهد الشيعة الأمور قبل قدوم الحسين إليهم،فلم يتخلصوا من أمرائهم أو يطردوا بني أمية،ونرى هذا واضحا فيما قاله عبد الله بن عباس للحسين:« **أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدوهم؟ فإن كانوا فعلوا ذلك فسر إليهم، وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر لهم وعماله تجبي بلادهم فإنما دعوك إلى**

---

(1) المسعودي:مروج ،69/3.

(2) الطبري :تاريخ الرسل، 380/5-381،الزركلي: الأعلام،193/4.

(3) الدينوري:الأخبار الطوال: ص 224.

(4) المسعودي،مروج ،70/5،الطبري :تاريخ الرسل، 389/5، ابن كثير:البداية،169/5.

(5) ابن الصباغ:الفصول المهمة ، ص180.

(6) البيهقي:المحاسن والمساوئ ،ص56.

(7) الطبري :تاريخ الرسل،352/5.

**الحرب، ولا آمن عليك أن يغزوك ويكذبوك ويخالفوك ويخذلوك ويستنفروا ويخذلوك ويستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك»**[1].

و لم يكن موقف الشيعة من الحسين خيرا مما كان موقفهم من مسلم،فقد تفرقوا عنه وامتنعوا عن مؤازرته«**حتى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من المدينة** »[2]،وبذلك أدرك الحسين تخاذل الشيعة، فطلب من أصحابه الذين قدموا معه من المدينة التفرق عنه،لأنهم« **إنما اتبعوه لأنه يأتي بلدا قد استقامت له طاعة أهلها، فكره أن يسيروا معه إلاَّ وهم يعلمون على ما يقدمون** »[3].

وقد أكد بعض الكوفيين للحسين واقع الشيعة هناك،وما تعرضت له من رشوة، أضعفت موقفها وعجلت بخيانتها،بعد قدوم أربعة نفر منهم على الحسين ، فسألهم عن حالة الكوفة وشيعته بها، فقال أحدهم :« **أما أشراف الناس فقد أعظِمتْ رِشْوَتُهم، وملئت غَرائرُهم، يُسْتمال ودّهم، ويستخلص به نصيحتهم، فهم ألبٌ واحدٌ عليك، وأما سائر الناس بعد، فإن أفئدتهم تَهوِي إليك، وسيوفَهم غداً مشهورةٌ عليك** »[4]. ويذكر المؤرخ فان فلوتن [5] أن الشيعة قد نسيت حقوق آل البيت بعد ما أغدقت عليهم الحكومة الأموية من أعطيات وأرزاق ، فدانوا لها بالخضوع والطاعة ، فكانوا كما قال الفرزدق للحسين :« **قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية**»[6].

وهذا أبو سعيد الخذري يرجو الحسين أن لا يستسلم لأهل الكوفة فيقول:« **يا أبا عبد الله ،إني لكم ناصح وأني عليكم مشفق... فلا تخرج فإني سمعت أباك بالكوفة يقول : والله لقد مللتهم وأبغضتهم وملوني وأبغضوني وما بلوت منهم وفاء ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخيب والله مالهم ثبات ولا عزم على أمر ولا صبر على السيف**»[7]، وهذا عبد الله بن مطيع ،يحذره ويقول:« **فإذا أنت أتيت مكة فإياك أن تقرب الكوفة، فإنها بلدةٌ مشئومة، بها قتل أبوك، وخذل أخوك، واغتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه؛ ألزم الحرم... ويتداعى إليك الناس من كل جانب** »[8] كما قال عمر بن عبد الرحمن ابن الحرث للحسين :« **قد بلغني أنك تريد العراق، وإني مشفقٌ عليك، إنك تأتي بلداً فيه عماله**

---

(1) ابن الأثير:الكامل ،3/147-148، النويري:نهاية الأرب،20/254.

(2) الطبري :تاريخ الرسل، 5/399،ابن الأثير: الكامل،3/152،ابن كثير: البداية،5/169.

(3) ابن كثير:البداية،5/169.

(4) الطبري:تاريخ الرسل، 5/405،ابن الأثير: الكامل،3/160، النويري:نهاية الأرب،20/263،ابن كثير:البداية،5/174.

(5) السيطرة العربية: ص 75،76.

(6) ابن الأثير: الكامل،3/150، النويري: نهاية الأرب،20/256، ابن كثير:البداية ،5/167.

(7) ابن عساكر: تاريخ دمشق،14/205،المزي: تهذيب الكمال،6/413،ابن كثير:البداية(**دار إحياء التراث العربي**)،8/174.

(8) الطبري:تاريخ الرسل، 5/351، ابن الأثير: الكامل،3/132،النويري: نهاية الأرب:20/240،المنتظم:5/327.

**وأمراؤه ومعهم بيوت الأموال، وإنما الناس عبيد الدينار والدرهم، فلا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ومن أنت أحب إليه ممن يقاتلك معه** »[1]،رغم أن ابن خلدون[2] توقع نتيجة هذه المأساة التي شهدها كربلاء ،وتوقع انتصار الأمويين« لأن عصبية مضر كانت في قريش وعصبية قريش في عبد مناف، وعصبية عبد مناف إنما كانت في بني أمية، تعرف ذلك لهم قريش وسائر الناس، ولا ينكرونه»، وبذلك فإن عصبية الحسين أضعف من عصبية بني أمية،فكان انهزامه.بينما يقول ابن العربي [3] أيضاً : «**لولا معرفة أشياخ وأعيان الأمة بأنه أمر صرفه الله عن أهل البيت،وحال من الفتنة لا ينبغي لأحد أن يدخلها ما أسلموه أبداً** »،وهي الحقيقة التي آل عليها آل البيت،ويؤكد ذلك عبد الله بن عمر بن الخطاب للحسين بن عليّ،قائلاً:« **إني محدثك حديثاً ، إن جبريل أتى النبي ﷺ فخيّره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا ،وإنك لبضعة من رسول الله ﷺ والله ما يليها أحد منكم أبداً ، وما صرفها الله عنكم إلا للذي هو خير لكم** ».إلاّ أن الحسين أصرّ على المضي في طريقه إلى العراق، فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال« **أستودعك الله من قتيل !!**»[4]، وقاتلهم الحسين في كربلاء حتى استشهد[5]،في العشر من عاشوراء سنة61هـ/681م.

## 4- نتائج ثورة الحسين

### أ-النتائج السياسية

كان لاستشهاد الحسين بهذه الصورة المأساوية نتائج خطيرة على شيعته،وعلى الدولة الأموية. فقد عاش أنصار الشيعة عقدة الذنب مثقلة بمرارة الموقف الانهزامي الذي وقفوه إزاء كربلاء. وتُحرج النظام الأموي الذي لم يُقدر فظاعة المأساة، وكان عليه أن يجابه نتائجها السريعة والمستقبلية التي أخذت تنعكس منذ ذلك الحين على بنية هذا النظام. وليس ثمة شك أن يزيد كان المسؤول الأول عن مجزرة كربلاء، وكان مَسوقاً إلى ارتكابها بدافع من قصر النظر وعدم وضوح الرؤية، فقد اثبت فشله الذريع في تبؤ مركز خطير في الخلافة، ذلك المركز الذي بذل في سبيله معاوية كل إمكانياته وصرف كل جهوده من اجل الحفاظ عليه. ها هو يزيد يكاد يقضي بتصرف ارعن على كل انجازات أبيه برغم توصيات هذا الأخير له بعدم الصدام مع الحسين.

---

(1) الطبري:تاريخ الرسل، 382/5ابن الأثير: الكامل ،147/3، النويري: نهاية الأرب،254/0.

(2) المقدمة: ص270.

(3) العواصم من القواصم : ص 338-339.

(4) البخاري:التاريخ الكبير ،356/1، ابن قتيبة: عيون الأخبار، 211/1،البلاذري:أنساب الأشراف،374/3 ،375، ابن عساكر: تاريخ دمشق،14/ 201،202، الذهبي:سير،292/3، ابن كثير:البداية ،162/5، ابن حجر:تهذيب ،307/2.

(5) ابن قتيبة:الإمامة والسياسة ،6/2.

والواقع أن الدولة الأموية، لم تلبث أن أخذت تجني ثمرة كربلاء بصورة غير متوقعة وبدت عاجزة عن صد تيار الثورة الذي عم مختلف مناطق الدولة في الحجاز والعراق.

كان لاستشهاد الحسين بن عليّ نتائج هامة في تاريخ العراق عامة وتاريخ الشيعة خاصة ، كما كان له آثار واضحة في العالم الإسلامي، لكون المسؤولية الكبيرة تقع على الشيعة ،لأنهم كانوا وراء انتصار الأمويين،رغم أنهم أعداؤهم ،بعد أن راسلوه واستقدموه، ثم تخلوا عنه في اللحظة الأخيرة وتركوه يصارع القوة الطاغية وحده،ثم أن الشيعة لم ينفذوا الخطة التي اجمعوا عليها أثناء اجتماعهم الأول في منزل سليمان بن صرد،بل أنهم مع ذلك لم يحركوا ساكنا مقابل إغراءات الأمويين بالهِبات والعطايا فنسوا في غمرة هذه المزايا حقوق العلويين، وانقسموا وركنوا وخضعوا.

كانت واقعة كربلاء سيئة الأثر على المسلمين،فقد أنتجت ضروبا من الشقاق والجدال بينهم كما خلفت في العراق وفارس شعورا عدائيا ضد بني أمية،استغله أحفاد العباس فيما بعد لمصلحتهم الشخصية وتقويض دعائم الدولة الأموية،كذلك أدت هذه الواقعة إلى تطور التشيع،إذ كان قبل مقتل الحسين رأيا سياسيا نظريا،فلما قتل أصبح عقيدة راسخة في نفوس الشيعة[1].

لم تدرك السلطة الأموية بأن قتل الحسين، أثر على تحريك قوة المعارضة ، وحدوث أزمة سياسية عنيفة في دمشق واجهت النظام الأموي وكادت أن تقضي عليه[2].وتفاقم التطاحن بين القبائل حتى بلغ مرحلة من الخطورة نتيجة لاختلاف البيت الأموي والعربي حول من يتولى أمر الخلافة ،هذا ما شجع الشيعة على توحيد صفوفها ومواقفها تحت النداءات (يالثارات الحسين) هذا النداء الذي سار في الأفاق سير النار في الهشيم، فاقبل الموالي من الفرس على الفكر الشيعي والذين تلهفوا على الخلاص من حكم العرب[3].

انتقال الثورة إلى المدينة ومنطقة الحجاز وإجماع أشرافها على خلع يزيد ومبايعة عبد الله بن حنظلة الأنصاري ،ثم طرد وإخراج الأمويين من المدينة.

لقد أثرت مطالب الشيعة على السلطة الأموية اشد التأثير ،دفعها إلى الانشغال بالحركات الداخلية وخاصة منطقة العراق،وشعور الشيعة بالندم لتخليهم عن الحسين وعدم نصرته ،وقد عبر عمر ابن سعد بن أبي وقاص عن ذلك وهو نادم أشد الندم ،على موقفه من الحسين قائلا :« **لا تسأل عن**

---

(1) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام،399/1.

(2) فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية،ص166.

(3) محمد الأمين بدوي: الشيعة ونشاطهم السياسي ،ص 110، 111.

**حالي،فإنه ما رجع غائب إلى منزله بشر مما رجعت به، قطعت القرابة القريبة،وارتكبت الأمر العظيم**»[1].وبمقتل الحسين أصبح التشيع حزبا سياسيا له شأنه وبرنامجه، بعد أن وضُحت أهدافه وامتزج في قلوب من اعتنقه ،وهذا في حد ذاته يعد خطرا على بني أمية.

استيقاظ آل الحسين بعد مقتله،وعملوا على كسب شيعة الكوفة بعد أن أوشك الحسين أن يفقدها،ثم أن هذه الفاجعة ساعدت على فتح التعاطف مع آل البيت والانضمام إلى الحزب بأعداد كبيرة بعد أن ألمهم هذا الحدث الخطير،جعل الشيعة يكتسبون حجة قوية على الأمويين فيما ارتكبوه من قسوة وعنف تجاه آل البيت ،وأصبح الكل يُقر بأحقيتهم وأسبقيتهم للسلطة[2].

تزايد رقابة الأمويين الصارمة للكوفة وأهلها بعد رسوخ التشيع فيها ، من يوم إلى أخر ، والتشدد في الإجراءات والأساليب الزجرية القمعية، الشيء الذي انعكس على الأمويين في الكوفة ، بقيام سكانها بطرد عمرو بن حريث ممثل الأمويين وتولية عامر بن مسعود مكانه ،إضافة إلى قيام عدد من الثورات في الكوفة بعد ثورة الحسين[3]،وهذا فلهاوزن[4]يرى أن الموالي قد اندفعوا بقوة نشاطهم إلى صفوف المعارضة الشيعية ،وشاركوا في معظم ثوراتهم مشاركة فعالة وقوية على الصعدين العملي ثم النظري ،وتطوير فكرهم وفق ما يخدم مصالحهم.

كان لمقتل الحسين تأثير حتى على الخليفة يزيد بن معاوية،حيث دمعت عيناه وقال:« **ويحكم،قد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين ،لعن الله ابن مرجان ،أما والله لو كنت صاحبه لعفوت عنه،رحم الله أبا عبد الله [...] ثم أمر بالذرية فادخلوا دار نسائه.وكان يزيد إذا حضر غذاؤه دعا عليّ بن الحسين وأخاه عمر فيأكلان معه**»[5].

وهكذا نخلص أن يزيد بن معاوية رغم إصراره على منع الحسين قبل قتله من الوصول إلى الكوفة،خشية من تمرد أهل لكوفة ضده ودعمهم للحسين،لكنه لم يقبل يوما ما أن يقتل الإمام الحسين، لأنه سيجلب له مشاكل كثيرة وهو في منأي عنها،وابن صحابي جليل.

**ب–النتائج الاجتماعية**

---

(1) الدينوري الأخبار الطوال، ص 239.

(2) محمد الأمين بدوي:الشيعة ونشاطهم السياسي، ص 109.

(3) المرجع نفسه: ص 110.

(4) فلهاوزن: الخوارج والشيعة ،ص 176.

(5) الدينوري: الأخبار الطوال،ص240،الطبري:تاريخ الرسل، 460/5.

سقوط عدد كبير من القتلة من صفوف أتباع الحسين وأهله وقتله هو الأخر، وأول من قتل عليٍّ بن الحسن (عليٍّ الأكبر)،ثم عبد الله بن مسلم بن عقيل ،وعدَّي بن عبد الله بن جعفر الطيار،وعبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب،محمد بن عقيل بن أبي طالب ،القاسم بن عليّ بن أبي طالب، أبو بكر بن الحسن بن عليٍّ [1]، وقتل الحسين في سنة إحدى وستين يوم عاشوراء ،قتله الفاسق سِنَان بن أبي انس الاشجعي، وجاء برأسه خولي بن يزيد الاصبحي إلى عبيد الله بن زياد [2].و لم ينجوا من أصحاب الحسين وأولاده وأولاد أخيه ،إلاَّ ابناه عليّ الأصغر، و عمر ، و لم يسلم من أصحابه إلاَّ رجلان [3]،وبعد استقرار الوضع ،أمر يزيد بتهجير ما بقي من أهل الحسين بأحسن جهاز ،نحو المدينة[4].

وما يؤخذ على الحسين أنه تخلى عن اليمن والحجاز وفي هذين القطرين أنصاره وشيعته القوية التي تأخذ بها الأهواء ، وهي بعيدة عن مركز الخلافة وتمتاز بكثرة شعابها ومناعة حصونها ، وكان من الممكن للحسين أن يتبع نصائح من نصحوه وخاصة ابن عباس ﷺ من خلال ما أبداه له نصحه،بهذا قائلاً :« **سير إلى اليمن فإن به حصوناً وشعباً ولأبيك به شيعةً ،وكن عن الناس حتى تعزل وأكتب إليهم وبث دعاتك فيهم ،فإني أرجوا إذا فعلت ذلك أن يكون ما تحب**»[5].

وبذلك فإن ابن عباس متفهماً للواقع الحقيقي الذي يلاحق الحسين إن لم يحسن المشورة والتخطيط المحكم لحركته، بعيداً عن أعين بني أمية وعمالها، وبالتالي يجنب القتل لأتباعه وشيعته، ويمكنها من النضج الكامل وفي السرية التامة، لكنه ركب أفكار رأسه وأراء شيعته بالكوفة فأجهضوا عليه وعلى أهله وبرنامجه.«**وحين لم يفحص الحسين عن بواعث خروجه ،فإن المجال قد أصبح مفتوحاً للتكهنات من قوم من الشيعة لتفسير خروجه وتفسير حكمة الله في مقاتل آل البيت على هذه الصورة الرهيبة ومن ثم أصبحت الغيبيات طابع التشيع الإثني عشري دون اقتداء بإمامهم الحسين في الخروج**»[6]. ثم إن الحسين مع هذا لم يهتم بتنظيم دعوته ونشر مبادئ حركته بين الناس وظن أن القوم سَيُقْدمون على بيعته ويَتَهَالكون لأجل نصرته ويُقدمون أنفسهم في سبيل حبه نظراً لانتسابه إلى رسول الله ﷺ دون مقابل مادي ،لكون الناس عبيد الدينار والدرهم وهو لم يقدم شيئاً من المال لهؤلاء الذين سيخرجون معه لنصرته والقتال في صفه.

---

(1) أنظر الأخبار الطوال،ص236،237، أبو العرب : كتاب المحن،ص148، الطبري:تاريخ الرسل، 393/5.

(2) أبو العرب:كتاب المحن ص 150.

(3) انظر الطبري:تاريخ الرسل، 390/5، 393.

(4) أنظر الدينوري:الأخبار الطوال،ص240.

(5) ابن كثير: البداية ،5/ 161.

(6) أحمد محمود صبحي : في علم الكلام ص 57.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## ثانياً: ثورة التوابين وبرنامجها

64-65هـ/684-685م

**التوابون** هم تلك الفئة المخلصة التي أجمعت على قتل قتلة الحسين والثأر لتقاعسها عن نصرته، وكان معظمهم من أصل يماني يجتمعون بعد مقتل الحسين مباشرة في إطار من السرية التامة ويعقدون مناقشات أشبه ما تكون بالنقد الذاتي لمحاسبة أنفسهم على التقصير الذي أظهروه إزاء الحسين والتشاور

على كيفية التكفير عن الذنب وغسل العار الذي لحق بهم نتيجة هذا التخاذل. فقد جاء في الطبري [1]: «**لما قتل الحسين بن عليّ تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم، ورأت أنها قد أخطأت خطأ كبيراً بدعائهم الحسين إلى النصرة وتركهم إجابته، ومقتله إلى جانبهم ولم ينصروه. ورأوا انه لا يغسل عارهم والإثم عنهم في مقتله إلا بقتل من قتله أو القتل فيه**».ونتيجة لذلك كانت الكوفة حين أستشهد الحسين أشبه ببركان عشية الانفجار، فهي المسؤولة عن قتله،وثقل الذنب ومرارة الندم، باعتبارها طرفاً مباشراً ومسؤولاً في قضية الحسين. فهي التي ألحت عليه بالخروج إلى أرض الثورة التي تتعطش إلى قائدها المنتظر، ثم تقاعست في أحرج الظروف عن الالتزام بما وعدت به ، والوفاء بالعهد الذي قطعته على نفسها. وبذلك افتقد العراق بمصرع الحسين الشخصية الأكثر جدارة التي وضعت فيها الشيعة كل آمالها وطموحها للوصول إلى الحكم.وأمام ضخامة الإثم ،كان لابد من مخرج لهذه المحنة وتصحيح للموقف المتخاذل بآخر يمحو عنها عار الخيانة والتخاذل، ويخفف عن كاهلها شيئاً من فداحة الذنب. فالمدينة كانت معبأة بالحقد وتتفجر بالثورة ضد النظام الأموي، المسؤول عن مقتل الحسين. وعلى ذلك لم يكن صعباً على أي زعيم أو مغامر أن يكتّل المدينة بمعظمها ويقودها إلى الثورة و يرفع راية العصيان على الأمويين،هذا ما جعل المدينة تنقسم على نفسها بين فيئه مخلصة ،مؤيدة للثورة وأخرى معارضة.

تزعّم التحرك الشيعي حينئذ خمسة من كبار الزعماء الكوفيين، المتقدمين في السن [2] الذين ارتبطوا تاريخياً بالحركة الشيعية، حسب الطبري[3] وهم:سليمان بن صُرد الخزاعي[4]،و الساعد الأيمن له وهو المسيّب بن نجبه الفزاري[5]، وعبد الله بن سعد بن نُفَيل الازدي [6]، وعبد الله بن و الٍ التميمي،

---

[1] تاريخ الرسل: 552/5،ابن الأثير: الكامل،248/3،النويري:نهاية الأرب:331/20.

[2] فله اوزن: الخوارج والشيعة،ص189.

[3] تاريخ الرسل:552/5، ابن الأثير: الكامل،248/3، ابن كثير:البداية ،242/5 .

[4] هو سليمان بن صرد بن الجون بن منقذ بن ربيعة بن أصرم الخزاعي ،كان خيراً فاضلاً له دين وعبادة كان اسمه في الجاهلية يساراً فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سليمان سكن الكوفة وابتنى داراً في خزاعة ، وكان له سن عالية وشرف وقدر وكلمة في قومه شهد مع علي صفين ،وكان فيمن كتب إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما يسأله القدوم إلى الكوفة فلما قدمها ترك القتال معه فلما قتل الحسين ندم.( أنظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب :ص294،الزركلي:الأعلام،127/3).

[5] هو المسيب بن نجبة بن ربيعة بن رياح الفزارى: تابعي، كان رأس قومه.شهد القادسية وفتوح العراق(الزركلي:الأعلام،225/7).

[6] هو عبد الله بن سعد بن نفيل الازدي، من أزد شنوءة: أحد رؤساء الكوفة وشجعانها.خرج مع سليمان بن صرد يطلبون ثأر الحسين (رضي الله عنه) وآلت إليه إمارتها بعد مقتل سليمان بن صرد(الزركلي: الأعلام،89/4).

ورفاعه بن شداد البجلي [1]. وكانوا جميعاً رفاق عليّ ومن أشد المؤيدين له [2]. ومن خلال انتماءات هؤلاء الزعماء القبلية نلاحظ أنهم ينحدرون جميعاً من أصل يماني.

ركز التوابون طيلة الفترة بين 61-64هـ(681-684م) على الإعداد وجمع السلاح ، ومارسوا نشاطهم في الخفاء ويبشرون بدعوتهم الانتقامية في أوساط الحزب الشيعي، بعيداً عن مراقبة السلطة وعيونها المنتشرة في كل مكان، فأثمرت جهودهم وشكلوا تنظيما حمل اسم التوابين [3]، وقد صارت هذه التسمية هي الغالبة على حركة سليمان ورفاقه، وهي أصلاً منبثقة عن الآية الكريمة التي أصبحت الشعار الرئيسي لهم وهي : ﴿ **فتوبوا إلى بَارِئِكُمْ فاقتلوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التواب الرحيم**﴾[4].

## 1-أسباب الثورة

**كان الثأر من قتلة الحسين** السبب الرئيسي الذي دفع زعماء االحركة للخروج المبكر على السلطة الأموية ، ويعتبر قائد الثورة سليمان بن صرد من الذين أظهر حماسة شديدة للحسين وكان من أوائل الذين كتبوا إليه من اجل التوجه إلى الكوفة وتزعم ثورتهم ضد النظام الأموي[5]. وليس ثمة شك أن هذا الاختيار كان موفقاً وفي صالح الحركة، لان سليمان كان طرازاً فريداً بين رجالات الكوفة، شديد الإيمان بالقضية التي رفع شعارها، مقتنعاً بضرورة الآخذ بمبدأ العنف لتصعيد حركة النضال الشيعي ضد أعدائها الأمويين،قائلاً:«**اشحذوا السيوف، وركبوا الأسنة،** ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ومن رباط الخيل** ﴾[6]، **حتى تُدعوا حين تُدْعَون وتستنفرون** »[7]،وحين انتهت خلافة يزيد بموته ، سارعت الشيعة إلى طرد ابن زياد من العراق ، فخرج خائباً نادماً إلى الشام ، وأخذت الشيعة تجمع شملها وتوحد صفوفها للعودة إلى الثورة ونضال الدولة الأموية [8] ، وباتت تترقب الفرصة تلو الأخرى للوثوب على

---

[1] قارئ، من الشجعان المقدمين، من أهل الكوفة. كان من شيعة علي لما قتل الحسين وخرج مع المختار يطالب بدمه ، ثم ظهر له أن المختار يبطن غير ما يظهر، فاعتزله.ولما نشبت الحرب بين أهل الكوفة والمختار كان رفاعة في صفوف مقاتليه(أنظر:الزركلي :الأعلام، 29/3).

[2] ابن كثير:البداية ،242/5

[3] الاستيعاب في معرفة الأصحاب:ص294،ابن الأثير:أسد الغابة،548/2.الذهبي:سير،395/3،

[4] سورة البقرة- الآية: 54.

[5] الاستيعاب في معرفة الأصحاب:ص294،ابن الأثير:أسد الغابة،548/2.

[6] سورة الأنفال-الآية:60.

[7] من خطاب سليمان بن صرد في المؤتمر،الطبري:تاريخ الرسل،554/5،ابن الأثير: الكامل،250/5-251.

[8] عليّ حسني الخربوطلي: المختار الثقفي، ص206.

بني أمية.وأصبح الأخذ بثأر الحسين شغل أهل العراق الشاغل ، فقد اعتبروا أنفسهم مسؤولين أمام الله والمسلمين ، عن دماء الحسين وآله المسفوكة في كربلاء بالعراق ، وحاول عبد الله بن الزبير أن يستخدم سلاح الأخذ بثأر الحسين في بداية الأمر ،للتأثير على شيعة العراق واجتذابها إلى صفه، لكنه أخفق تماماً ، فلم تؤمن شيعة العراق بصدق مقالته وأدركت أن ابن الزبير إنما يُناضل الدولة الأموية من أجل تحقيق برنامجه السياسية وحماية خلافته التي أقامها في الحجاز كما أيقنت أن ابن الزبير لن يهتم بثأر الحسين حينما ترك ولاته — بعد امتداد النفوذ الزبيري إلى العراق — قتلة الحسين يمرحون في الكوفة والبصرة في حريّة تامة.فهذا عبيد الله بن عبد الله المرئ يعظ الناس للقتال والانتقام من قتلة ابن بنت رسول الله ﷺ، ويبرز الأسباب الرئيسية للخروج ،قائلاً:« **فهل خلق ربكم في الأولين والآخرين أعظم حقا على هذه الأمة من نبيها؟ وهل ذرية احد من النبيين والمرسلين أو غيرهم أعظم حقا على هذه الأمة من ذرية رسولها؟لا والله،ما كان ولا يكون،لله انتم! ألم تروا ويبلغكم ما اجتُرِمَ إلى ابن بنت نبيكم؟أما رأيتم إلى انتهاك القوم حرمته،واستضعافهم وَحْدَتَهُ وترميلِهم إياه بالدم،وتجرارهِمِوُه على الأرض! لم يرقبو ا فيه ربهم ولا قرابته من الرسول ﷺ اتّخذوه للنيل غرضاً وغادروه للضباع جَزَراً فللّه عيناَ من رأى مثله [..] قلّت حماته وكثرة عُداتُه حولَهُ ،فقتله عدوه، وخذله وليُّه فويل للقاتل ومَلامة للخاذل! إن الله لم يجعل لقاتله حُجة ،ولا لخاذله معذرة،إلاّ أن يُناصح لله في التوبة..**»[1].

هذه الخطبة الحماسة كشفت عن أسبا الخروج ،والتي لخصها في الانتقام من قتلة الحسين، والرد على انتهاك حرمته ،واستضعاف وحدته وقلة رجاله وأنصاره،وخذلانه،مما استوجب الخروج والتوبة عن التخاذل والذنب.

وكان أول رد على مقتل الحسين قيام حركة التوابين في الكوفة سنة 64هـ(684م) الذين اعتمدوا على العاطفة الدينية وجعلوها الدافع الأكبر في تجيش الجيوش وتحريك الناس نحو الثأثر و الانتقام[2]،وخرج التوابون لقتال أهل الشام توبة على أنفسهم لخذلانهم الحسين بن عليّ [3]، وكان شعارهم ، من أراد التوبة فليلتحق بسليمان، من أراد الجنة فليلتحق بسليمان في النخيلة ، من أراد البكور إلى ربه والتوبة من ذنبه والوفاء بعده [4].وبعد الاتفاق على الانتقام والثأر من مقتل الحسين، اجتمع الزعماء الخمسة في بيت سليمان بن صرد مع أناس من الشيعة وخيارهم،ثم تكلم فيهم المسيب

---

(1) الطبري:تاريخ الرسل، 559/5 - 560.

(2) المصدر نفسه :583/5 .

(3) المصدر نفسه.

(4) الطبري :تاريخ الرسل،599/5و76/7 ،ابن الأثير:الكامل،268/3،المنتظم:36/6،النويري:نهاية الأرب،337/20.

ابن نجبة قال: «**وقد بلغنا قبل ذلك كتبه ورسله،واعذر إلينا ،فسألنا نصرة عودا وبدءا وعلانية،فبخلنا عليه بأنفسنا، حتى قتل إلى جانبنا،لا نحن نصرناه بأيدينا ،ولا جدلناه بألسنتنا،ولا قويناه بأموالنا،ولا طلبنا له النصرة إلى عشائرنا،فما عذرنا عند ربنا،وعند لقاء نبينا ،وقد قتل فينا ولد حبيبه ،وذريته ونسله؟**» [1].ولما انتهى من خطبته طالب بتولية رجل منهم،يكون أميرا عليهم يفزعون إليه [2]،ولما اجمع المجتمعون على تولية سليمان بن صرد قائدا للثورة،حيث تكلم وخاطبهم قائلا:« **انهضوا،فقد سخط عليكم ربكم** »[3].وبذلك أعطى لهم الأمر بالثورة على مُلك الخليفة يزيد والاستعداد لها.

استكمل التوابون استعدادهم للثورة ،حيث وصف الطبري[4] هذه الاستعدادات في قوله:« **كان أول ما ابتدعوا من أمرهم سنة إحدى وستين ، وهي السنة التي قُتل فيها الحسين رضي الله عنه،فلم يزل القوم في جمع آلة الحرب والاستعداد للقتال ودعاء الناس في السر من الشيعة وغيرها إلى الطلب بدم الحسين ،فكان يجيبهم القوم بعد القوم ، والثغر بعد الثغر فلم يزاولوا كذلك حتى مات يزيد بن معاوية**» وكتب ابن صرد إلى شيعة المدائن ،وكانوا قد انتقلوا إليها من الكوفة ، وإلى شيعة البصرة يستنهضهم للأخذ بثأر الحسين ، فأجابوه جميعهم إلى ما دعاهم إليه [5]،ثم كانت وفاة يزيد وما تبعه من انقسام بني أمية فاعتبروها التوابون نصراً لهم فقال ابن صرد لأعوانه :« **بثوا دعاتكم في المصر، فادعوا إلى أمركم هذا، شيعتكم وغير شيعتكم، فإني أرجو أن يكون الناس اليوم حيث هلك هذا الطاغية أسرع إلى أمركم استجابةً منهم قبل هلاكه**»[6].

لقد كانت وفاة يزيد المفاجئة للكثير،سببا في تعجيل التوابين لثورتهم،خاصة ما تركه من فراغ في هرم السلطة، حيث خلفه ابنه معاوية الثاني و لم يتجاوز بعد الثامنة عشر وكان شاباً ضعيفاً ،غلب عليه الزهد والتقشف ، وكان يعتنق مبادئ القدرية ، ويعتقد أن معاوية قد سلب عليّ بن أبي طالب حقه في الخلافة ، وأن أباه يزيد لم يكن له حق فيها ، فقد صعد المنبر فقال :«**أيها الناس، إن جدي معاوية نازع**

---

(1) ابن الأثير:الكامل،3/248-249،النويري:نهاية الأرب،20/332.

(2) الاستيعاب في معرفة الأصحاب :ص294،المزي:تهذيب الكمال،11/456.

(3) الطبري:تاريخ الرسل، 5/554.

(4) تاريخ الرسل:5/558، ابن الأثير: الكامل،3/252،251،النويري:نهاية الأرب،20/332.

(5) البلاذري:أنساب الأشراف،6/366،االطبري:تاريخ الرسل، 5/585،584،المنتظم:6/35، ابن الأثير: الكامل،3 /262، النويري: نهاية الأرب،20/335،334،.

(6) الطبري:تاريخ الرسل،5/559،ابن الأثير :الكامل ،3/252.

**الأمر أهله ومن هو أحق به منه ، وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته، ؛ ثم قلد أبي الأمر فكان غير أهل لذلك، وما أنا بالمتقلد ولا بالمتحمل تبعاتكم ، فشاوروا أمركم وفي خلافتكم»**[1]

وهكذا زلزل معاوية الثاني أركان الدولة والبيت الأموي ، وسلب جده معاوية وأباه يزيد حقهما في الخلافة ، وعدد أخطاءهما بصورة شجعت المعارضين للدولة الأموية، وفي مقدمتهم التوابين والمختار الثقفي ،لإعلان سخطهم وانتفاضاتهم على السلطة الأموية.

## 2- برنامج ثورة التوابين

كان الاتجاه العام لدى زعماء حركة التوابين يدور حول التكفير عن الذنب والانتقام من قتلة الحسين الذي يزيل عنهم الشعور بالإثم، وذلك في جو من الانفعال الشديد. والواقع أنه لم يكن هناك شيء من برنامج الحركة الشيعية السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي على غرار ما ظهر قبل ذلك في ثورة الحسين أو ما ظهر فيما بعد من ملامح في حركة المختار الثقفي. وكان أول المتكلمين في الاجتماع المسيّب بن نجبه الذي قال : « **أما بعد، فإنا ابتلينا بطول العمر، والتعرض لأنواع الفتن، فنرغب إلى ربنا أن لا يجعلنا ممن يقول له غداً: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ ﴾**[2] **... والله لا عذر دون أن تقتلوا قاتله والموالين عليه أو تقتلوا في طلب ذلك، فعسى ربنا أن يرضى عنا عند ذلك، وما أنا بعد لقائه لعقوبته بآمن** »[3]،ثم تكلم بعد ذلك رفاعة بن شداد، مؤكداً على التكفير عن الذنب إذ قال :«**أما بعد فإن الله قد هداك لأصوب القول، وبدأت بأرشد الأمور بدعائك إلى جهاد الفاسقين، وإلى التوبة من الذنب العظيم** »[4]،وتكلم سليمان بن صُرد وكان قد أصبح زعيماً للحركة مشيراً إلى عظم الرزء وضخامة المأساة، ومشدداً على النهوض لغسل الإثم والتكفير عن فداحة الذنب والسعي في طلب الشهادة « **إنا كنا نمد أعناقنا إلى قدوم آل نبينا، ونمنيهم النصر، ونحثهم على القدوم، فلما قدموا ونينا وعجزنا، وادهنا، وتربصنا، وانتظرنا ما يكون حتى قتل فينا ولد نبينا وسلالته وعصارته وبضعةٌ من لحمه ودمه... ألا انهضوا فقد سخط ربكم، ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله، والله ما أظنه راضياً دون أن تناجزوا من قتله، أو تبيروا. ألا لا تهابوا الموت فوالله ما هابه امرؤٌ قط إلا ذل، كونوا كالأولى من بني إسرائيل إذ قال لهم نبيهم: ﴿ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ**

---

[1] تاريخ اليعقوبي:254/2،ابن ثغري:النجوم الزاهرة ،213/1-214.

[2] سورة فاطر-الآية:37.

[3] ابن الأثير: الكامل،248/3-249،النويري:نهاية الأرب،331/20-332.

[4] ابن الأثير: الكامل،249/3،النويري:نهاية الأرب،332/20.

**الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾[1] »**[2]،وبعد وفاة يزيد بن معاوية تسارعت عناصر الشيعة إلى سليمان وأصحابه ، فقالوا: قد مات هذا الطاغية، والأمر الآن ضعيف، «**فإن شئت وثبنا على عمرو بن حريث فأخرجناه من القصر... ودعونا الناس إلى أهل هذا البيت المستأثر عليهم، المدفوعين عن حقهم** »[3].

نستخلص من هذه الخطب الحماسة المتتابعة المحاور الرئيسية للبرنامج العام للحركة ،نوجزه في النقاط التالية :

-الثأر من قتلى الحسين.

- التكفير عن الذنب وطلب التوبة عن طريق التضحية بالنفس والتخلص من عقدة الشعور بالذنب

-جهاد الفاسقين.

-الدعوة إلى أهل البيت والدفاع عن حقهم.

وهكذا نجد زعماء حركة التوابين كانوا طلاب قضية عامة هدفها الانتقام للحسين رأس الحركة الشيعية ورائدها في تحقيق أمانيها السياسة، وهذا يظهر بكل وضوح أن جماعة التوابين لم يطلبوا الخلافة ولا السلطة، بل لتنفيذ مبدأ عام هو حكم الإسلام. وكان بنظرهم السكوت عن ذلك وتخليهم عنه، يعتبر خيانة لقضيتهم، وتخلياً عن حق شرعي، وخرقاً لعهد إلهي. ومن المهم هنا أن نشير إلى أن هذه المبالغة في نكران الذات، وطرح هذه الأفكار المثالية، كان بدون شك سبب ذلك الإخفاق المتواصل للحركات الشيعية والعامل الذي ساعد النظام الأموي على تصفيتها بكل سهولة. والأرجح أن زعماء التوابين قطعوا خريف العمر ،ولا مطمع لهم في السلطة والجاه والنفوذ،بل همهم الوحيد التوبة والمغفرة عن تخاذلهم وخيانتهم للآل البيت . هذا ما أبعد عن عناصرها عنصر الشباب الملتزم بخط سياسي واضح والمؤمن بالتغيير.

---

[1] سورة البقرة- الآية:54.

[2] الطبري: تاريخ الرسل،5/554،ابن الأثير: الكامل،3/251،النوير:نهاية الأرب:20/332.

[3] الطبري: تاريخ الرسل،5/558-559،ابن الأثير: الكامل،3/252،النويري:نهاية الأرب،20/332-331.

## 3- سير تنفيذ البرنامج و الثورة

وبعد وفاة يزيد بن معاوية وأستعد التوابون للخروج والقتال ،قدم الأنصار إلى سليمان بن صرد وطلبوا منه الخروج واستغلال الوضع،لكنه رد عليهم،«**رويدا، لا تعجلوا، إني قد نظرت فيما تذكرون، فرأيت أن قتلة الحسين هم أشراف أهل الكوفة، وفرسان العرب وهم المطالبون بدمه، ومتى علموا ما تريدون، وعلموا أنهم المطلوبون، كانوا أشد عليكم. ونظرت فيمن تبعني منكم فعلمت أنهم لو خرجوا لم يدركوا ثأرهم، ولم يشفوا أنفسهم، ولم ينكوا في عدوهم، وكانوا لهم جزرا، ولكن بثوا دعاتكم في المصر، فادعوا إلى أمركم هذا، شيعتكم وغير شيعتكم، فإني أرجو أن يكون الناس اليوم حيث هلك هذا الطاغية أسرع إلى أمركم استجابة منهم قبل هلاكه**»[1]، وكانت وفاة يزيد وما تبعها من انقسام بني أمية فاعتبرها التوابون نصراً لهم [2].

سار سليمان بن صرد وأتباعه حتى أتوا قبر الحسين،وهناك قاموا يوما وليلة،وصاحوا صيحة واحدة طالبين التوبة والمغفرة من الله لخذلانهم الحسين،ولذلك عرفوا بالتوابين في التاريخ،وكان من قولهم عند الضريح: «**اللهم ارحم حسينا الشهيد ابن الشهيد...اللهم إنا نشهدك أنا على دينهم وسبيلهم، وأعداء قاتليهم، وأولياء محبيهم،اللهم أنا خذلنا ابن بنت نبينا ﷺ فاغفر لنا ما مضى منا وتب علينا وارحم حسينا وأصحابه الشهداء الصدِّيقين،وأنا نشهدك أنا على دينهم وعلى ما قتلوا عليه،وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**»[3]،وبذلك أكدوا على صدق نواياهم في التوبة والثأر له.

وهناك التقوا بعامل ابن الزبير زفر بن الحارث فاخبرهم بما وصله عن تحركات عبيد الله بن زياد وصحبه في عدة لا تحصى ونصحهم بقوله:« **إن القوم قد فصلوا من الرقة، فبادروهم إلى عين الوردة، فاجعلوا المدينة في ظهوركم، ويكون الرستاق والماء والمادة في أيديكم، وما بين مدينتنا ومدينتكم فأنتم له آمنون**»[4]،وبذلك ارتسمت الخطة الأولية لدى قادة التوابين،ما عليهم إلاَّ السير لتنفيذها،حيث دعوا أنصارهم إلى المشاركة في مؤتمر النخيلة ،وكتب سليمان إلى عامل المدائن، سعد بن حذيفة بن اليمان يطلب القدوم بالأنصار،والالتحاق بالنُخيلة [5]،بوصول الكتاب جاء الرد ايجابياً من عامل المدائن

---

(1) الطبري: تاريخ الرسل،5/558-559،ابن الأثير: الكامل،3/252،النويري:نهاية الأرب،20/332-331.

(2) الطبري:تاريخ الرسل،5/558،ابن الأثير : الكامل،3/252

(3) ابن الأثير: الكامل، 3/264، فلهاوزن :الخوارج والشيعة ،ص194.

(4) الطبري:تاريخ الرسل، 5/595.

(5) الطبري:تاريخ الرسل، 5/555-556.

وشيعةوالاستعداد الكامل للتحرك في اليوم الموعود إلى النخيلة « **ونحن جادون مجدون، معدون مسرجون ملجمون ننظر الآمر، ونستمع الداعي، فإذا جاء الصريخ أقبلنا ولم نعرج إن شاء الله**»[1].

وكان سليمان قد أرسل نسخة ثانية إلى المثنى بن مخرِّبة العبدي في البصرة لكسب تأييده مع الشيعة هناك فأجابوا جميعاً إلى دعوته. وقد جاء في رد المثنى« **فنحن موافوك إن شاء الله للأجل الذي ضربت وفي الموطن الذي ذكرت** »[2].وبذلك أخذت دعوة التوابين تتسع في أوساط الناقمين على الحكم الأموي والمطالبين بدم الحسين،«**فكان يجيبهم القوم بعد القوم،والنفر بعد النفر** »[3].

دعا عبد الله بن سعيد بن نفيل نحو القيام بعمليات انتقامية داخل الكوفة تستهدف بعض الأشراف المتهمين بتواطئهم مع النظام الأموي، ولكن سليمان رفض هذا الرأي وأصر على أن الهدف أولاً هو رأس عبيد الله بن زياد[4]الذي بات المسؤول الأول بعد موت يزيد بن معاوية، ثم تأتي بعد ذلك مسألة الكوفة وأشرافها «**أن الذي قتل صاحبكم، وعبّأالجنود إليه، وقال: لا أمان له عندي دون أن يستسلم فأمضي فيه حكمي هذا الفاسق ابن الفاسق ابن مرجانة، عبيد الله بن زياد، فسيروا إلى عدوكم ... فتنظرون إلى كل من شرك في دم الحسين فتقاتلونه ولا تغشموا**»[5].

وهكذا نجد أن الحركة ركزت على الشام كمحور لكل عملياتها العسكرية، لتواجد مقرات السلطة ،والقادة الذين نفذوا قتل الحسين وأتباعه، واتفق التوابون على الخروج إلى النخيلة في آخر ربيع الثاني سنة 65هـ(685م) ، ولكن قادة الحركة سرعان ما قدموا هذا الموعد إلى شهر ربيع الأول من سنة 64هـ(684م) ، حين علموا بوفاة يزيد بن معاوية[6].

وأخذ ابن صرد يستعرض جيشه، لكنه وجده قليل الجند ، فبعث يدعو الناس للخروج معه ، فلم يستجيب لندائه سوى أربعة آلاف[7]، وأقام سليمان ثلاثة أيام بالنخيلة على مقربة من الكوفة يدعو المتخلفين عنه،ولكن لم يقدم عليه أكثر من ألف رجل [8] آخرين، فقال له المسيب بن نجبة:« **رحمك الله،**

---

(1) المصدر نفسه:557/5.

2) الطبري: تاريخ الرسل،558/5،ابن الأثير: الكامل،251/3.

(3) الطبري:تاريخ الرسل،558/5،ابن الأثير: الكامل،252/3.

(4) أنظر البلاذري:أنساب الأشراف،369/6،الطبري:تاريخ الرسل،585،586/5،ابن الأثير: الكامل،263/3.

(5) الطبري:تاريخ الرسل،586/5.

(6) البلاذري:أنساب الأشراف ، 366،369/6، الطبري:تاريخ الرسل،589/5،المنتظم:29/6، ابن الأثير:الكامل،262/3.

(7) ابن الأثير:الكامل،262/3.ابن كثير:البداية ،246/5.

(8) الطبري:تاريخ الرسل:584/5،ابن الأثير :الكامل،262/3.

**إنه لا ينفعك الكاره، ولا يقاتل معك إلا من أخرجته النيّة ، فلا تنظر أحداً وجد في أمرك** »[1]، وبذلك اكتشف ابن صرد خذلان أهل العراق له والشيعة خاصة،لتأثير عواطفهم عليهم،فتحير من أمره.

تقدم التوابون حتى بلغوا قبر الحسين بن عليّ ،وهناك استرحموا،وتابوا عن خذلانهم له.ثم ساروا إلى الأنبار ومنها إلى قرقيسيا[2]،وكان بها زفربن الحارث الكلابي، عامل ابن الزبير فقدَّم لهم المال والمؤن، وعرض عليهم البقاء في قرقيسيا وتوحيد جهودهم ليسهل لهم القضاء على ابن زياد [3]ولكن ابن صرد أصر على المسير لقتال ابن زياد.

وبعد وصول أخبار خروج التوابين إلى عبيد الله بن زياد،فسرح إليهم ،الحصين بن نمير مسرعا في اثني عشر ألفا، يوم الأربعاء لثمان بقين من جمادى الأولى؛ فنظم سليمان أتباعه وقادته [4]،ودخلوا في قتال جيش بني أمية ،حيث قال : حميد بن مسلم: «**فحملت ميمنتنا على ميسرتهم وهزمتهم، وحملت ميسرتنا على ميمنتهم، وحمل سليمان في القلب على جماعتهم، فهزمناهم حتى اضطررناهم إلى عسكرهم. فما زال الظفر لنا عليهم حتى حجز الليل بيننا وبينهم، ثم انصرفنا عنهم وقد حجزنا في عسكرهم، فلما كان الغد صبحهم ابن ذي الكلاع في ثمانية آلاف، أمدهم بهم عبيد الله ابن زياد، وبعث إليه يشتمه، ويقع فيه، ويقول: إنما عملت عمل الأغمار، تضيع عسكرك ومسالحك! سر إلى الحصين بن نمير حتى توافيه وهو على الناس، فجاءه، فغدوا علينا وغادياهم، فقاتلناهم قتالا لم ير الشيب والمرد مثله قط يومنا كله، لا يحجز بيننا وبين القتال إلا الصلاة حتى أمسينا فتحاجزنا، وقد والله أكثروا فينا الجراح**»[5].غير أن كل فريق أبى إلاّ أن يقاتل في سبيل الأغراض التي خرج من أجلها وتحقيق محاور برنامجه الأساسية،وانتهت معركة عين الوردة بمقتل سليمان بن صرد ومعظم أصحابه.

وهكذا أُسدل الستار على فصل جديد من جهاد شيعة العراق لبني أمية ،وخذلانهم للتوابين، دون تحقيق محاور برنامج خروجهم ،نتيجة لتسرعهم وعدم الأخذ بأخطاء مأساة كربلاء ،بل اندفعوا وراء عواطفهم ،دون تبصر للنتيجة وتروي في المواقف ،وأخذ العبر من أخطاء الحسين في تسرع

---

(1) ابن الأثير : الكامل ،262/3،ابن كثير:البداية ،246/5.

(2) قرقيسيا : بلدة على الفرات، تقع عند مصب نهر الخابور في الفرات(الزركلي: الأعلام،45/3).

(3) الطبري :تاريخ الرسل،591،595/5 ،ابن الأثير: الكامل،264،265،266/3.

(4) أنظر الطبري:تاريخ الرسل،598/5.

(5)5 الطبري:تاريخ الرسل، 598/5، ابن الأثير: الكامل،267/3.

خروجه،وبنهاية التوابين السريعة،أنفسح المجال لقائد عربي جديد يتولى أمر الثورة في العراق ألاَ وهو المختار الثقفي.

## 4- نتائج ثورة التوابين

من نتائج حركة التوابين ،أنهم هزموا هزيمة منكرة في عين الوردة وقتل معظم رؤَسائهم بمن فيهم سليمان بن صرد زعيم التوابين في ربيع الأخر من سنة 65هـ(685م)[1]

ومن عوامل إخفاق التوابين ضعفهم من الناحية العسكرية ،وهذا يرجع إلى فقرهم في المال ، فلم يصمدوا أمام الجيش الأموي الغني بالعدّة والعدد ، والذي يعتمد على بيت مال الشام العامر بالأموال ، ولذا لم يستطع ابن صرد أن يمد جنده بما يحتاجون إليه من سلاح وعتاد ، واعترف هو بذلك حين خرج يستعرض جيشه ،فلم تعجبه عدتهم[2] .

كذلك كان لموقف المختار من حركة التوابين أثره في إخفاقهم . فقد كان المختار يعتمد على الشيعة في تحقيق آماله وأهدافه ، ولكن الشيعة اندمجت في حركة التوابين ، فكان على المختار أن يمزق شمل هذه الحركة ، فبدأ يثني الناس على عزمهم في الخروج مع ابن صرد لقتال ابن زياد « **فكان المختار إذا دعا الشيعة إلى نفسه، وإلى الطلب بدم الحسين قالوا: هذا سليمان بن صرد شيخ الشيعة وقد أطاعته الشيعة وانقادت له وولته أمرها، فيقول: إن سليمان رجل لا علم له بالحروب وسياسة الرجال... فلم يزل حتى انشعبت إليه طائفة منهم** »[3]، وحول ذلك يقول الذهبي[4]:« **فأخذ المختار يفسدهم، ويقول: إني جئت من قبل المهدي ابن الوصي، يريد ابن الحنفية، فتبعه خلق، وقال: إن سليمان لا يصنع شيئا، إنما يلقي بالناس إلى التهلكة، ولا خبرة له بالحرب**».

ومن بين عوامل إخفاق التوابين، تخاذل أهل البصرة والمدائن عن مساعدتهم والوفاء بوعودهم، فلم يلحقوا بابن صرد إلاّ قبيل انتهاء المعركة، وبعد أن سبق السيف العَذل[5] .

---

[1] الطبري :تاريخ الرسل، 583/5 وما بعدها

[2] أنظر الطبري :تاريخ الرسل، 598/5-605،ابن الأثير: الكامل،266/3-270.

[3] البلاذري:أنساب الأشراف ،367/6، الطبري :تاريخ الرسل، 560/5-561، ابن الأثير: الكامل،259/3، الذهبي: تاريخ،5/ 45،46.

[4] تاريخه:540/3.

[5] أنظر المسعودي:مروج ،102/3-103، ابن الأثير: الكامل،268/3.

وقد انعكست تأثيرات حركة التوابين بصورة خاصة على المجتمع الكوفي، فعبأت جماهيره بالثورة، وعمقت في نفوسهم الكراهية والحقد ضد النظام الأموي، الأمر الذي جعل من الكوفة فيما بعد مسرحا للتحرك الدائم للحزب الشيعي وثوراته المتلاحقة، المناهضة للنظام. ونتيجة لفقدان القيادة والزعامة،تحول الحزب الشيعي نحو ابن الحنفية الذي لم يكن مطروحاً حتى ذلك الحين كإمام للدعوة العلوية، وأدى إلى نجاح المختار في فرض نفسه على الحزب وتسلم زعامته ،والتف حول المختار بعد خروجه من السجن، نفر من الزعماء الشيعيين الذين وجدوا فيه الشخصية القيادية الصالحة لمتابعة التحرك والثورة على السلطة الأموية المغتصبة لحق آل البيت.

ومع اعترافنا بأن حركة التوابين كانت مجرد حركة انتحارية التزمت بهدف أساسي هو التوبة، وبأنها كحركة سياسية لم تتضمن أي برنامج إصلاحياً سياسياً كان أم اجتماعياً، فلابد لنا أن نعترف أيضا بأنها كانت حركة منظمة ومدروسة، دأبت بصورة جدية على استقطاب الحزب الشيعي بكل فصائله وتعبئته لخوض معركة الانتقام للحسين. ولكن التمزق الذي أصاب هذا الحزب، بسبب تردد بعض عناصره، واستنكاف البعض الآخر عن المشاركة وانتقاده زعامة الحركة التي لم تضع أمامها مخطط الاستيلاء على السلطة، فضلاً عن ظهور المختار في الكوفة في وقت شارفت فيه هذه الحركة على النضج، فكان لظهوره الأثر الكبير في ارتداد الكثيرين عنها واستمالتهم إلى دعوته الأكثر واقعية بمضمونها السياسي والاجتماعي.

إن كل هذه الأمور أدت في النهاية إلى نتيجة حتمية وهي الإخفاق العسكري المدمر للحركة .

## ثالثاً:ثورة المختار الثقفي وبرنامجها

65-67هـ/685-686م

المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، أبو إسحاق[1]احد رجالات العرب المبرزين [2]،الذي تلون بألوان سياسية عدية ،تحقيقاً لرغباته وطموحاته ،حيث يقول المبرد[3]:«**وكان المختار لا يوقف له على مذهب، كان خارجياً، ثم صار زبيرياً، ثم صار رافضياً في ظاهره**».فقد قام بدور كبير اثر في الأحداث السياسية،وفي الحياة الدينية والاجتماعية، في الدولة العربية الإسلامية في عصر بني أمية.واثر فيها أثرا ظاهرا لم ينقطع بانتهاء حياته سنة 67هـ(686م)، بل أن سياسة المختار قد أثرت أثارا عميقة واضحة في مجريات الحوادث في العالم الإسلامي،فقد أحيا المختار في نفوس الموالي أمالا عريضة عملوا على إحيائها طوال العصر الأموي واستطاعوا أن يدفعوا العباسيين إلى العمل على إسقاط الدولة الأموية سنة 132هـ(750م)،كما اثر في تاريخ أحزاب الشيعة والخوارج والزبيريين والتوابين،تلك الأحزاب التي كان لها أثرها في عصر بني أمية.

امتاز المختار بشخصيته القوية والعقل المدبر،وهو لا يقل دهاء عن معاصريه الدهاة الأربعة [4] . ولكن المؤرخين لم ينصفوه كما أنصفوهم،ويرجع السبب في ذلك إلى انه اكتفى بإعلان الثورة دون أن يبايع لنفسه بالخلافة،واعتمد على دهائه وجهوده فيما وصل إليه من سلطة ونفوذ، فقد استطاع أن يكون الرجل الأول في بلاد العراق منذ وفاة يزيد بن معاوية إلى أوائل خلافة عبد الملك بن مروان[5].

وتتمثل في شخصية المختار جوانب عديدة، « **فكان من كبراء ثقيف، وذوي الرأي، والفصاحة، والشجاعة، والدهاء، وقلة الدين**»[6]،فهو إذاً أحد أبناء ثقيف، تلك القبيلة العربية الكبيرة التي أخلصت للإسلام وبرز من أبنائها رجال استطاعوا أن يحتلوا مكانة كبيرة في التاريخ الإسلامي ، مثل المغيرة بن شعبة والي العراق المشهور ، والحجاج بن يوسف الثقفي سيف بني مروان، ومحمد ابن القاسم الثقفي فاتح الهند،وقد اشتهر أبناء هذه القبيلة دائماً بالفطنة والذكاء[7].

---

(1) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ص715،الزركلي:الأعلام،192/7،ابن حجر:الإصابة ،162/3

(2) أنظر البلاذري: أنساب الأشراف،375/6-374.

(3) الكامل في اللغة والأدب:186/3.

(4) أنظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب:ص665، ابن الأثير:أسد الغابة،238/5، الذهبي:سير،58/3،ابن حجر:تهذيب التهذيب، 50/8.

(5) أنظر عليّ حسني الخربوطلي:المختار،28،29.

(6) الذهبي: تاريخه،539/3.

(7) عليّ حسني الخربوطلي: المختار،ص14.

## 1- أسباب الثورة

### أ-الثورة على العصبية القبلية

أعلن المختار الثورة على سياسة الدولة الأموية القائمة على عصبية القبيلة،وسياسة التفاضل بين القبائل ، ودعا إلى تحقيق تعاليم الإسلام التي تحث على المساواة والإخاء،لأن الأمويين لم يطبقوا تعاليم الإسلام حرفيا،كما كانت عليه في عهد الخلفاء الراشدين ،مما أدى إلى سوء أحوال الموالي والرقيق على السواء، ووقف المختار الثقفي موقف المدافع عنهم،ودعا إلى تطبيق مبادئ الإسلام العادلة الرحيمة،لأن الدولة الأموية تعصبت للعروبة والعنصر العربي،فكانت دولة عربية لحما ودما،ووضعت الأقوام غير العرب في مترلة اجتماعية أدنى من العرب،وأبعدوهم عن السياسة والقيادة،وفرضوا عليهم من الضرائب أكثر مما فرضوه على العرب،كما انقصوا عطاءهم ومرتباتهم،مما اوجد هوة بين هاتين الطبقتين في المجتمع في ذلك الحين.لأنه كان على الأمويين أن يضعوا للجند المسلمين المنتشرين في الأمصار المفتوحة قواعد ثابتة،كما كان عليهم أن يحلوا المشاكل الناشئة من الأمور الفقهية التي كان يجهلها البعض[1].

و لم يكن المختار يميل إلى نوع من العصبية،سواء العصبية القبلية،أو العصبية الجنسية،فلم يتدخل في الصراع بين العرب اليمنيين والعرب الحجازيين،ورغم تأييد الموالي والرقيق للمختار،ورغم اهتمامه بتحسين أوضاعهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية،فقد قرب العرب إليه، وولاهم مناصب القيادة والولايات وأغدق عليهم الصلات.وبذلك حفظ المختار التوازن بين هاتين الطبقتين الاجتماعيتين.

أصبح الموالي مهيئين للانضمام إلى المختار،فقد كانوا يتطلعون إلى منقذ يخلصهم من جور الأمويين ويعيد تسامح الخلفاء الراشدين.فقد نزل بالموالي كثير من المظالم والاضطهاد في عهد الخليفة يزيد بن معاوية،على يد واليه عبيد الله بن زياد.كما آلمهم مصرع الحسين بن عليّ.ورفضوا البيعة لخليفة الحجاز ابن الزبير،لأنه خيب آمالهم،إذ أطلق العنان للأشراف العرب في الكوفة،وأعتمد في حكمه للبصرة على العنصر العربي [2].

حتى إذ ظهر المختار وجد الموالي فيه الزعيم المنشود،فأسرعوا إلى نبذ طاعة ابن الزبير.فقد رأوا في دعوة المختار فرصة يحققون بها أمالهم في التساوي بالعرب.ورأى المختار فيهم وسيلة لتحقيق أماله ومطامحه في السلطة والنفوذ،فساوى بين العرب والموالي في الحقوق والواجبات،وجعل عطاءهم جميعا

---

[1] المرجع نفسه:ص285.

[2] المرجع نفسه: ص281 ، 285.

واحدا.وجعل ماله وعطاءه لرجل فارسي،وسمح للموالي بركوب الخيل،وولاهم القيادة،وكان معظم جنده من موالي الفرس بالكوفة ،وكانوا يسمون بالحمراء،ويتحدثون باللغة الفارسية[1].

**ب–الثأر من قتلة الحسين**

ولكن المختار وإن كان من عوامل إخفاق التوابين إلاّ انه نجح في تحقيق أهداف التوابين.وبدا المختار من حيث أنتهى التوابون بالأخذ بثار الحسين من قتلته،وكان على دراية تامة بنفسية الشيعة بالعراق،فرأى أن يثير كامن عواطفهم،« **قال المختار لأبي عمرو صاحب حرسه: استأجر لي نوائح يَبكين الحُسين على باب عمر بن سَعد –بن أبي وقاص–، ففَعل**» [2]،فيثرن ألام الشيعة،ويستعطف أهل الكوفة نفسيا لمرحلة الأخذ بالثأر،ومن أجل تسهيل عملية تجييش الجيوش والأنصار،وإعطاء جانب من الشرعية لثورة تسعى لقتال قتلة الحسين وأهل بيته.

## 2– برنامج ثورة المختار

إن برنامج المختار المعلن يتلخص في:

**أ– الزعامة وقيادة الشيعة**

كان للمختار بن أبي عبيد الثقفي برنامجا طموحا يسعى إلى تحقيقه ، كما كان لبلاد العراق آمال ترمي إلى الوصول إليها، أما المختار سعى إلى أن ينال حظه من المجد والنفوذ ، مثله في ذلك مثل رجالات العرب في ذلك الحين ،وقد شعر أنه يدانيهم في مركزهم ،مثل عبد الله بن الزبير وعبد الله بن خازم[3] ونجدة بن عامر الحنفي [4] ومروان بن الحكم ، وغيرهم واعتنق المختار مبادئ الشيعة [5] ،وآمن أن العلويين أصحاب الحق الشرعي في الخلافة ، ولذا كانت بلاد العراق هي الأرض الصالحة التي يبذر فيها المختار بذوره ،لأنها كانت « **تهدف دائماً إلى تحقيق نوع من الاستقلال الذاتي وأن تكون لها شخصية مستقلة متميزة ، وأن تكون مركز الصدارة بين الأمصار الإسلامية ، وتصبح قلب العالم الإسلامي كما أن معظم أهل العراق قد اعتنقوا مبادئ الشيعة وصاروا لا يرضون عن آل عليّ بن**

---

[1] عليّ حسني الخربوطلي: المختار ، ص283 ، 286.

[2] الطبري:تاريخ الرسل،44/6، ابن عبد ربه: العقد الفريد، 153/5.

[3] «عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصلت السلمي، أبو صالح، أمير خراسان. صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عنه؛ وكان مشهوراً بالشجاعة، وأصله من البصرة ، توفي في حدود الثمانين للهجرة»(ابن ثغري:النجوم الزاهرة،1/ 241 )

[4] هو نجدة بن عامر بن عبد الله بن ساد بن المفرج الحنفي، وكان مع نافع ابن الأزرق، ففارقه لإحداثه في مذهبه ما تقدم (ابن الأثير: الكامل،281/3)

[5] ابن سعد: الطبقات،103/5،98،ابن عساكر: تاريخ دمشق،340/54.

**أبي طالب بديلاً ...وتطلعت بلاد العراق إلى زعيم جديد يعيد إلى العراق مجدها الضائع، فتقوم خلافة علوية في العراق ،وتنتقل العاصمة إلى الكوفة** »[1]،ووجد كثير من أهل العراق في شخص المختار الزعيم المنشود الذي يحقق آمالهم إذ أن ثورة التوابين محدودة الأهداف، تتركز في الأخذ بثأر الحسين من قتلته، وتنتهي إلى هذا الحد،بينما برنامج المختار دقيق وواضح المعالم، إذ يتطلع إلى الخلافة،ويتضح ذلك عند مغادرته للحجاز مفارقاً عبد الله بن الزبير نابذاً طاعته ، قاصداً العراق ليصبح بطل الشيعة وزعيمها ، وكان قبل رحيله إلى العراق ، قد تحرى أخباره من القادمين منه إلى الحجاز ، وكلما قابل رجلاً وهو في طريقه إلى بلاد العراق سأل عن أخبارها ، فأخبره أحدهم أن بلاد العراق كسفينة بدون ملاّح ، فعزم المختار على أنة يكون هو الملاح الذي يقبض على دفَّة السفينة بيد قوية ويُوجهها إلى شاطئ الأمان، وما يثبت ذلك « أن هانىء ابن أبي حية الوادعي قدم مكة يريد عمرة رمضان، فسأله المختار عن حاله وحال الناس بالكوفة وهيئتهم؛ فأخبره عنهم بصلاح واتساق على طاعة ابن الزبير، إلا أن طائفة من الناس إليهم عدد أهل المصر لو كان لهم رجل يجمعهم على رأيهم أكل بهم الأرض إلى يوم ما؛ فقال له المختار: أنا أبو إسحاق أنا والله لهم! أنا أجمعهم على مر الحق. وأنفي بهم ركبان الباطل. وأقتل بهم كل جبار عنيد»[2].

ومن أجل ذلك نظم المختار حركته في وسط هذا المجتمع المختلط عرقيا وعقائديا.وبما أن قضيته الوحيدة هي تحقيق طموحه السياسي ،لذا جعل من محمد بن الحنفية مظلة يستمد منها الشرعية لحركته خصوصا أمام أشراف العرب من الشيعة.لقد قدم نفسه إليهم مندوبا لمحمد بن الحنفية،مكلفا من طرفه بالقيام بالأمر له جاعلا منه المهدي والوصي بمجرد وصوله إلى الكوفة قادما من مكة سنة 64هـ (684م)، ليدعو باسم ابن الحنفية.

ب- **الانتقام من الجبارين والدفع عن الضعفاء وإنصاف المظلومين.**

و هي المحاور الرئيسية التي اعتبر المختار الانتقام لقتلة الحسين كغاية وكمبدأ لثورته ، ومن أجل كسب الأنصار من أهل العراق المتعاطفين مع العلويين ،لذلك نجده في أغلب خطبه وأسجاعه ، يؤكد على ذلك ،حيث يقول بعد قرب انتصاره على عبيد الله بن زياد « **أما والذي أنزل القرآن ، وبين الفرقان، وشرح الأديان، وكره العصيان، لأقتلن النعاة من أزد وعمان، ومذحج وهمذان ... لأقتلن الشاعر المهيمن،وراجز المارقين وأولياء الكافرين، وأعوان الظالمين، وإخوان الشياطين، الذين اجتمعوا**

---

[1] عليّ حسني الخربوطلي: المختار،ص181.

[2] الطبري: تاريخ الرسل،5/577-578، ابن الأثير: الكامل،3/258.

**على الأباطيل، وتقولوا عليَّ الأقاويل...** »[1]، وفي طريقه نحو الحجاز لقيه أحد أبناء العراق،فقال له المختار في حوار بينهما ،« **فإذا سمعت بمكان قد ظهرت به[فقل إن المختار] في عصابة من المسلمين يطلب بدم الشهيد المظلوم المقتول بالطف** [2]**،سيد المسلمين وابن بنت سيد المرسلين وابن سيّدهما ، الحسين بن عليّ،فوربك لا قتلن بقتله عدة** »[3]،وقال المختار للشيعة المتشككين في أمره:« **إني قد جئتكم من قِبل وليّ الأمر، ومعدن الفضل، ووصيِّ الوصيّ والإمام المهديّ، بأمر فيه الشفاء، وكشفُ الغطاء، وقتل الأعداء، وتمام النَّعماء... إني إنما أعمل على مثال قد مثل لي، وأمرٍ قد بُيُن لي، فيه عِزُّ وليُكم، وقَتْلُ عَدَوُكُم، وشِفَاءُ صُدورِكُم، فاسْمَعُوا مني قولي، وأطيعوا أَمْري... فإني لكم بكل ما تَأْمَلُون خير زعيم**»[4]،هذا الفطنة والذكاء للمختار وظفهما في كسب أنصار الشيعة إليه وتفريقهم عن ابن صرد كما ذكرنا سابقا، وأستغل سذاجتهم وغلوا تشييعهم لآل عليّ ،حتى أنهم كانوا يؤمنون بكل حديث ما دام قد جاء على ألسنة الأئمة من آل عليّ[5].

وقد وظف المختار أسلوب الانتقام لقتلة الحسين في كل محاور خطبه ومراسلاته لكل من يراه معارضا وساخطا على السلطة الأموية، ومن الأمثلة على ذلك كتابه إلى عبد الله بن الحر الجعفي الذي كان « **بناحية الجبل يتطرف ويغير: إنما خرجت غضبا للحسين،ونحن أيضا ممن غضب له،وقد تجردنا لنطلب بثأره،فأعنا على ذلك** »[6]،وقد استعمل نفس الأسلوب مع إبراهيم بن الأشتر حين حاول المختار استقدامه إلى صفه، ولاعتماد عليه في حروبه،حيث تكلم رسول المختار يزيد بن انس إلى إبراهيم ابن الاشتر قائلا: «...**إنما ندعوك إلى أمر قد اجمع عليه رأي الملإ من الشيعة،إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والطلب بدماء أهل البيت،وقتال المحلّين** »[7].وعند اقتحام أتباع سويد بن عبد الرحمن المنقرى في جبانة أثير، قال لأصحابه:«**يا شرطة الله،انزلوا فأنكم أولى بالنصر من هؤلاء الفساق**

---

(1) البغدادي : الفرق بين الفرق،ص46-48.

(2) الطف: بالفتح والفاء مشددة، وهو في اللغة ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق. والطف طف الفرات أي الشاطىء، والطف أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية فيها كان مقتل الحسين بن عليّ رضي الله عنه.(معجم البلدان:4/35-36).

(3) ابن الأثير:الكامل، 3/257، 258.

(4) الطبري:تاريخ الرسل،5/580،ابن كثير:البداية ،5/244.

(5) فان فلوتن:السيطرة العربية،ص76.

(6) الدينوري:الأخبار الطوال،ص282.

(7) الطبري:تاريخ الرسل،6/15.

**الذين خاضوا في دماء أهل بيت نبيكم** »[1]. وبعد أن بايعه الناس، قال تبايعونني على:« **الطلب بدماء أهل البيت، وجهاد المحلين، والدفع عن الضعفاء،وقتال من قاتله، وسلم من سالمه، والوفاء بعهده وبيعته لا يقيل ولا يستقيلون** »[2]، ومن هذه الخطب نستخلص مبادئ برنامج المختار في محاربة الظلم على النحو التالي: - الطلب بدماء أهل البيت، وقتال من قاتل الحسين وأهله.

- جهاد المحلين،المارقية.

- الدفاع عن الضعفاء.

-مسالمة من سالم.

- الدعوة إلى كتاب الله وسنة نبيه.

-البيعة للمختار بالزعامة والنيابة لمحمد بن الحنفية.

هكذا نجد المختار يستغل عواطف شيعة العراق وضعف إيمانهم لتحريكهم خدمة لبرنامجه، وطموحاته السياسية،التي يسعى إلى تنفيذها على أرض العراق وبأيدي عراقية،مدعيا بأنه ينتقم لآل البيت،ويثأر لقتلاهم، مبشراً بالانتقام من الظالمين المضطهدين من قبل السلطة الأموية والمظلمين، الشيء الذي كان يهم الضعفاء والمحرومين،وهو الأسلوب الذي به يكسب الأشياع والأتباع لحركته وفكره، أمام ضعف عصبيته، وقلة عدده.

### ج-الدعوة لآل البيت ومبايعة المختار

كان المختار أول القائلين بإمامة محمد بن عليّ بن أبي طالب المعروفة باسم الحنفية[3] وأنه مفوض من قبله للقيام بحركته [4]في إطار الدعوة لآل البيت،لذا نجد عماله يدعون الناس للبيع لآل البيت، فبعد التقاء جيش المختار بجيش مصعب قال لهم ابن شُمَيط:« **إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، وإلى بيعة الأمير المختار، وإلى أن نجعل هذا الأمر شورى في آل الرسول، فمن زعم من الناس أن أحداً ينبغي له أن يتولى عليهم برئنا منه وجاهدناه**»[5]،وأثناء حصار ابن مطيع في القصر واستسلام أصحابه،

---

(1) ابن الأثير:الكامل،3/295-296.

(2) البلاذري:أنساب الأشراف،6/394،ابن الأثير: الكامل،3/301، النويري:نهاية الأرب،21/11.

(3) المسعودي:مروج،3/87،النوبختي: فرق الشيعة:ص33.

(4) الطبري:تاريخ الرسل، 5/580،النوبختي:فرق الشيعة،ص34.

(5) الطبري: تاريخ الرسل،6/96،ابن الأثير: الكامل،3/333،النويري: نهاية الأرب،21/26.

ودخول المختار القصر والإقامة فيه،ثم تمت له البيعة،حيث قال:« ... **ألا ادخلوا أيها الناس فبايعوا بيعة هدى...ما بايعتم بعد بيعة أمير المؤمنين عليّ وآل عليّ بيعة أهدى منها** »[1]، وبعد أن تمت له البيعة ، جعل يقول تبايعوني، فبايعه الناس على كتاب الله وسنة نبيه[2].

**د-المطالب الاقتصادية والاجتماعية**

لم يكتف المختار في برنامجه بالتركيز على المحاور السياسية فقط ،بل أهتم بالجانب الاقتصادي والاجتماعي وجعلهما من أولويات سياسته في العراق،فخاطب أشياعه ،حاثاً لهم على البيعة«... **والدفع عن الضعفاء، فكونوا أول خلق الله إجابةً**»[3]، وكان يعني بها المستضعفين من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، و اختيار المختار لحركته شعار الدفاع عن المقلين وعن الطبقات المحرومة أثر في نفوس هذه الطبقات التي وجدت في انضمامها إلى المختار الأمل في تحسين أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية لذلك فقد كثر عنصر الموالي بين أصحاب المختار[4].

وكان يدرك المشكلات الاقتصادية لدى الكثير من الموالي ومنهم في مثل وضعهم الاقتصادي من العرب من أبناء الطبقة الدنيا ويبدي الاستعداد للتعاطف معهم، ومعالجة قضاياهم ومشاكلهم، والوقوف إلى جانبهم ضد السلطة الأموية،هذا ما زاد من شعبيته وتسارع تدفق الموالي إلى ثورته.

إذن اهتم المختار بالشؤون الاقتصادية والمعيشية للشيعة، فكانت من بين مطالبه الأساسية التي قدمها لأنصاره عند وصوله الكوفة "الدفاع عن الضعفاء"،وكان يعني بذلك المستضعفين من الناحية الاقتصادية، وما لها من علاقة بالناحية الاجتماعية المزرية التي كان يعيشها سكان الكوفة والأقاليم المجاورة لها.

---

(1) البلاذري:أنساب الأشراف،394/6،الطبري: تاريخ الرسل،32/6.

(2) البلاذري:أنساب الأشراف:394/6، الطبري: تاريخ الرسل،32/6،ابن الأثير: الكامل،30132/3،النويري:نهاية الأرب، 11/21.

(3) الطبري: تاريخ الرسل،6/25-28-43-44-69،ابن الأثير: الكامل،259/3،

(4) الطبري: تاريخ الرسل،606/5،580، 15/6.

وقد كان لاختيار المختار هذا الشعار لحركته —الدفاع عن الطبقات المحرومة-أثره الكبير في نفوس هذه الطبقات الأمل في تحسين أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية بالانضمام إلى حركته، لذلك كثر عنصر الموالي بين أصحاب المختار[1].

وكان يدرك المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي يعاني منها الكثير من الموالي وأمثالهم من العرب من أبناء الطبقة الدنيا،ويبدي كل استعداداته للتعاطف معهم وقد وجد الموالي ما يطمحون إليه بانضمامهم إلى حركة المختار ،وخاصة الحصول على الحقوق التي كانت للعرب من أهل الكوفة، ويتضح ذلك في خطابه"انتم مني وأنا منكم"،يضاف إلى ذلك المكاسب المادية التي تحصلوا عليها حين حاصر ابن مطيع في القصر، ووجد المختار في بيت المال تسعة آلاف ألف أعطى« **لكل رجل منهم خمسمائة درهم، وأعطى ستة آلاف من أصحابه أتوه بعدما أحاط بالقصر وأقاموا معه تلك الليلة وتلك الأيام الثلاثة مائتين مائتين**»[2].

لم يهتم المختار بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية فقط،بل ركز على العاطفة الدينية ،وحاول إعطاء لحركته السياسية صبغة دينية،لما للدين من تأثير في ذلك العصر إضافة إلى الانتساب إلى احد أهل البيت البارزين .وقد وجد المختار في شخص محمد بن الحنفية خير معين على تنفيذ برنامجه الطموح،لما كان لابن الحنفية من مكان في نفوس الشيعة فهو إمام المسلمين في دنياهم، وأحد ابرز أركان البيت العلوي.

رغم المبادئ التي ناد بها المختار كالانتقام لقتلى آل البيت واسترجاع حق المظلومين والمقهورين،إلاّ أن طموحه كان أكثر من ذلك،وهو السيطرة والسلطان،وأنه قرب الموالي إلى صفه وجنده لدعم حركته في قتال بني أمية وقوات بني الزبير في الكوفة والبصرة،ومن اجل تحقيق هدفه المرسوم لثورته وإقامة دولة متماثلة للدولة الأموية،وما يوضح هذه الفكرة الدخول في مساومة على هؤلاء الموالي مع أشراف الكوفة طمعا في عونهم فهو يخاطب أشراف الكوفة بقوله:« **إن أنا تركت لكم مواليكم وجعلت فيئكم فيكم،أتقاتلون مع بني أمية وابن الزبير، وتعطون على الوفاء بذلك عهد الله وميثاقه،وما أطمئن إليه من الأيمان؟**»[3]. يضاف إلى ذلك أن حركة المختار لو كانت فعلا تقاتل ضد المظلومين وانتقاما للحسين لتحالفت مع عبد الله بن الزبير ما دام الهدف واحد والسبب واحد ،لكن معارضة المختار لابن الزبير يكشف المطامع المبيتة والمخططة من قبله في إطار برنامج ثورته وهو التطلع

---

(1) الطبري: تاريخ الرسل،580/5.

(2) الطبري:تاريخ الرسل،580/5،ابن الأثير: الكامل،301/3.

(3) الطبري:تاريخ الرسل،44/6، النوير:نهاية الأرب،13/21.

إلى المكاسب السياسية ، والوصول إلى السلطة.وما يؤكد ذلك قول المختار في نهاية أمر ثورته: «**لا،لعمري ما كان إلاَّ لطَلَب دُنْيا، فاني رأيت عبد الملك بن مروان قد غلب على الشام،وعبد الله ابن الزبير على الحجاز ،ومُصْعَبًا على البصرة،ونَجْدَةَ الحَرُوريّ على العَرُوض** [1]**،وعبد الله بن خازم على خراسان،ولست بدون واحد منهم،ولكن ما كنت اقدر على ما أردت بالدعاء إلى الطلب بثار الحسين**»[2].

ومن هنا نفهم أن برنامج كفاح المختار يرتكز أساسا على المصلحة الذاتية،وهو بناء مجد سياسي له في ظل الظروف والوضع الذي أصبحت عليه أراضي الدولة الأموية في المشرق، وحتى يكسب مؤيدين وأتباع،اعتمد على عاطفة الثأر للحسين ومن قتلته،وتظاهر برسالة النفس الزكية لتأكيد حسن النية لأتباعه،وإعطاء الشرعية الدينية والسياسية لبرنامجه وحركته.و«**الطلب بدماء أهل البيت**»،و«**الدفع عن الضعفاء** »هما القضيتان اللتان ركبهما المختار كما بينا سابقا وقد وظف في حركته من اجلهما،فصلا عن سجع الكهان،وجملة من الأفكار ستصبح الأساس الذي ستقوم عليه النظرية الشيعية الإمامية.وهذه الأفكار والأطروحات التي تعرضها كتب الفرق كآراء منفصلة مستقلة بنفسها هي في الحقيقة عناصر تشكل البنية التي تقوم عليها عقيدة الإمامة عند غلاة الشيعة ونظرية الإمامة عند المعتدلين منهم.

## 3- سير تنفيذ البرنامج والثورة

بعد وصول المختار الكوفة بدأ يتنقل بين أشرافها ، وأعوان الشيعة وهو يبشرهم بالنصر المبين ، ويدعوهم للاجتماع عنده، وبلغ خبره عامل عبيد الله بن زياد وهو عمرو بن حريث الذي شكاه لعبيد الله،فاحضره وقال له: أنت المقبل في الجموع لتنصر ابن عقيل؟ فرد انه لم يفعل،ولكن أقبلت ونزلت تحت راية عمرو فضربه عبيد الله وشتر عين المختار،ثم ادخله السجن،ولولا توسط عبد الله بن عمر بن الخطاب عند يزيد الذي كتب لزياد أن يطلق سراحه [3].

وبعد موت يزيد بن معاوية واضطراب أمر أهل العراق، واستقرار المختار في الكوفة،جعل يدعو الناس إلى نصرته،قائلاً: «**أبشروا بالنصر...وجعل يدعو إلى إمامة المهدي محمد بن الحنفية، ويظهر**

---

[1] العروض:بلاد البحرين واليمامة وما حولها،(معجم البلدان:112/4).

[2] الدينوري:الأخبار الطوال،ص280.

[3] ابن الأثير:الكامل، 257/3،النويري:نهاية الأرب،3/21.

**الانتصار لأهل البيت، وأنه ما جاء إلا بصدد أن يقيم شعارهم، ويظهر مَنَارَهم، ويستوفي ثأرهم»**[1]، هذه الحاسة في الأسجاع والخطب من أجل اقتناء الأصحاب والأتباع الذين سيتولون قيادة الثورة،حيث راسل إبراهيم بن الأشتر،الذي ألح عليه رُسل المختار بالانضمام، لما له من أهمية وشرف ، ورغبوه ترغيبا كثيرا في ذلك،وأكد لهم أن يولوه الأمر فقالوا:« **أنت لذلك أهل،ولكن ليس لذلك سبيل، هذا المختار قد جاءنا من قبل المهدي،وهو الرسول المأمور بالقتال،وقد أمرنا بطاعته فسكت ابن الاشتر ولم يجبهم**»[2]،لكن ابن الأشتر لم يثق في مصداقية ونية المختار كوزير لابن الحنفية،مما جعله يتباطأ في الرد.

ولما وصلت الأخبار بعدم قدومه،سار إليه المختار مع جمع من أتباعه ،وقال له هذا كتاب من عند ابن الحنفية إليك«**يسألك أن تنصرنا وتؤازرنا،فان فعلت اغتبطت،وان لم تفعل فهذا الكتاب حجة عليك**»[3]،وبعد الإلحاح والإقناع،أصبح ابن الأشتر الساعد الأيمن للمختار الذي يعتمد عليه في تطبيق برنامجه على أرض الواقع وقتال قتلة الحسين.

تحرك ابن الاشتر من عند المختار بكتيبته حتى أتى قومه،واجتمع إليه كل من بايعه وأجابه،ثم سار بهم في الليل حتى لا تصطدم بشرطة ابن المطيع،حتى انتهى إلى مسجد السكون،وعند دخول جبانة كندة فشد إبراهيم على أصحابه زحر بن قيس الجعفي وهو يقول:« **اللهم انك تعلم أنا غضبنا لأهل بيت نبيك،وثرنا لهم ،فانصرنا عليهم،وتمم لنا دعوتنا** »[4]،وتحفيزا للأنصار، قال سويد بن عبد الرحمن المنقرى عند الاقتحام بالقوة الأموية في جبانة أثير،« **أنكم أولى بالنصر من هؤلاء الفساق** »[5]،وشد عليهم إبراهيم حتى انصرفوا وخرجوا من الصحراء منهزمين.

يذكر الدينوري[6] أن المختار ركز دعوته إلى العلويين،وجعل يختلف بشيعة بني هاشم، ويختلفون إليه، فيدعوهم إلى الخروج معه والطلب بدم الحسين، فاستجاب له بشر كثير، خاصة من همدان، ومن أبناء العجم الذين كانوا بالكوفة ،وبعد أن انتصر على جيش ابن المطيع ولى الشرطة كيسان أبا عمره وأمره أن يتتبع من خرج إلى قتال الحسين بن عليّ،ويهدم دورهم [7].انتقاماً للحسين وتجسيداً لبعض

---

(1) ابن كثير:البداية ،5/243-244.

(2) الطبري:تاريخ الرسل،6/16.

(3) المصدر نفسه:6/16.

(4) الطبري: تاريخ الرسل،6/21،ابن الأثير:الكامل،3/295.

(5) الطبري: تاريخ الرسل،6/21ابن الأثير:الكامل،3/295-296.

(6) الأخبار الطوال:ص264.

(7) الدينوري:الأخبار الطوال،ص268، الطبري:تاريخ الرسل،6/33.

أهداف برنامجه. ويروي الطبري [1] أن المختار أمر بتتبع قتلة الحسين،قال لهم:« **اطلبوا لي قتلة الحسين، فإنه لا يسوغ لي الطعامُ والشرابُ حتّى أطهر الأرض منهم، وأنفى المُصِرّ منهم**».وأطلق المختار للشيعة العنان لينتقموا من قتلة الحسين.وصاح جند المختار«**يا لثارات الحسين**»[2]،واخذوا يلاحقون قتلة الحسين في كل مكان،وتتبعهم المختار بالقتل ،بعد أن دلّ على عبيد الله بن أسد الجهنّ ومالك بن نسيْر الكنديّ وحمل بن مالك المحاربيّ بالقادسية فقتلهم. ثم أحضر زياد بن مالك الضَبَعِيّ وعمران بن خالد العَثْرِيّ وعبد الرحمن بن أبي حَشْكَارَة البَجَلي وعبد الله بن قيس الخَوْلاَنِيّ، فقتلهم وأحضر عبد الله أو عبد الرحمن بن طلحة وعبد الله بن وهيب الهَمَدَاني ابن عم الاعشى وعثمان بن خالد الجهنى وأبا أسماء بشر بن سميط القابسيّ وكانا مشتركين في قتل عبد الرحمن بن عقيل ،فقتلهما وحرقهما بالنار.وبحث عن خولى بن يزيد الاصبحيّ صاحب رأس الحسين، فجئ برأسه وحرق بالنار [3].وكان كل منهم قد بحث عن مخبأ اختفى فيه عن عيون المختار،فأخرجهم رجاله من مكانهم.

وهكذا انتقم المختار من قتلة الحسين ،وأشفى صدور آل البيت وشيعتهم بالعراق ، وبالتالي تنفيذ لمبدأ من مبادئ برنامجه.

## 4- نتائج ثورة المختار

### أ-النتائج الاجتماعية

نجح المختار في« **قتل عمر بن سعد بن أبي وقاص، وكان الذي تولى قتله أبو عمرة، وأحضر رأسه عند المختار، وعنده ابنه حفص ابن عمر فقال له المختار: أتعرف هذا؟ قال: نعم، ولا خير في العيش بعده، فأمر به فقتل، وقال: هذا بحسين، وهذا بعليّ ابن حسين، ولا سواء، والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أنملة من أنامله**»[4].ويعود السبب في تعطش المختار لقتلة الحسين وردته السريعة على ذلك دون سابق استعداد. وصول قول محمد بن الحنفية يشكك في صدقه،إذ يقول:« **إنه يزعم أنه لنا شيعة وقتلة الحسين عنده على الكراسي يحدثونه**»[5]،مما أدى بالمختار إلى الرد السريع على قتلة الحسين والتشديد في ذلك،حيث يصف الدينوري [6]ما انزله المختار بقتلة الحسين من هدم الدور،

---

[1] تاريخ الرسل :57/6، المنتظم:57/6-58، ابن الأثير: الكامل،311/3،النويري: نهاية الأرب،16/21.

[2] تاريخ اليعقوبي:258/2،البلاذري: أنساب الأشراف،391/6،390، المنتظم:53/6.

[3] ابن خلدون: العبر،34/3.

[4] الطبري:تاريخ الرسل،61/6، ابن الأثير:الكامل،312/3،ابن كثير: البداية ،267/5.

[5] الطبري: تاريخ الرسل،62/6.ابن الأثير: الكامل،212/3.

[6] الأخبار الطوال: ص268.

ومن خرج إليه منهم قتله، حتى قتل أناسا كثيرا،ويدافع فلهاوزن [1] عن المختار،فيذكر انه ضمن حماية النساء والأطفال والحرم، وأنه لم يكن اشد القوم تنكيلا بهم،بل قد قتل كثيرون دون علم منه وعلى عكس ما أمر به.

ثم رأى المختار أن يثأر لهزيمة التوابين في معركة عين الوردة،فيلتقي بالجيش الأموي الذي يقوده عبيد الله بن زياد،قاتل الحسين بن عليّ.وبدأت معركة نهر خَازِرُ [2]،قرب مدينة الموصل،في أوائل شهر المحرم من سنة 67هـ(686م)،واستطاع جيش المختار أن يحوز النصر رغم أن عدد جند الشام كان يبلغ عشرة أضعاف عدد جند المختار،بفضل حماسة الجند ولاسيما الشيعة منهم،وسقط رؤساء جند الشام قتلى،فقتل عبيد الله بن زياد قاتل الحسين،وقتل الحسين بن نمير السكوني الذي كان قد حاصر ابن الزبير في الكعبة في أواخر عهد يزيد بن معاوية،واحتز جند المختار رأس ابن زياد ثم حرقوا جثته.وبعد هزيمة جند الشام تتبعهم جند المختار،فسقط عدد كبير في نهر خازر غرق،واستولى المختاريون على كثير من الغنائم.ووضع المختار رأس ابن زياد في سلة وبعث بها إلى محمد بن الحنفية وعليّ بن الحسين وسائر بني هاشم في الحجاز. وأبدى عليّ بن الحسين سروره،وترحم على أبيه .و لم يبق احد من بني هاشم إلا قام خطيبا وأطنب في الثناء على المختار والدعاء له [3] .ويروي اليعقوبي [4]«**أن عليّ بن الحسين لم ير ضاحكا يوماً قط، منذ قتل أبوه، إلاَّ في ذلك اليوم، وإنه كان له إبل تحمل الفاكهة من الشام، فلما أتي برأس عبيد الله بن زياد أمر بتلك الفاكهة، ففرقت في أهل المدينة وامتشطت نساء آل رسول الله، واختضبن، وما امتشطت امرأة ولا اختضبت منذ قتل الحسين بن عليّ، وتتبع المختار قتلة الحسين فقتل منهم خلقا عظيما، حتى لم يبق منهم كثير**».وسطع نجم المختار بعد معركة الخازر وعلا صيته عند شيعة عليّ،بعد أن أخذ بثأر الشيعة، وشفى غليلها،ونجح فيما اخفق فيه التوابون.

### ب- النتائج الاقتصادية

كان المختار كريما،يبذل المال بلا حساب،فكان يغدق الصلات والهدايا على رجاله وأنصاره، وعمل على تحسين أحوال الموالي والرقيق الاقتصادية،فرفع مرتباتهم وعطائهم،وارتفع بالتالي مستوى معيشتهم،وكان الموالي يمثلون غالبية سكان العراق،وكان كرمه من عوامل نجاحه السياسي،فقد أرضى

---

[1] الخوارج والشيعة :ص323.

[2] وهو نهر بين أربل والموصل ثم بين الزاب الأعلى والموصل(معجم البلدان:337/2).

[3] الطبري: تاريخ الرسل،6/91،90،ابن عساكر: تاريخ دمشق،57/459 ،460 و54/343،ابن حجر:الإصابة، 3/163.

[4] تاريخ:2/259.

بالمال خصومه قبل أنصاره [1].«**استمر المختار ومن ورائه الموالي يحكمون بلاد العراق،وكانت تجبى إليه الأموال من السواد وأصفهان والري وأذربيجان والجزيرة.وغضب أشراف العرب** »[2] على سياسة المختار،وتوجهوا إليه يعاتبونه،ففسر لهم تقريبه الموالي بقوله:« **لا يبعد الله غيركم، أكرمتكم فشمختم بآنافكم، ووليتكم فكسرتم الخراج، وهؤلاء العجم أطوع لي منكم، وأوفى، وأسرع إلى ما أريد**»[3]،هذا ما جعل العرب الأشراف يُبدون معارضتهم لسياسة التسامح التي أبداها المختار، فقد كانوا يعتبرون أنفسهم قادة أعلى مكانة ،وأولى بالطاعة،واتهموه بأنه أدنى مواليهم فحملهم على الدواب وأعطاهم وأطعمهم من فيئهم، فسلبهم بذلك حقوقهم،لأنهم اعتقوا رقيقهم وأصبحوا موالي لهم،على أمل أن يتقربوا إلى الله تعالى فينالوا ثوابه،ولكن المختار منح الموالي والرقيق حقوقهم وجعلهم شركاء لأسيادهم في الفيء،ثم جند هؤلاء الموالي فأصبحوا عدة جيشه،وواجهُوا هؤلاء الأشراف العرب.

هذه هي الاتهامات التي وجهها العرب الأشراف في الكوفة إلى المختار،وهي تمثل صورة من صور العصبية بين العرب والموالي في العصر الأموي.والحقيقة أن المختار أعاد إلى الموالي حقوقهم المسلوبة، وعمل على تحسين أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية،وكان على حق في كل ما فعله.لأنه بث بمناصرته لهم في نفوسهم أمالا عريضة ما لبثوا أن حرصوا على تحقيقها بعد مقتله، فجاهدوا طويلا حتى اسقطوا الدولة الأموية،وأقاموا الدولة العباسية.

دافع كثير من المؤرخين عن سياسة المختار في مساواة العرب بالموالي.فيذكر المؤرخ العراقي المعاصر عبد العزيز الدوري [4] أن الأحزاب الإسلامية هي التي نظمت حركة الموالي بأشكالها المختلفة، وساعدتها على أن تتخذ مظاهر مختلفة،فالأتقياء أيدوا الموالي في دعوتهم للمساواة بدون نظر إلى سر هذه الدعوة.واليهم يعود الفضل كثيرا في تشجيعهم على الثورات المختلفة.

كان المختار زعيم العراق،وعبد الله بن الزبير خليفة الحجاز،يشتركان في العداء للدولة الأموية،ولكنهما اختلفا في الوسائل،فقد اختار المختار أن يعتمد على الموالي والعرب في وقت واحد،إذ يمثلون جميعا رعايا الدولة،بينما اقتصر اعتماد ابن الزبير على العنصر العربي.ونسي الرجلان عداءهما للدولة الأموية ودخل صراعاً عنيفاً حول السيادة في بلاد العراق،والتقى جيش المختار بجيش مصعب بن

---

[1] علي حسني الخربوطلي:المختار،ص43.

[2] المرجع نفسه:ص 286.

[3] الدينوري: الأخبار الطوال، ص274.

[4] مقدمة في تاريخ صدر الإسلام :ص 81.

الزبير في معركة عنيفة،انتهت بمصرع المختار سنة 67هـ/686م.وكانت هذه المعركة في الحقيقة صراعا بين الموالي والعرب إذ أصبحوا محور النزاع بين الزعيمين.ولكن نهاية حياة المختار لم تكن نهاية ثورة الموالي، فقد استعادوا قوتهم واخذوا يبحثوا عن زعيم جديد،كان هو عبد الرحمن بن الأشعث الذي سنتحدث عن ثورته في فصل أخر.

أيقظ المختار في نفوس الموالي آمالاً كبيرة عملوا على تحقيقها، ومنحهم حقوقاً سياسية واجتماعية حرصوا على الاحتفاظ بها دائماً . ولذا نعتبر ثورات الموالي المستمرة طوال العصر الأموي نتيجة مباشرة لحركة المختار.

وصف فلهاوزن[1] الموقف بعد مصرع المختار، فقال ولمّا تولى الحجاج الثقفي حكم بلاد العراق كانت تنتظره مهام ثقيلة ، فكانت هذه البلاد تضطرب كالمرجل، و لم يكن ذلك لمجرد الصراع الذي استمر سنين طويلة حول الخلافة، وقد أخمدت الثورة العنيفة التي قام بها شيعة الكوفة ومن أنظم إليهم من الموالي بقيادة المختار الثقفي ولكنها خلَّفت في النفوس ناراً متوقدة ، و لم تكن البصرة قد تحررت بعد من الخوارج اللذين كانوا يقفون أمام أبواب هذه المدينة مهددين لها ،و لم يكن مصعب بن الزبير قد استطاع أن يقضي عليهم ، وقد فتّوا في عضده وهو يحارب أهل الشام.

كانت هذه هي التركة الثقيلة التي خلفها المختار للأمويين في بلاد العراق ، فقد وضع المختار بذور الضعف والاضطراب ، ونمت هذه البذور،واستفحل الأمر،ممّا عجلّ بسقوط الدولة الأموية ، وقيام الدولة العباسية.

[1] تاريخ الدولة العربية :ص 284.

## رابعاً:ثورة زيد بن عليّ وبرنامجها

121-122هـ/739- 740م

زيد هو احد أحفاد عليّ بن أبي طالب، وكان زيد كما وصفه المؤرخ ابن طباطبا [1]:«**من عظماء أهل البيت، عليهم السلام، علماً وزهداً وورعاً وشجاعةً وديناً وكرماً، وكان دائماً يحدث نفسه بالخلافة ويرى أنه أهل لذلك، وما زال هذا المعنى يتردد في نفسه، ويظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه**».وكما وصفه عدوه الخليفة هشام ابن عبد الملك بأنه«**حلو اللسان شديد البيان**»[2].

وكان زيد جريئا،يسعى إلى رفض المنكر والظلم،فقد توجه بالنصيحة إلى الخليفة هشام فقال له:« **يا أمير المؤمنين، اتق الله! قال: أو مثلك يا زيد يأمر مثلي بتقوى الله؛ قال زيد إنه لا يَكْبُر أحدٌ فوق أن يوصىَ بتقوى الله، ولا يَصْغر دون أن يوصى بتقوى الله**»[3]،والواقع أن زيداً قد « **جمع بين النظر والعمل على نحو متكامل،كان في النظر غاية في الفصاحة والبلاغة والبراعة حتى شبه بالإمام عليٍّ ،وكان في العمل زاهداً شجاعاً مقدماً لا يتردد في تطبيق ما يؤمن به** »[4]،هذه الصفات والمواقف هي التي جعلت من زيد قائدا ثوريا معارضا،رافضا للاستكانة لسلطة الخليفة هشام.وثورته في الحقيقة، هي ثورة من ثورات الشيعة التي شهدها العصر الأموي،ولكنها تختلف عن غيرها في كثير من المبادئ والاتجاهات.فهي ثورة،جمعت بين أراء الشيعة وأراء السنة،ومزجت بين مبادئ الشيعة ومبادئ المعتزلة،وهي ثورة ضد استئثار البيت الأموي بالخلافة،وضد مظالم الولاة الأمويين،وهي ثورة أيضا لإعادة الخلافة إلى بيت الرسول ﷺ.

### 1 – أسباب ثورة زيد بن عليّ

#### أ–الثورة على مفاسد السياسة الأموية وجور الحكام

أعلن زيد بن عليّ ثورته على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك،فقال:« **خرجت على بني أمية الذين قاتلوا جدي الحسين،وأغاروا على المدينة يوم الحرة،ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار** »[5]، أي أن زيدا أراد الثار من الأمويين،لجده الحسين، ولأهل المدينة،وللمسلمين عامة.فقد قتل الأمويون

---

[1] الفخري:ص132.

[2] تاريخ اليعقوبي:325/2.

[3] ابن عبد ربه:العقد الفريد ،117/4.

[4] أحمد محمود صبحي : في علم الكلام،ص59.

[5] البغدادي: الفرق بين الفرق،ص35-36.

الحسين بن عليّ في كربلاء،وهاجم الجيش الأموي المدينة المنورة،مدينة الرسول،وهو في طريقه إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير في خلافة يزيد بن معاوية،وهزم الجيش الأموي أهالي المدينة في واقعة الحرة،وأباح القائد الأموي المدينة لجنده،فقتلوا كثيرا من أهلها،من أنصار الرسول ،ومن البدريين، وانتهبوا المتاع،واعتدوا على الحرمات.كما أن الجيش الأموي بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي،قذف الكعبة بالمنجنيق خلال حصاره لعبد الله بن الزبير في الكعبة في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان،مما أدى إلى تهدم الكعبة،بيت الله الحرام،فأثار بذلك سخط المسلمين كافة،وأبناء البيت خاصة.

وقد عاب زيد على الحكام وشيعته، بأنّهم كانوا يشاهدون الظلمة الذين كانوا بين ظهرانيهم يأمرون بالمنكر ، ويعملون الفساد فلا ينهونهم عن ذلك ، ويرون حقّ اللّه مضيعاً ، ومال اللّه دُولة بَين الأغنياء ، فلا يمنعون من ذلك رغبة فيما عندهم من العَرَض الآفل،والمترل الزائل ، ومداهنة منهم على أنفسهم. وقد قال اللّه عزّ وجلّ لكم : ﴿ **يَا أَيُّـــها الّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الأحبار والرُّهْبَانِ لَيَأكُلُونَ أموالَ النّاسِ بِالْباطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَهَبَ وَالفِضَّةَ وَلايُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّـــرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾[1].

قد علم بأنّ ركوب معصيته ، وترك طاعته ، والمداهنة للظلمة في أمره ونهيه ، إنّما يلحق فساداً بالبلاد والعباد، ويعطل الجهاد والعمل بكتاب الله وسنة نبيه ،وقد قال الله تعالى :﴿ **والمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[2].

**ب–ملاحقة عمال هشام لزيد**

ومن أسباب خروج زيد منها « **ملاحقة ولاة هشام زيداً بتهم مالية كاذبة اقتضت إخراجه من المدينة مرة إلى دمشق ليسأله في ذلك هشام ومرة إلى العراق ليسأله واليها من قبل هشام ،ومنها أنه ذهب إلى هشام يشكوا إليه واليه على المدينة ولكن هشام أهانه معبراً إياه بأمه الجارية ،فرد عليه زيد رداً مفعماً مثيراً إلى أن أم نبي الله إسماعيل كانت جارية ولكن الله أخرج منها دون سيدها سيد البشر، ولا يعير من كان جده رسول الله وأبوه عليّ بن أبي طالب** »[3]،وبذلك فإن سياسة الظلم والجور التي أخرجت الحسين نحو الكوفة هي نفس السياسة التي أخرجت زيداً على سلطة الخليفة هشام،نتيجة لسياسة الإقصاء لرجال البيت. وما ساعد زيد بن عليّ في التفكير والتعجيل بالثورة ،اتهامه

---

(1) سورة التوبة– الآية:34.

(2) سورة التوبة– الآية:71.

(3) أحمد محمود صبحي : في علم الكلام ،ص 58 -59.

من قبل والي العراق بأنه اختلس مالاً،مما دفع يوسف بن عمر [1] والي العراق أن يكتب إلى الخليفة هشام ابن عبد الملك أن خالد القيسري، سلفه في حكم العراق، قد أودعه ستمائة ألف درهم عند زيد بن عليّ وأن زيداً ينكر هذه الوديعة . فبعث هشام إلى زيد يستدعيه إليه . وقدم زيد من المدينة إلى دمشق، وأكدّ لهشام إنكاره لما زعمه يوسف، فعرض هشام على زيد أن يذهب بنفسه إلى يوسف ليواجهه بهذا ، ولكن زيداً استحلف هشاماً ألاَّ يبعث به إلى يوسف خوفاً من اعتدائه عليه وتعذيبه، غير أن هشاماً أصرَّ على رحيله إلى العراق[2].وأثناءها دار حواراً طويلاً بين هشام وزيد ، فكان هشام يشعر في قرارة نفسه بأن زيداً يطمح إلى الخلافة فآثر أن يحط من عزمه،فقال:« **لقد بلغني أنك تؤهل نفسك للخلافة**»[3]، وأمام الموقف المهين الذي تعرض له زيد من فبل الخليفة هشام،مما أجج ثائرته ،ودفعه دفعا للثورة،حيث خرج زيد من مجلس هشام ،قائلاً له: «**لا تراني إلاَّ حيث تكره**»[4]،**ثم خرج** قاصداً العراق وقد «**أعطى اللّه عهدا ألاَّ يَلْقى هشاما إلاَّ في كتيبة بيضاء أو حمراء** »[5]، وأنشد قائلاً:

«مهلاً بني عمَّنا عن نحت أثلتنا ... سيروا رويداً كما كنتم تسيرونا

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم ... وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا

اللّه يعلـــم أنا لا نـــــحبكم ... ولا نلومـــــكم أن لا تحـــبونا»[6]

قدم زيد على يوسف بن عمر بالعراق، فطالبه يوسف بالمال ، ثم عذبه عذاباً أليماً ، ولكن هشاماً بعث إلى واليه يأمره بالكف عنه وإخراجه من الكوفة إلى المدينة،وبذلك كانت السياسة الأموية في معاملة آل البيت سواءً كان ذلك من الخليفة هشام أو عماله ،سبباً في تنفير الرعية عنهم وتحريكها نحو العصيان والثورة.

## 2 – برنامج حركة زيد بن عليّ

**أ–طلب البيعة والدعوة إلى كتاب اللّه وسنة نبيه** : تنقل زيد بن عليّ بين أحياء وقبائل الكوفة يطلب البيعة ،حتى أجمع الكل على بيعته ،ضد بني أمية، لأنه كان يؤمن بالأمر بالمعروف والنهي عن

---

(1) كان لا يدع أحدا يعرف بموالاة بني هاشم، ومودة أهل بيت رسول اللّه إلا بعث إليه، فحبسه عنده بواسط(الأخبار الطوال: ص310) كان جبارا عنيدا، مهيبا،كثير التعذيب لمعارضيه،حقود جحود(أنظرالذهبي:سير،4/556،و5/443)

(2) أنظر الطبري :تاريخ الرسل،7/16،161،160، ابن الأثير: الكامل،4/257،256.

(3) تاريخ اليعقوبي: 2/325، ابن قتيبة:عيون الأخبار:1/213، المسعودي: مروج ،3/218 الطبري:تاريخ الرسل، 7/165 ،166،ابن الأثير:الكامل،4/258.

(4) الطبري: تاريخ الرسل،7/166،ابن الأثير :الكامل،4/257.

(5) ابن قتيبة :عيون الأخبار،1/ 213.البيتين الثاني والثالث وردت في العقد الفريد:2/178.مع الاختلاف في البيت الأول.

(6) ابن قتيبة :عيون الأخبار،1/ 213.

المنكر، ويؤمن بعدم السكوت على حُكم قام على الغلبة وبخاصة إذا كان الحاكم فاسقاً متجبراً، ولا يفوته في دعوته إلى الخروج أن ينصح أتباعه بمراعاة حدود الله،لذلك ركز في بيعته التي كان يبايعه عليها الناس، إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ،وفق المطالب التالية:

1- جهاد الظالمين، والدّفع عن المستضعفين.

2- إعطاء المحرومين، وقسم هذا الفيء بين أهله بالسواء.

3- ردّ الظالمين والدفاع عن المظلومين.

4- إقفال المجمر،و عدم الإبقاء بالجند في جبهات القتال بعيداً عن الأهل.

5- نصر أهل البيت على من نصب لهم وجهل حقهم، وقتال عدوهم.

6-النصيحة في السر والعلانية[1].

لقد اتخذ زيد من هذه المحاور الأساسية برنامجاً لثورته ، وأعتبرها الأساس الذي تعتمد عليه بيعته من قبل أتباعه ،فإذا وافقوا ،أشهد الله عليهم[2] .

ويذكر صاحب العقد[3] أن زيد تميز بالاعتدال،حتى أصبحت فرقته الزَّيْدِية، هم أقلُّ الرافضة غُلُوًّا، غيرَ أنّهم يَرَوْن الخُروج مع كل مَن خرج،فزيد يرى « **جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل؛ فقال: كان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أفضل الصحابة، إلاّ أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها، وقاعدة دينية راعوها: من تسكين ثائرة الفتنة، وتطيب قلوب العامة ...**»[4].وكانت نظرية الزيدية في الإمامة معتدلة مقبولة،فهي بعد زيد في ولد فاطمة تتوفر فيه شروط الإمامة[5].

ومن كلامه بعد أن سأله أتباعه عن موقفه من خلافة أبي بكر وعمر،رد عليهم قد ولوا فعدلوا، وعملوا بالكتاب والسنة ،بينما شدد على خلفاء بني أمية بأن هؤلاء ظلموا الناس وظلموا أنفسهم، وقال:«... **إنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وإلى السنن أن تحيا، وإلى البدع أن تطفأ؛ فإن أنتم أجبتمونا سعدتم، وإن أنتم أبيتم فلست عليكم بوكيل**»[6]،ولجلب الأتباع والأنصار،

---

(1) أنظر الطبري:تاريخ الرسل،7/ 172-173، ابن الأثير: الكامل،4/259،النويري:نهاية الأرب،24/216.

(2) الطبري:تاريخ الرسل،7/ 172-173، ابن الأثير: الكامل،4/259.

(3) ابن عبد ربه:2/249.

(4) الشهرستاني:الملل والنحل،1/154.

(5) ابن حجر:تهذيب التهذيب،3/333،

(6) الطبري:تاريخ الرسل،7/ 181، ابن الأثير: الكامل،4/266،النويري:نهاية الأرب،24/218، ابن كثير:البداية ، 5/588،ابن خلدون: العبر، 3/12.

ركز زيد على الجهاد لما له من أهمية عند المسلمين، حيث يروى ابن عساكر[1] أنّه قال :« **والله ما كره قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل** »،وقال أيضاً لهشام:«**أنّه ليس أحد يكبر عن تقوى اللّه، ولا يصغر دون تقوى اللّه** »[2]،هذه المواقف من زيد تكشف عن حقيقة الفساد الذي آلت إليه السلطة الأموية في أواخر أيامها ،مما سهل على أعدائها الاستفادة من هذا الوضع.

لذلك نجد الإمام زيد بن عليّ اهتم أكثر بفضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي المبادئ التي ركز عليها زيد بن عليّ في برنامجه،لأن فريضة اللّه تعالى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا أُقيمت له استقامت الفرائض بأسرها هَيّنُها وشديدها.

وذلك أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو :الدعاء إلى الإسلام ، والخروج عن الظلمة ، ورد الظالم ، وقسمة الفيء والغنائم على منازلها ، وأخذ الصدقات ووضعها في مواضعها ، وإقامة الحدود ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهد ، والإحسان ، واجتناب المحارم ، كل هذه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،من الأساسيات التي سعى زيد بن عليّ إلى تحقيقها على أرض الواقع، وحارب بني أمية من أجلها،وشدد على من يتعاون مع الظلمة الفجرة ،الذين استغلوا العطاء في شراء الذمم.

**ب–العمل بكتاب الله وسنة نبيه**

يؤكد زيد في برنامجه على العمل بكتاب اللّه ، وإحياء سنّة رسول اللّه ﷺ ، لأن بالكتاب قوام الإيمان ، وبالسنّة يثبت الدين. وإنّما البدع أكاذيب تخترع ، وأهواء تتّبع ، يتولّـــى فيها وعليها رجال صدّوهم عن دين اللّه ، وذادوهم عن صراطه ، فإذا غيّرها المؤمن ، ونهى عنها المُوَحّد ، عمل بها المفسد وأسرع إليها الضال. و ما البدعة إلاّ التي أحدثها الجائرون ، ولا الفساد إلاّ الذي حكم به الظالمون.

كان لثورة زيد بن عليٍّ هدفا سياسيا إلى جانب مطالبته بالحق، وهذا ما يذكره هشام بن عبد الملك لزيد بن عليٍّ ،قائلاً:«**لقد بلغني يا زيد أنك تذكر الخلافة وتتمناها**»[3].

وبذلك كان برنامج زيد يقوم على العمل بكتاب الله وسنة رسوله،ومقاومة الجائرين،ونصرة المستضعفين،ورد الفيء إلى من حرم منه، وتوزيع الخراج بالعدل على مستحقيه،ورد الحقوق إلى أهلها،وإعادة من أرسلوا إلى القتال في الثغور البعيدة فجمروا فيها،والدفاع عن أهل البيت،ضد أعدائهم

---

[1] تاريخ دمشق:455/19،

[2] المسعودي:مروج ،218/3.

[3] الطبري:تاريخ الرسل، 165/7، المنتظم:208/7.

الذين اغتصبوا حقوقه م[1]،والمطالبة بحق آل البيت في الخلافة بعدما اغتصبها معاوية منهم وورثها ابنه يزيد ومن جاء بعده.

فالملاحظ على هذا البرنامج تركيز زيد بن عليٍّ ﷺعلى المطالب الاجتماعية والمادية و الدينية وجعلها أساسا لثورته ضد الأمويين، فقد اتخذ من الدفاع عن المستضعفين المحرومين هدفا رئيسيا من أهداف ثورته وذلك ضد الظالمين من بني أمية، وهذا يؤدي إلى الإقبال على ثورته من قبل الذين عانوا من ظلم بني أمية وجورهم،والرافضين لسياسة تسلطهم.وهنا يمكن الربط بين القاسم المشترك لثورة يزيد ابن عليٍّ ﷺ وثورة المختار في توظيف العوامل الاجتماعية والاقتصادية في الثورتين.

قال زيد مخاطبا أتباعه للدعوة للقتال والثورة:« **فمن سمع دعوتنا هذه الجامعة غير المفرقة ، العادلة غير الجائرة فأجاب دعوتنا وأناب إلى سبيلنا وجاهد بنفسه نفسه ومن يليه من أهل الباطل ودعائم النفاق،فله مالنا وعليه ما علينا،ومن رد علينا دعوتنا وأبى أجابتنا واختار الدنيا الزائلة الآفلة على الآخرة الباقية،فالله من أولئك بريء ،وهو يحكم بيننا وبينكم،إذا لقيتم القوم فادعوهم إلى أمركم،فلأن يستجيب لكم رجل واحد خير لكم مما طلعت عليه الشمس من ذهب وفضة،وعليكم بسيرة المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب ﷺ بالبصرة والشام [...]ثم يشير الإمام زيد إلا أن لا عبرة بكثرة المخالفين ولا بقلة أتباعه الزاهدين ،فالله لم يذكر«كثيرا» إلا ذمه ولم يذك «قليلا» إلا مدحه،والقليل في الطاعة هم أهل الجماعة والكثير في الحصة هم أهل البدع**»[2].

ومن مبادئ برنامج زيد في هذه الخطبة :

1-أخلاقيات الحرب.

2-رأيه في مخالفيه كرأي عليٍّﷺ في محاربيه.

3-لا حرب إلا بعد يقين من أنه على حق في خروجه وإلاَّ استوي مع خصومه في شكلهم إذ أردهم الطمع في الدنيا. والخلاصة يريد من أتباعه أن يحاربوا حرب المبادئ والقيم نظرا ومسلكا.

4-لا عبرة بكثرة الخصوم ،فالله في كتابه قد ذم الكثرة وامتدح القلة .

5-أهل الجماعة هم المجتمعون على طاعة الله أما من اجتمعوا على معصيته فليسوا من أهل الجماعة وإنما أهل بدع.

---

[1] فله اوازن:الخوارج والشيعة،ص179، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي،ص45-46.

[2] أحمد محمود صبحي: في علم الكلام،ص59-60.

## ج–ضرورة الخروج والجهاد لطلب الإمامة

ضرورة الخروج لاسترجاع حق آل البيت المغتصب،ومن اجل محاربة الظلم حيث يقول: «**حق علينا أهل البيت إذا قام الرجل منا يدعوا إلى كتاب الله وسنة رسول الله،وجاهد على ذلك فاستشهد ومضى أن يقوم أخر يتلوه يدعو إلى ما دعا إليه،حجه الله عز وجل على أهل كل زمان أن تنتقي الدنيا،ذلك أن سل السيوف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب ما دام لا يمكن دفع المنكر،فإقامة الحق لا يكون إلا بذلك**»[1].وحين دخل الفارسية واتته وفود القوم قال:«**الحمد لله الذي أكمل لي ديني،والله كنت استحي من رسول الله إن أَرِدَ عليه الحوض غدا ولم آمر بمعروف ولم انه عن منكر**»[2].

ومن هذا نستخلص أن برنامج زيد بن عليّ يتمحور حول:

- الثورة على الظلم الأموي

-الجهاد في سبيل الله من اجل إعلاء كلمة الحق والعدل والدفاع عن الرعية والأتباع والأصحاب،مع الاستمرار في الجهاد والتضحية بالغالي والنفيس، وهو المحور الأساسي الذي ركز عليه زيد بن عليّ في برنامج خروجه ،وأعتبره واجب على كل مسلم ،وأعتبره أساس صحة بيعته ،لذا ألح على أتباعه بالجهاد والخروج على بني أمية الظالمين المستهترين بحقوق وواجبات المسلمين.

-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحق الذي يكون إلاَّ بسل السيوف [3]، وبحكم أن زيداً يسعى من وراء ثورته الوصول إلى السلطة، وحكم المسلمين.

- جواز خروج إمامين في قطرين متباعدين يستجمعان شروط الإمامة،حيث« **أجاز زيد خروج إمامين في قطرين يتعذر وصول دعوة الإمام الأول إلى قطر الثاني،على أن يستجمع كل منهما على شروط الإمامة حتى إذا انتصرت الدعوة واستعنت الرقعة إلى أن تقارب القطران فان الأمر يكون لأسبقهما إلى الدعوة فان لم يعرف اسبقهما كان الأمر لأكفأهما**»[4].

---

(1) أحمد محمود صبحي: في علم الكلام، ص60.

(2) المرجع نفسه، ص60.

(3) المرجع نفسه.

(4) المرجع نفسه:ص62.

وهنا لا يعني تقسيم الدولة الإسلامية إلى دولتين وإنما أن تعدد الثورات في أقاليم الخلافة، مع تباعدها عن مركز الخلافة ،مما يسبب عجز السلطات الظالمة القائمة عن مواجهتها معا، وذلك ادعى إلى انتصارها، ثم الإعلان عن قيام الإمامة ، مثلما حدث فيما بعد(الخلافة الفاطمية، والأموية في الأندلس).

أوصى زيد بن عليٍّ ابنه يحيى قبل استشهاده:«**يا بني جاهدهم فوالله إنك لعلى الحق وإنهم لعلى الباطل وإن قتلاي لفي الجنة وإن قتلاهم لفي النار**»[1].

وأثناء دفن الابن (يحيى) أباه (زيد) نعاه،وآل على نفسه أن يتمم رسالته حتى يلحق به،فلم يتزوج،وخرج إلى الكوفة إلى جبانة السبع وهو يكظم غيضه ويحبس أحزانه.

وهكذا نجد الانتقام والمطالبة بالثأر من قتله الحسين والجهاد من أهم المحاور الأساسية في برنامج ثورات الشيعة ضد بني أمية ،ثم يليها الحق الشرعي المغتصب من آل البيت،كحقهم في الخلافة والفيء، تمثل الركائز الأساسية التي طالب بها أتباع الشيعة عبر مراحل ثوراتهم وانتفاضاتهم المختلفة.

## 3- سير تنفيذ البرنامج والثورة

لما رجع زيد من عند الخليفة هشام وهمّ بالخروج من العراق نحو المدينة ، لكن شيعة الكوفة أقبلت عليه يطلبون بقاءه بين ظهرانيهم، فقالوا له« **أين تخرج عنا –رحمك الله–ومعك مائة ألف سيف من أهل الكوفة والبصرة وخراسان يضربون بني أمية بها دونك، وليس قبلنا من أهل الشام إلا عُدة يَسيرة. فأبى عليهم، فما زالوا يناشدونه حتى رجع بعد أن أعطوه العهود والمواثيق**»[2]

لكن أقارب وأنصار زيد اقبلوا عليه ، يحذرونه من الاستسلام لوعود أهل الكوفة ، خاصة وأنهم فعلوا بأبيك وجدك ما فعلوا، من خداع وخيانة، وقالوا له: نحن أربعون ألفاً، لن نتخلف عنك إن رجعت إلى الكوفة ، ثم أعطوه المواثيق والأيمان المغلّظة، لكنه ظل متخوف من خذلانهم له مثلما خذلوا أبوه وجده،. وحذره داود بن عليّ: منهم ،قائلاً: بأن هؤلاء يغرّونك من نفسك! لأنهم خذلوا من كان أعزّ عليهم منك؛ جدّك عليّ حتى قتل! والحسن من بعده «**بايعوه ثم وثبوا عليه فانتزعوا رداءه من عنقه، وانتهبوا فسطاطه، وجرّحوه! أو ليس قد أخرجوا أبوك الحسين، وحلّفوا له بأوكد الأيمان ثم خذلوه وأسلموه، ثم لم يرضوا بذلك حتى قتلوه! فلا تفعل ولا ترجع معهم. فقالوا: إن هذا لا يريد أن تظهر أنت، ويزعم أنه وأهل بيته أحق بهذا الأمر منكم، فقال: زيد لداود: إن علياً كان يقاتله**

---

[1] أحمد محمود صبحي: في علم الكلام،ص98.

[2] الأصفهاني:مقاتل الطالبيين،ص 131-132.

**معاوية بدهائه ونكرانه بأهل الشأم، وإن الحسين قاتله يزيد بن معاوية والأمر عليهم مقبل؛ فقال له داود: إني لخائف إن رجعت معهم ألاّ يكون أحد أشد عليك منهم، وأنت أعلم »**[1].

وقد كان زيد بن عليّ شَاوَرَ أخاه أبا جعفر بن عليّ بن الحسين بن عليّ، فأشار عليه بأن لا يركن إلى أهل الكوفة، لأنهم أهل غَدْر ومَكْر، قتلوا جَدُّكَ عليّ، و طُعن عمك الحسن و قُتل أبوك الحسين[2].وحاول بعض محبي أهل البيت إقناع زيد بالحجة الدامغة على العدول عن فكرته، بعد أن أكدوا له على العدد الذي بايع جدك وقاتلوا معه، وكذا الذي بايع أبيك وقاتلوا معه ، وقد غدر أولئك بجدّك؟ ويغدرون بك اليوم[3]،لكن زيد بن عليّ أبى إلاّ أن يمضي في ثورته إلى النهاية،فخرج إلى البصرة فأقام بها نحو شهرين ليأخذ البيعة من أهلها، ثم أقبل إلى الكوفة، وأرسل إلى أهل الموصل وأهل السواد رجالاً يدعون إليه[4]. وزاد في إصراره على الخروج،الدعم غير المتناهي لأهل الكوفة له،حيث ردُّوا عليه عندما تردد في الخروج ،إذ قالوا له: « نحن نبذل أنفسنا دونك ونعطيك من الأيمان والعهود والمواثيق ما تثقُ به. فإنَّا نرجو أن تكون المنصور وأن يكون هذا الزمانُ الزمانَ الذي يهلك فيه بنو أمية. فلم يزالوا به حتّى ردوه. فلما رجع إلى الكوفة أقبلت الشّيعةُ تختلف إليه يبايعونه، حتى أحصى ديوانُه خمسةَ عشرَ ألفاً من أهل الكوفة، سوى أهل المدائن والبصرة وواسطٍ والموصل وأهل خراسان والرّي وجرجان والجزيرة،وأقاموا بالكوفة شهوراً»[5].

ولما استتب لزيد خروجه وَاعَدَ أصحابه ،أن بداية الثورة يوم الأربعاء أول ليلة من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة[6]،ووصلت أخبار خروج زيد واستفحال أمره إلى السلطة الأموية وعلى رأسها عاملها يوسف بن عمر، فبعث الحكم بن الصلت يجمع أهل الكوفة في المسجد الأعظم ،ويحذرهم من التأخر،فتجمع الناس في المسجد يوم الثلاثاء قبل خروج زيد[7]،وأما خطورة الموقف،رأى زيد أن يتعجل بالخروج قبل الموعد الذي جعله بينه وبين أهل الكوفة.لكن يوسف بن عمر،أفسد عليه بحيله ،بعد أن دس لزيد بين أنصاره من يسأله عن رأيه في أبي بكر وعمر بن الخطاب،فقال زيد:رحمهما الله وغفر لهما، ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منها ولا يقول عنهما إلا خيرا.قالوا:فلم تطلب إذا بدم أهل هذا

---

(1) الطبري :تاريخ الرسل،7/167-168،ابن الأثير: الكامل،4/260.

(2) المسعودي:مروج ،3/217.

(3) ابن الأثير: الكامل،4/260.

(4) الطبري:تاريخ الرسل،7/171، الأصفهاني:مقاتل الطابيين،ص132،المنتظم:7/210.

(5) الفخري :ص132-133.

(6) البلاذري:أنساب الأشراف،3/437.

(7) البلاذري:أنساب الأشراف،3/437،الأصفهاني:مقاتل الطابيين،ص132.

البيت؟.ثم انصرفوا عنه ونكثوا بيعته [1].ولما شرع زيد في الخروج في ليلة أول صفر سنة 122هـ/740م،وافاه مائتي وثمانية عشر رجلاً، فتحير من أمره عن البقية،فأدرك أنهم في المسجد الأعظم محصورون،[2]،وبذلك أثر يوسف بن عمر على أتباع زيد بن عليّ،فكانت بداية الخيانة تلوح في الأفق.ثم التقى الفريقان في معركة كان النصر في أولها حليف زيد رغم قلة عدد جنده،فبعث يوسف بالناشبة فجعلوا يرمون زيدا وأصحابه بالسهام،وأصاب سهم منها زيدا في جبهته فقضى على حياته،ثم احتز يوسف رأس زيد وبعث به إلى هشام،وصلب جسده بكناسة الكوفة[3].

وهكذا ينتهي مصير زيد بعد خذلان الشيعة له مثلما خذلت جده وأبوه،وتنتهي بذلك مرحلة حاسمة من كفاح الشيعة لإحقاق الحق وإزالة الظلم،والتخلص من الحكم الأموي لكن دون تحقيق أدنى شرط من برنامجه.

## 4-نتائج ثورة زيد

لم يكن زيد بن عليّ من أولئك الزعماء الضعفاء،فلم يستسلم للفرس سياسيا،و لم يرم بنفسه في أحضانهم،و لم يوافقهم في اتجاهاتهم الشعوبية ضد العرب،بل سعى سعيا متصلا لان يكون زعيما حقا يتمتع بكل نفوذ وسلطان ،وهذا ينافي الخطة التي درج عليها الفرس،فتخلوا عنه في أحرج الأوقات وأشدها خطرا بعد أن باح برضائه عن أبي بكر وعمر اللذين كان موضع كراهتهما،وكانت كراهية الشيعة لأبي بكر وعمر جزاء من مبادئهم الرئيسية حينئذ،ولذا كانت مفارقتهم له تالية لهذا التصريح مباشرة ،وأصبح اسمهم الجديد«**الرافضة**»لرفضهم ما نادى به زيد[4].

وكانت الشيعة عند قيام زيد بحركته منقسمة على نفسها،فهناك من ينادي بأبناء فاطمة،وهناك من يؤيدون أبناء عليّ من زوجته الحنفية،وفريق ثالث يدعي أن العلويين قد تنازلوا عن حقوقهم لأبناء العباس بن عبد المطلب عم الرسول،وجاء الانقسام الأخير فأضاف إلى عوامل الضعف عاملا جديدا.

كانت صلة زيد بأستاذه واصل بن عطاء رأس المعتزلة سببا في انفضاض الشيعة وسائر الناس عنه.فقد كان واصل«**ممن يجوز الخطأ على جده-عليّ ابن أبي طالب-في قتال الناكثين والقاسطين،ومن يتكلم في القدر على غير ما ذهب إليه أهل البيت، ومن حيث أنه كان يشترط الخروج شرطاً في**

---

(1) أنظرالطبري:تاريخ الرسل،7/180-181، ابن الأثير: الكامل،4/266،المنتظم:7/210-211،ابن خلدون: العبر:3/124.

(2) أنظرالطبري:تاريخ الرسل،7/182،ابن الأثير:الكامل،4/267،ابن خلدون :العبر،3/124 «و لم يجد معه إلاّ مائتين وعشرين».

(3) أنظر الدينوري:الأخبار الطوال، ص316، الطري:تاريخ الرسل،7/186،185،184،ابن الأثير: الكامل،4/269،268.

(4) البغدادي:الفرق بين الفرق ،ص22،الشهرستاني:الملل والنحل،1/155.

**كون الإمام إماماً؛ حتى قال له يوماً: على قضية مذهبك والدك ليس بإمام؛ فإنه لم يخرج قط، ولا تعرض للخروج** »[1].بينما يرى ابن خلدون[2]أن من أسباب إخفاق زيد عدم خروج أبيه زين العابدين فهو ليس إماما«**لأنه لم يخرج ولا تعرض للخروج**».

قامت ثورة زيد في خلافة هشام بن عبد الملك حيث كانت الدولة الأموية موطدة الأركان . وكان هشام حاكماً عادلاً قوياً حتى أنه « **لم يكن في بني أمية ملك أعظم من هشام، ولا أعظم قدراً ولا أعلى صوتاً منه**»، دانت له كل أجزاء الدولة ،وأن عامة الناس كانت راضية على خلافة بني عبد الملك بن مروان، فكانوا راضين عماّ تمَّ للجيوش الإسلامية في عهدهم من انتصارات ويعّدون هذا دليلاً على عناية الله بهم، ويرون سعادة الدولة بسلطان خلفائهم .

فقد بدأ يوسف بن عمر بعد قتله زيداً سلسلة من التعذيب للهاشميين خاصة وأهل الكوفة عامة ، ونرى هذا واضحاً في خطبته:« **يا أهل المدَرة الخبيثة، إني والله ما تقرَن بي الصَّعْبَة، ولا يقعقَع لي بالشّنان، ولا أخوَفَ بالذنب. هيهات؟ حُبيت بالساعد الأشدّ، أبشروا يا أهل الكوفة بالصَّغار والهوان، لا عطاء لكم عندنا ولا رزق؛ ولقد هممت أن أخرب بلادكم ودوركم، وأحرمكم أموالكم. أما والله ما علوت منبري إلا أسمعتُكم ما تكرهون عليه، فإنكم أهلُ بغي وخلاف، ما منكم إلا من حارب الله ورسوله؛ إلا حكيم بن شريك المحاربيّ؛ ولقد سألت أمير المؤمنين أن يأذن لي فيكم؛ ولو أذن لقتلتُ مقاتلتكم، وسبيت ذراريكم**»[3] .

خلَّفت ثورة زيد وراءها أحداثاً أدت إلى زوال الخلافة الأموية ، فالدعوة العباسية نالت بموت زيد أكبر تعضيد إذ زال من طريقها منافس قويّ وخصم عنيد [4] كما أن حزب الشيعة فقد بمقتل زيد قوتّه فأتاح ذلك الفرصة لانتصار هذه الدعوة. وبوفاة زيد بن عليّ قام ابنه يحيى للأخذ بثأره ، غير أنه سلك طريقاً غير أبيه، فاتخذ خراسان قاعدة لحركته، ولكن الأمويين ما لبثوا أن قضوا عليه سنة 125هـ /743م[5].

وما نصل إليه أن الشيعة لم تعارض الأمويين في الحكم لأنهم مستبدين ظالمون جائرون لا يحكمون بما انزل الله.فهذه أشياء تأتي بالدرجة الثانية عند الشيعة،ولكنهم يعارضونهم لأنهم سلبوا الحق

---

(1) الشهرستاني:الملل والنحل،155/1.

(2) المقدمة: ص248،العبر:198/1.

(3) الطبري:تاريخ الرسل،191/7.

(4) سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب، ص 155.

(5) أنظرالطبري :تاريخ الرسل،228/7 وما بعدها.

أهله،فأحق الناس بالحكم بعد الرسولﷺهو آل البيت وخاصة عليّ بن أبي طالب وسلالته من فاطمة ، وهذا حق لا جدال فيه بالنسبة للشيعة،وقد كان [1]الوضع السياسي والعقدي بالنسبة للشيعة مائعا طوال عهد معاوية،ولكن الحادثة التي بلورت أفكار الشيعة وفصلتهم بشكل نهائي عن الأمويين وميزتهم عن أهل السنة ،هي حادثة مصرع الحسين بن عليّ بذلك الشكل العنيف،أدى مصرع الحسين ودخول الأفكار الفارسية إلى التشيع، واعتناق الفرس لمبدأ التشيع إلى تمركز العقيدة الشيعية حول الحسين وسلالته دون الحسن وذريته ،وإلى اعتناق مبدأ حق آل عليّ والحسين الإلهي بالخلافة، وأن الإمامة بالنص لا بالاختيار ،وقد كان العراق مركز الشيعة وكانت جماهير الشيعة تجد في التشيع رمزا لسلطانها الضائع وتعبيرا عن ألمها وغضبها لاغتصاب الأمويين الحكم ونقل العاصمة من العراق إلى الشام وجعل العراق تابعا بعد أن كان متبرعا.

[1] محمد ماهر حمادة:الوثائق السياسية،ص26.

# الفصل الثاني: ثورات القراء والفقهاء وبرامجها

أولاً: ثورة عبد الله بن الزبير

ثانياً: ثورة محمد بن عبد الرحمن بن الأشعث

ثالثاً: ثورة يزيد بن المهلب

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

القراء والعلماء هم تلك الجماعة من الفقهاء الذين اعتزلوا الفتنة وانشغلوا بالعلم،فأصبحوا يعرفون بالقراء، وأخذت هذه الفئة تبرز منذ عهد معاوية بن أبي سفيان،كقوة اجتماعية تحظى باحترام الناس ويخصها الخليفة بالعطاء، وكان أعضاؤها يرتبطون فيما بينهم بروابط المهنة (قراءة القرآن،التعليم، الوعظ، القصص...الخ) التي تعززها روابط المصلحة المشتركة ، وهي روابط مستقلة عن إطار القبيلة،واستقطبت هذه الفئة عددا كبيرا من الأشراف والعلماء وألتحق بها عدد من الموالي، إما رغبة في التعلم ،وإما بدافع المصلحة، وكان لفئة القراء دور سياسي بارز في كثير من الأحداث [1] ،تناصر تارة هذا الفريق وتارة فريق آخر، خاصة تلك الثورات الخطيرة التي شارك فيها فريق من القراء والفقهاء والعباد والزهاد ضد بني أمية، فالأولى **ثورة أهل المدينة بزعامة عبد الله بن الزبير** من سنة ثلاث وستين إلى سنة ثلاث وسبعين(683-692م [2]،والثانية« **ثورة أهل البصرة وأهل الكوفة على عبد الملك بن مروان مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي من سنة 81هـ إلى 83هـ (700-702م)، وقد أنضم إليها كثير من قرائهم وفقهائهم** »[3]، والثالثة **ثورة يزيد بن المهلب** 101-102هـ(719-720م)،وقد انضم إلى هذه الثورات من غير الفقهاء أنصار كثر،ومن كل الفئات.

و لم يقاوم العلماء والفقهاء من أهل الحجاز وأهل العراق بني أمية باللسان ،بل قاوموهم أيضا بالسيف.لكنهم هزموا وقتل الكثير منهم في المعارك التي خاضوها، وقتل بعضهم صبرا ، وأخفقوا في تغيير شيء من الأمر الواقع ، وعجزوا حتى في بلوغ ما أرادوا من الإصلاح [4].

---

[1] محمد عابد الجابري: العقل السياسي،ص243.

[2] حسين عطوان:الفقهاء والخلافة في العصر الأموي،ص65.

[3] المرجع نفسه:ص66.

[4] المرجع نفسه.

## أولاً: ثورة عبد الله بن الزبير وبرنامجها

(63-73هـ/683-692م)

قامت في مطلع الدولة الأموية ثورة كبيرة قاد لواءها أحد أبطال عصره، وهو عبد الله بن الزبير، وسمّى نفسه«**العائذ بالبيت**»[1]،واستمدت الحركة الزبيرية قوتها وكيانها من شخصية قائدها عبد الله بن الزبير، وكان لظروف نشأة ابن الزبير أثرها في تطلعه إلى الخلافة وفي قيامه بهذه الثورة.

وبطل هذه الثورة هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى، بن قصي، ابن كلاب، بن مرة القرشي الأسدي، أبو بكر[2]، وأمه صفية بنت عبد المطلب عمَّة الرسول ﷺ التي أسلمت وهاجرت إلى المدينة وكانت من السابقات إلى الإسلام، وكانت السيدة خديجة زوج الرسول ﷺ عمَّة الزبير.وتزوج الزبير من أسماء بنت أبي بكر الصديق،وهي أخت عائشة زوج الرسولﷺ[3].

وُلد عبد الله بن الزبير في المدينة في اليوم الثاني من شهر شعبان،من السنة الثانية للهجرة [4]، وقيل: إنه ولد في السنة الأولى[5] ، فكان بذلك أول طفل ولد في المدينة وفي الإسلام ،كما كان أكبر أولاد الزبير ، وقد فرح الرسول ﷺ وكبَّر الصحابة لمولده، فقد كان اليهود يزعمون أنهم سحروا المسلمين فلا يولد لهم ولد [6].وبايع ابن الزبير الرسول ﷺ وهو ابن سبع سنين[7]وهناك من يقول ابن ثماني سنين[8]،وظهر نبوغ ابن الزبير منذ حداثته وتنبأ الخليفة عمر بن الخطاب له بمستقبل كبير [9].شارك في فتح إفريقيا[10]في عهد الخليفة عثمان بن عفان.ولمّا حاصر الثوار دار الخليفة عثمان بن عفان،دافع عبد الله بن الزبير عنه،وقاتل الثوار [11]، ويروي ابن عساكر [12]أنه أصيب بعدة جروح حتى إذا شعر عثمان

---

(1) الطبري:تاريخ الرسل،343/5،المسعودي:مروج ،84/3، ابن الأثير: الكامل،131/3،ابن الأثير:البداية ،216/5.

(2) ابن الأثير:أسد الغابة ،241/3-242، الذهبي: سير،34/6.

(3) ابن الأثير : أسد الغابة ،242/3.

(4) ابن عساكر:تاريخ دمشق،149/28.

(5) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ص 400،المزي:تهذيب الكمال،509/14، ابن حجر:تهذيب التهذيب،333/2

(6) الاستيعاب في معرفة الأصحاب:ص 399-400، ابن عساكر: تاريخ دمشق،153/28-154، ابن الأثير: أسد الغابة ،242/3 ،ابن كثير:البداية ،330/5، ابن حجر:الإصابة ،83/6-87، السيوطي:تاريخ الخلفاء، ص197.

(7) أبن حجر:الإصابة ،85/6.

(8) ابن الأثير : أسد الغابة ،243/3.

(9) علي حسني الخربوطلي: عبد الله بن الزبير،ص14.

(10) أنظر الذهبي:سير،371/3.

(11) ابن عساكر:تاريخ دمشق،246/40.

(12) تاريخ دمشق:186/28،علي حسني الخربوطلي: عبد الله بن الزبير ،ص4.

بخطورة الموقف طلب ممن كان في داره الانصراف،كان ابن الزبير آخر من غادر الدار،ووثق عثمان فيه فعهد إليه بوصيته،ويصف المؤرخون ابن الزبير بأنه كان أمير دار عثمان يوم الدار.وقام عبد الله بن الزبير بدور كبير في حرب الجمل [1]، وعهدت عائشة إلى ربيبها عبد الله أن يصلي بالمسلمين ،فصلى خلفه شيوخ قريش . وبعد معركة صفين ، بين عليّ ومعاوية ،اشترك ابن الزبير في التحكيم [2]،هذا ما أهله ليفكر في الخلافة،ويتطلع إليها لتوفر شروطها فيه،خاصة وأنه كان شهماً شجاعا شرساً ذا أنفة، رغم أنه كانت فيه بعض الصفات لا تصلح معها الخلافة، لبخله، وضيق عطائه،وكثير الخلاف [3]،ويقول الذهبي عنه[4]: كان صواماً قواماً فصيحاً مُفَوَهاً.

وكان ابن الزبير صريحا،لا يحب المداراة أو المكر أو الخداع،وهي من مقتضيات السياسة أحيانا في ذلك العصر. وتميز بالزهد،فمال إلى البساطة والتقشف،وكان يبالغ في زهده إلى درجة اعتبرها معاصروه شحا وتقتيرا.

## 1 – أسباب ثورة ابن الزبير

### أ–الثورة على توريث الخلافة

أعلن عبد الله بن الزبير معارضته لتولي البيت الأموي الخلافة في سنة 40هـ/660م وعاب على معاوية صبغة الدولة الأموية بصبغة دنيوية ولما طلب معاوية البيعة لابنه يزيد بولاية العهد ، أبدى ابن الزبير سخطه على تحويل الخلافة من نظام الشورى والانتخاب إلى النظام الملكي الوراثي ، وتزعم حزب أبناء الصحابة المعارضين، كما تزعم ،حركة المعارضة في بلاد الحجاز [5] وحول ذلك يروي ابن قتيبة[6]:«**فان هذه الخلافة لقريش خاصة تنالها بمآثرها وأفعالها الرضية مع شرف الآباء وكرم الأبناء، فاتق الله يا معاوية وأنصف من نفسك، فان هذا عبد الله ابن عباس ابن عم رسول الله،وهذا عبد الله بن جعفر ذي الجناحين ابن عم رسول الله،وأنا عبد الله بن الزبير ابن عمة رسول الله**ﷺ... »، وكان هذا الموقف معبراً عن قوة المعارضة للتوريث ، والطمع الكبير في الخلافة، لكونه يرى أنه أحق منه في الخلافة، لما له من شروط تؤهله لها، والممثلة في النسب الشريف والأسبقية في الإسلام، والمكانة المحترمة

---

(1) الدينوري:الأخبار ،ص139، ابن عساكر:تاريخ دمشق،187/28، الذهبي:سير،371/3.

(2) الدينوري:الأخبار الطوال،ص180.

(3) الاستيعاب في معرفة الأصحاب:ص400،الصفدي:الوافي بالوفيات،93/17.

(4) العبر:60/1.

(5) علي حسني الخربوطلي:عبد الله بن الزبير،ص5.

(6) الإمامة والسياسة:149/1-150.

عند عامة وخاصة المسلمين. ويواصل عبد الله بن الزبير يقول لمعاوية :«**أتريد أن نبايع ليزيد أرأيت أن بايعناه أيكما نطيع،أنطيعك أم نطيعه؟.إن كنت مللت الخلافة فاخرج منها وبايع ليزيد فنحن نبايع**»[1]. فعبر عبد الله بن الزبير عن رفضه لبيعة يزيد وكذا موقف معاوية من اقتراح ذلك على المسلمين رغم وجود من هو الأفضل منه دينا وقربة لرسول الله ﷺ، وعلما واسبقيه في الدين،ويواصل ابن الزبير في تحديه لمعاوية ورفضه لسياسة التوريث للخلافة في البيت الأموي، وتأكيداً على مطلب العودة إلى الشورى الذي كان عليه العهد الراشدي، أين ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى كتاب الله، فرأى المسلمون استخلاف أبا بكر، ثم استخلف أبو بكر عمر، وهو أقصى قريش منه نسبا، ورأى عمر أن يتركها شورى بين ستة نفر اختارهم من المسلمين، وفي المسلمين ابنه عبد الله، وهو خير من ابنك، فإن شئت أن تدع الناس على ما تركهم رسول الله، فيختارون لأنفسهم، وإن شئت استخلفت من قريش كما استخلف أبو بكر وصنع عمر، تختار رهطا من جماعة المسلمين، وتزويها عن ابنك، فافعل [2]، وأكتشف معاوية خطورة ابن الزبير على ابنه يزيد حينما يتولى الخلافة، ولذا كان لابن الزبير نصيب في وصيته لابنه:«**وأما الذي يجثم لك جثوم الأسد، ويراوغك مراوغة الثعلب،فإذا أمكنته فرصةٌ وثب، فذاك ابن الزبير،فإن هو فعلها بك فقدرت عليه فقطعه إرباً إرباً** »[3]، وفي رد أخر لمعاوية على ابن الزبير ،قائلاً«**وإنما أنت ثعلب رواغ لا تخرج من جحر إلاَّ دخلت في آخر**»[4].

وأمام هذه المواقف والردود من الجانبين ،نخلص إلى مدى جرأة ابن الزبير على العناد والتحدي للرجل القوي في الدولة الأموية ،الذي استطاع بدهائه وحنكته أن يقف في وجه كل الصعاب ،ويضع خطوطا حمراء لرعيته لا تتعداها، لكن ابن الزبير استطاع أن يكشف عن معارضته الشديدة للخلافة الأموية منذ عهد مبكر دون خشية من معاوية وعماله،وهذا يعود لقوة شخصيته ،وتطلعه للخلافة،بعد أن آلت لمعاوية الذي لم يكن من الصحابة المقربين أو أبناء الصحابة،إضافة إلى رفضه للتوريث والتلاعب بمنصب الخلافة داخل البيت الواحد.

ويقول عبد العزيز الدوري[5]أن أهل الحجاز يرون أن أبناء الصحابة هم الأولى بالخلافة بدلاً من الأمويين الذين اسلموا متأخرين ،وأن الخلافة تبقي في مقرها الأصلي بالمدينة، ونتيجة لذلك عاشت

---

[1] ابن قتيبة:الإمامة والسياسة،162/1.

[2] ابن قتيبة: الإمامة والسياسة،163/1، الذهبي: تاريخ،151/4-152.

[3] الطبري:تاريخ الرسل،322/5-323، المنتظم،320/5، ابن الأثير:الكامل،120/3، النويري:نهاية الأرب 20/ 229-230، الفخري ص112.

[4] الأصفهاني:حلية الأولياء،331/1.

[5] مقدمة في تاريخ صدر الإسلامية:ص72.

ولاية الحجاز ، بعد انتقال الخلافة إلى دمشق أجواءً من التلبد والكبت السياسي ، وأصبح الأمر محظوراً على زعمائها تجاوز الاهتمامات الاجتماعية والثقافية،وفوق ذلك كان عهد معاوية بالنسبة لهم مصحوباً بذكريات القمع والملاحقة، فكان من البديهي أن يكون غيابه فرصة العودة إلى الحياة الطبيعية والتعبير عن مخزون عميق من النقد والاحتجاج فضلاً عن الطموح ،لأنهم لم يملكوا الجرأة على التصريح به خلال سنوات طويلة، إلاّ أن هناك قاسماً مشتركاً وحد المواقف المرحلية للمعارضة السياسية في هذا الإقليم، هو إرجاء التحرك العلني إلى ما بعد معاوية ، القابض بكلتا يده على السلطة ومعه رجاله الأقوياء واستخباراته الراصدة [1]، وبذلك ظهرت بوادر الثورة بعد تولي يزيد الخلافة ،فقد اعتبر المسلمون توليته خروجا على مبادئ الشورى التي تقضي باختيار الأمير، وخرقاً لها.وقد أبدى ابن الزبير معارضته في قوة وصراحة حينما اخذ معاوية البيعة لابنه يزيد بولاية العهد.

وكان جوهر الخلاف بين الحجازيين والأمويين محصورا في دائرة الحكم،فأهل الحجاز يرون أن تعود الخلافة إلى ما كانت عليه في العهد الراشدي.بينما الأمويين يدافعوا عن حق صار لهم،لذلك شرع يزيد مباشرة بعد تولي الخلافة في اخذ البيعة من زعماء الحجاز،فأرسل إلى واليه على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان كتابا [2]،جاء فيه:فخذ ابن الزبير، بالبيعة،أخذا بالشدة، حتى يبايع والسلام [3]، ولكنه رفض البيعة ليزيد، وخرج إلى مكة،أين وجد ابن الزبير الأمن والطمأنينة التي افتقدها في المدينة، وكسب عطف المسلمين وأيدوه حين قال لهم:« **أنا عائذ بالبيت**»،وقام يصلي إلى جوارها ليلا ونهارا، يطيل السجود ،ويكثر من التسبيح،فأحبه المسلمون وأعجبوا بصلاحه وتقواه.

مما جعل الوليد بن عتبة يراقبه ويترصد كل أخباره ويضيق عليه، فشكاه ليزيد وحثه على استبداله قائلا له:« **انك بعثت إلينا رجلا اخرق لا يتجه لأمر رشد ولا يرعوى لعظة الحكيم،ولو بعثت إلينا رجلا سهل الحلق،لين الكتف،رجوت أن تسهل من الأمور ما استوعر منها،وأن يجتمع ما تفرق، فانظر في ذلك،فان فيه صلاح خواصنا وعوامنا إن شاء الله،والسلام**»[4].

ونتيجة لذلك عزل يزيد الوليد بن عتبة وولى بدله عثمان بن محمد بن أبي سفيان،الشاب القليل الحنكة والدهاء،وهذا ما كان يسعى إليه عبد الله بن الزبير،حتى يتحرر في حركته ويتخلص من مراقبة

---

[1] إبراهيم بيضون : ملامح التيارات السياسية ص 183 .

[2] محمد جمال الدين سرور:الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية ،ص105.

[3] ابن الأثير: الكامل،127/3،النويري: نهاية الأرب،236/20،ابن كثير: البداية ،149/5.

[4] البلاذري: أنساب الأشراف،335/5.الطبري: تاريخ السل،479/5،ابن الأثير:الكامل،203/3، النويري: نهاية الأرب،20 /305.،بينما عند ابن كثير(كتب نجدة) أنظر البداية:210/5.

الوليد له[1]،وبالتالي ينشط في كسب الأتباع والمعارضين لبني أمية ، ونشر برنامجه ومبادئ ثورته استعداداً للانتفاض، مستغلا ثورة المدينة وما انجر عنها من نتائج تصب في اتجاهه الثوري. وقد يكون ابن الزبير اختمرت في عقله أفكار الثورة والتحرك ضد السلطة الأموية في مكة والمدينة بعد أن خرج منها الحسين إلى الكوفة وخل له الطريق نحو الزعامة والقيادة،وما يدركه من نفور أهل مكة والمدينة لسلطة يزيد.

عند خروج الحسين من مكة إلى الكوفة،قال له ابن الزبير: « **أني في الطاعة ،غير أني لا أبايع أحداً ،وأنا مستجير لبيت الحرام** »[2]لكن يزيد بن معاوية بعث إليه،رجل في عشرة نفر من حرسه، وأشراف أهل الشام ليتأكد من بيعته، منهم النعمان بن بشير وقال:«**انطلق فانظر ما عنده،فان كان في الطاعة فخذه بالبيعة ،وان أبي فضع في عنقه جامعة وائتني به**»[3]، مقيدا في سلسلة من فضة وذهب[4]، ثم أضاف لهم، «**انطلقوا، فأعيدوه إلى الطاعة والجماعة وأعلموه، أن أحب الأمور إلى ما فيه السلامة**»[5].لكنه رفض،ولما انصرف القوم من عند ابن الزبير جمع إليه وجوه أهل تهامة والحجاز ،ثم دعاهم إلى بيعته،فبايعوا جميعا،وامتنع إلاّ عبد الله بن عباس، ومحمد بن الحنفية [6]،ونتيجة لهذا الإجماع الذي ناله عبد الله بن الزبير ،قام بطرد عمال يزيد من مكة والمدينة،كعلامة لرفضه للبيعة والطاعة والاتجاه نحو العصيان والتمرد على سلطة دمشق، جعل مروان يرتحل من المدينة مع أهله وولده والتحق بالشام،هذا ما دفع بالخليفة يزيد أن يرسل جيشاً لقتال ابن الزبير.

و لم يكتف الخليفة يزيد في تشديده على ابن الزبير وأهل المدينة،بل خاطبهم وألزمهم الاستكانة والاستسلام للسلطة الأموية،تجنباً لسفك الدماء،وهدد هم وأنذر هم،قائلاً :«**لأطأنكم وطأة أقل بها عددكم، وأترككم بها أحاديث تنسخ منها أخباركم كأخبار عادٍ وثمود**»[7].

ثم أتيحت الفرصة لابن الزبير، حينما خرج الحسين بن عليّ ملبيا دعوة أهل الكوفة للثورة على خلافة يزيد بن معاوية.ويرى كثير من المؤرخين أن ابن الزبير شجع الحسين على الخروج إلى العراق ليخلو الجو له في بلاد الحجاز، وقال له « **لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلت بها**»[8] .ولكننا نرى انه

---

(1) ابن الأثير:الكامل،3/203.

(2) الدينوري:لأخبار الطوال،ص241.

(3) المصدر نفسه

(4) الأصفهاني:حلية الأولياء،1/331،ابن كثير :البداية ،5/336و342،الذهبي: سير ،3/373.

(5)الدينوري:لأخبار الطوال،ص241

(6) المصدر نفسه:ص242-243.

(7) محمد ماهر حمادة :الوثائق السياسية،ص43.

(8) الطبري:تاريخ الرسل،5/383، النويري:نهاية الأرب،20/254، ابن كثير:البداية ،5/161.

وان كان خروج الحسين يحقق مصالح ابن الزبير ،إلاّ أن نصيحة ابن الزبير لم يكن لها اثر في عزم الحسين على الرحيل إلى العراق،فقد كانت مقومات ثورة الحسين قد تكاملت ،وتلاحقت رسائل أهالي الكوفة عليه.ثم كانت فاجعة كربلاء ومصرع الحسين رضي الله عنه،فخلا الجو لابن الزبير وأعلن الثورة على الدولة الأموية، وتوفرت للثورة كثير من مقومات النجاح.

**ب- انتهاك حرمة المدينة**

ومن الأسباب التي دفعت ابن الزبير إلى إعلان الثورة على السلطة الأموية استباحة المدينة وانتهاك حرمتها بأمر من يزيد ،قائلاً لقائد الجيش:«**فإذا وردت المدينة فادع الناس ثلاثاً، فإن أجابوك وإلاّ فقاتلهم، فإن ظهرت عليهم فأبحها ثلاثاً، فما كان بها من مال أورثة أو سلاح أو طعام فهو للجند، فإذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس**»[1]،وقتل يوم وقعة الحرة سبعمائة رجل من حفظة القرآن[2]، واشتد بغض الناس ليزيد بعد عمله هذا، وقتله الحسين بن عليّ [3] مما أجج المعارضة على الأمويين، وإجماعها على مبايعة ابن الزبير والانتقام من الخليفة يزيد بإشعال نار الثورة ضده في الحجاز، ثم الأقاليم الشرقية للخلافة.

إضافة إلى الحصار الذي فُرض على سكان المدينة طيلة أيام ثورة المدينة، مما أثر على انحطاط مكانة الحجاز الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية بسبب انفراد الشام بالخيرات ، وقد صعب على أهل الحجاز زوال النعم عنهم.

**ج- شغور منصب الخلافة**

والسبب الأساسي الذي دفع ابن الزبير إلى التطلع أكثر للخلافة، والتمسك بخيطها ، والعمل لأجلها ، هو وفاة يزيد وتولي ابنه معاوية الثاني ،الضعيف الشخصية،الرافض لتولي أمر الخليفة فخاطب الناس قائلاً:« **أيها الناس ،إن يكن هذا الأمر خيراً فقد أستكثر منه آل أبي سفيان، إنْ يكن شراً فما أولاهم بتركهِ ،والله ما أحب أن أذهب إلى الآخرة، وأدع لهم الدنيا،ألا فليُصلِّ بكم حسان بن مالك،وتشاوروا في أمركم**»[4]، وهناك من نصحه أن يختار للأمة من يتولى أمرهم قائلا له: «**لو عهدت إلى رجل عهداً،واستخلفت خليفة !فقال: والله ما نفعتني حياً، فأتقلّدها مَيتاً، وإن كان خيراً فقد**

---

(1) البلاذري: أنساب الأشراف،5/340-341.

(2) أنظر خليفة بن خياط: تاريخه،ص240-250، الذهبي: سير،3/325وتاريخ:5/30،ابن كثير :البداية ، 5/215.

(3) الذهبي: سير،3/324، 325،374،ابن حزم:جوامع السيرة،358،357.

(4) البلاذري: أنساب الأشراف،5/381.

**استكثر منه آل أبي سفيان،لا تذهب بنو أمية بحلاوتها، وأتقلد مرارتها، والله لا يسألني الله عن ذلك أبدا»**[1].هذه المواقف فيها ما يدل على أن معاوية الثاني تخلّى عن الخلافة لأنه كان يعتقد أنه تولاها بغير حق وأن غيره من أتقياء المسلمين وصلحائهم وأشدّائهم أفضل منه فهم أجدر بها وأقدر عليها،لذلك لم يقبل أن يتقدم على من هو أفضل منه، وترك الأمر شورى، وأمر الناس أن يختاروا لأنفسهم ويخرجوه منها [2]، ورحب الناس بذلك، خاصة ابن الزبير،الذي وجد الأمر مهيأ له لاستلام منصب الخلافة ، واسترجاع مقرها إلى الحجاز،لكن بنو أمية تحيروا من أمرهم وقالوا ننظر في ذلك ،خشية أن تزول الخلافة منهم.

وأصبح الوضع بعد موت معاوية بن يزيد متأججا أكثر.وبدأت ملامح خروج الخلافة من بني أمية ومن الشام تلوح في الأفق ،وخاصة أن البيت الأموي لم يحسم بعد موقفه في أمر من يخلف المسلمين، وبدأت الأنظار تتوجه إلى الحجاز لمبايعة عبد الله بن الزبير الذي بدأ الإجماع عليه،خاصة وأن أهل المدينة ومكة بايعوه،وكذلك أشراف العراق وفيها أيضا ما يؤكد أن معاوية بن يزيد ألغى نظام ولاية العهد الذي اخترعه جده،وأبطل العمل به،ليمنع آل أبي سفيان من توارث الخلافة،ويجعل الأمر شورى بين المسلمين[3].

إن تفويض معاوية بن يزيد الناس انتخاب إمامهم بأنفسهم،وفق ما كان معمول به في عهد الخلفاء الراشدين ،شجع و حفز ابن الزبير على الطموح لذلك، ومن هنا فان معاوية بن يزيد خلق مشكلة للأسرة الحاكمة ،بترك منصب الخلافة شاغرا دون أن يعين له شخص من بني أمية ،مما فتح باب التطاحن السياسي من جديد على منصب الخلافة،حتى داخل البيت الأموي،ومن جهة ثانية توجيه أنظار المسلمين وخاصة المعارضة إلى التطلع لاختيار من ينوبها في خلافة المسلمين ،وخاصة وأن البيت الأموي منقسم على نفسه والبعض من أعيانه فكر في مبايعة عبد الله بن الزبير مثل مروان بن الحكم لولا تدخل ابن زياد لإنقاذ الموقف بترشيحه شيخ الأمويين مروان بن الحكم، وقد أثار هذا الشغور شهية ابن الزبير للانتفاض على الأمويين تطلعا للحكم [4]،مما أدى إلى اضطراب أمر الخلافة وأوشك مُلك بني أمية على الانهيار و لم يُذعن المسلمون للسفيانيين ،و لم يستنكروا لهم عن استبدادهم انتصاراً

---

(1) ابن سعد: الطبقات،39/5،ابن عساكر: تاريخ دمشق،260/57،و302/59.

(2) ابن قتيبة :الإمامة والسياسة: 10/2،حسين عطوان : الأمويون والخلافة، ص97.

(3) حسين عطوان الأمويون والخلافة ،ص 97.

(4) أنظرتاريخ اليعقوبي:2/ 254 ،المسعودي:مروج ، 82/3. ابن الأثير:الكامل ، 3 / 226. ،ابن كثير:البداية ،5/ 233 .

للمفاهيم لا القبلية، وبالتالي اندحاراً للمبادئ الإسلامية،ولأن المسلمين يبتغون تولية من هو الأكفأ من أبناء الأمة، لكنهم مختلفون فيمن يتقلدها منهم[1].

وتسارع أشراف بنو أمية فيما بينهم لحسم الموقف قبل اشتداده وتأزمه، خشية من ضياع منصب الخلافة، وخروجه إلى غيرهم، واقترحوا لذلك مروان بن الحكم الذي أجمع حوله بنو أمية تجنبا للصراع داخل الأسرة وتصدياً للمعارضين المناوئين لسلطة بني أمية خاصة من الشيعة وعبد الله بن الزبير[2].

### د- الثورة على السياسة المتشددة والعصبية القبلية

وإذا كان الفرع السفياني على رأسهم معاوية الأول ،قد وُجهت له الانتقادات الكثيرة على أساس أنه انتزع السلطة من أهلها الشرعيين والحققين وثبتها في نسله رغم وجود من هو أفضل من يزيد المنتقد في شخصيته،فإن الفرع المرواني هو الأخر تشدد في تطبيق برنامجه السياسي وخاصة ضد المعارضة السياسية، خاصة الشيعة منها،حيث اعتمد عبد الملك بن مروان بعد توليه الخلافة في سياسته على الإنذار والتحذير والتخويف والتهديد ولا يصفح عن خصومه إلاّ قليلاً ولما استقر الوضع له وأمَّن السلطة من الاضطرابات ،تغافل عن الناس ،وصبر على تشهيرهم سيرته ،لكن إذا تخطوا ذلك ،وسعوا إلى إنتزاع الملك منه حاربهم وبطش بهم[3].

انتهاج خلفاء بني أمية الترهيب والشدة في سياستهم تارة لإخضاع الرعية إلى سلطانهم ونفوذهم، من أجل استكانتهم،والتزامهم بواجب السلطة الأدبي والمادي،والترغيب واللين طورا آخر، حيث كان الخليفة عبد الملك بن مروان يراوح في سياسته بين الترغيب والترهيب في خطبه السياسية لأهل الكوفة ومكة والمدينة إذ كان يوصيهم بالطاعة ويزَينُ لهم منافعها ،و ينهاهم عن المعصية ويبغض إليهم ويْلاتها ، وهددّ من ينصح له أو ينتقده بالموت [4] خاصة وأنه عايش الأزمات الكبرى التي هزت أركان الدولة والأسرة الأموية وكادت أن تقضي عليها، سواء كان ذلك معايشة قريبة أو بعيدة، وأكثر تأثيراً ذلك الصراع الذي حدث داخل البيت الأموي مما جعله يشدد في مواقفه وسياسته وحول ذلك يقول البلاذري[5]:«**لما مات مروان صلّى عليه عبد الملك ودفنه،ثم صعد المنبر فقال :إني والله ما أنا**

---

(1) حسين عطوان : الأمويون والخلافة، ص 100-101.

(2) أنظر البلاذري:أنساب الأشراف ،6/260،259.

(3) حسين عطوان: الأمويون والخلافة ،ص 149،148.

(4) المرجع نفسه:ص120.

(5) أنساب الأشراف :7/206، ابن الأثير:الكامل،3/434،النويري: نهاية الأرب،21/ 137.

**بالخليفة المُصانِع ،ولا الخليفة المستضعف،ولا الخليفة المَطعون عليه، إنكم تأمرونا بتقوى الله وتنسون ذلك من أنفسكم، والله لا يأمرني أحد بعد يومي هذا بتقوى الله عز وجل إلا ضربت عنقه »،** وبذلك كشف عن سياسته المختلفة عما سبقه من الخلفاء، والتي تعتمد العزم، والحزم والشدة وبها حذر الناس من مغبة الاضطراب والعصيان، والفوضى السياسية ، والانتقاد للخليفة، خاصة تلك التي تغذيها المعارضة الحجازية،ولإظهار حقيقة هذا الأمر في التعامل مع المعارضين، قام الخليفة بتوجيه دعوة للناس عامة إلى قصره حتى يتأكدوا مصير المعارضة المحتو م ،وهذا بعد مقتل عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق من قبل عبد الملك ،أذِن للناس إذنا عاماً فدخلوا عليه وجثة عمرو في ناحية البيت، وبعد أخذهم لمجالسهم خاطبهم عبد الملك ،وحذرهم أشد التحذير من المصير المجهول لمن يقف في وجه سلطانه [1]وخشية من شدته وانتقامه،خرج القوم من عنده بداراً كل واحد منهم يخاف أن تكون السطوة عليه.

إضافة إلى اعتماد العصبية القبلية في الحكم والعودة به إلى فتر العصر الجاهلي وسيادة قريش في الأمر والنهي ،هذا ما دفع بعناصر القبائل الأخرى بالثورة على قريش من أجل مشاركتها في السلطة وصنع القرار حتى لا يكون ذلك حكرا على بني أمية فقط، ومنهم ابن الزبير،وسبب ظهور العصبية هو التنافس علي النفوذ والسلطان، بين عرب الشمال وعرب الجنوب أو بين قيس ويمن ،مع العلم أن المجموعات الداخلة تحت كل جهة لم تكن كلها تنتمي إلي الشمال أو الجنوب.و ظهر هذا النزاع بشكل علني بعد معركة مرج راهط ،فكان الضحاك بن قيس الفهري زعيم قيس ينظر جنوبا إلي ابن الزبير ويؤيده ،في حين أن اليمانية ،ولا سيما كلب وعلي رأسها حسان بن بحدل [2] كان يؤيد أصهاره الأمويين، وقد تركت هذه الأحداث والخلافات أحقادا وثارات زادت الطين بلة وقوت المنافسة على الخلافة وبروز المعارضة الزبيرية، وتشكل برنامجها النظري المعادي لبني أمية.

وبذلك فإن سياسة الاغتصاب للسلطة، وتحويل عاصمة الدولة الإسلامية من الحجاز إلى دمشق،وانتهاج أسلوب التوريث للخلافة، وإرغام الناس على البيعة، والخضوع والاستكانة مع الشدة التي كرسها خلفاء بنو أمية وولاتهم وعمالهم في الأقاليم ضد رعيتهم، من أجل بناء دولتهم وتثبيت سلطانهم ،وتأمين تدفق الأموال كانت وراء نمو المعارضة في الحجاز ونضجها السياسي الثوري للتصدي لمنهج تسيير ولاة الأقاليم ،خاصة المتشددين منهم مثل الحجاج ،مما أجج العمل الثوري ضدّ خلفاء بنو أمية وعمالهم.

---

[1] أنظر صبح الأعشى:218/1.

[2] أنظرعبد العزيز الدوري: مقدمة في تاريخ صدر الإسلامية،ص72.

## 2- برنامج ثورة ابن الزبير

رغم أن عبد الله بن الزبير لم يفصح عن مكونات برنامجه بصورة صريحة ومؤكدة، إلاّ أننا نستخلص ذلك من مواقفه السياسية ضد خلفاء بني أمية، وأثناء محاوراته مع معاوية وبعض العمال، والبعض نستنتجه من خطبه ومراسلاته لولاته على المناطق، وهذه المطالب الرئيسية لبرنامجه.

### أ- الدعوة إلى الخلافة والقيام بأركانها

تطلع ابن الزبير للخلافة مبكرا،حيث ورد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه، أنه قال: «**اجتمع في الحجر مصعب وعروة وعبد الله بن الزبير،وعبد الله بن عمر،فقالوا:تمنوا.فقال عبد الله بن الزبير: أما أنا فأتمنى الخلافة**»[1]،ورغبة ابن الزبير في الإمارة،سببها كراهية التسلط الأموي وعنجهيتهم، وتبجحهم ، وفي ذلك يروي البلاذري [2]« **تنازع عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم فمال معاوية مع مروان، فقال ابن الزبير: يا معاوية إن لنا حقاً وحرمة وطاعة، ما أطعت الله نطعك، إنا يا معاوية لا ندع مروان يركبنا في جماهير قريش بِمَشاقِصِه،ويضرب صفاقهم بمعاوله، لولا مكانك كان أخف على رقابنا من فراشة، وأذل في أنفسنا من خَشاشة، ولئن ملك أعِنَّة خيل تنقاد له ليركبن منك طَبَقاً تخافه**»،لكن معاوية رد على ابن الزبير رداً يضعفه ويقلل من وزنه،ويثبط من مكانة وعزيمة ابن الزبير،قائلاً:«**إن يطلب الأمر فقد يطمع فيه من هو دونه، وإن يتركه يتركه لمن هو فوقه**»[3]،فتأجج موقف ابن الزبير وكشف عن نواياه الثورية الرافضة للسلطة الأموية ، وسياسة المداهنة،والتظاهر بوجهين، وأعلن بصراحة عن محور من محاور برنامجه لمعاوية ومروان بن الحكم الراغب في خلافة معاوية، فقال ابن الزبير:« **إذاً والله يا معاوية نطلق عقال الحرب بكتائب تمور كرجْل الجَراد، لها دَوِيّ كدويّ الريح، تتبع غِطريفاً من قريش لم تكن أمه براعية ثَلّة**»[4]،ولم يكتف ابن الزبير عند هذا الحجاج والرفض لسلطة بني أمية،بل حاول التجسس خفية عن معاوية والإشارة إليه بالقتل أكثر من مرة، وعبر عن ذلك لمعاوية،فرد عليه، لست من قتالي الملوك، إنما يصيد كل طائر قدره[5].

وهكذا نجد أن عبد الله بن الزبير تطلع للخلافة والإمارة ، منذ شبابه،وعمل على منافسة أبناء البيت الأموي حول الخلافة،ولو اقتضى ذلك باستعمال القوة للظفر بها ،بحكم أنه ابن صحابي المبشر

---

(1) الأصفهاني:حلية الأولياء،176/2.

(2) أنساب الأشراف:76/5.

(3) البلاذري:أنساب الأشراف:76/5،ابن كثير: البداية ،336/5.

(4) البلاذري:أنساب الأشراف،76/5.

(5) أنظر المصدر نفسه:،77/5.

بالجنة،خلافا لما بشر به مروان وأمثاله من البيت الأموي، وخاصة أن الأحداث السابقة الذكر عركته وجعلته يزداد في الطموح والشموخ لخلافة المسلمين،مستغلا أخطاء يزيد بن معاوية السياسية، وبعد موته،دعا ابن الزبير إلى نفسه، وبايعه بالخلافة أهل الحرمين ومصر والعراق وما وراءها،وبايع له الضحاك ابن قيس الفهري بالشام كلها إلاّ الأردن ومن بها من بني أمية ومن كان على هواهم،حتى هم مروان أن يرحل إلى ابن الزبير ويبايعه فمنعوه وبايعوا له بالخلافة [1].ونتيجة لهذه البيعة الواسعة عُرف بأ مير المؤمنين[2] ،كدلالة على الدرجة الكبيرة التي أصبح عليها في قلوب المسلمين،واقتناعه بضرورة الإمارة التي كافح وناضل من اجلها منذ عهد معاوية الأول.

**ب- استعادة المكانة السياسية للحجاز**

شعرت قريش أن هذا النظام الجديد الذي كرسه معاوية بقوة الجيش الشامي لا يمكنه أبداً أن يمثل مصالحها تمثيلاً صحيحاً ،لأنه سلب منها دورها الفاعل ،لذا قام هؤلاء القرشيون بمحاولة لاستعادة مكانتهم ، ورشحوا لمبتغاهم عبد الله بن الزبير ، وكان من أهداف ثورتهم فك الحصار الذي فرضه معاوية على مكة ، واستعادة المكانة السياسية التي كانت تتمتع بها منطقة الحجاز في عهد الخلفاء الراشدين[3]، وبعد مقتل الحسين شرع عبد الله بن الزبير،يدعو الناس إلى نفسه بمكة ،وهو يريد أن يعيد الخلافة إلى موطنها الأصلي في الحجاز،ويعيدها إلى سابق عهدها،كما كانت في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما،فبايعه كثير من الناس[4].

ولما حج عمرو بن سعيد بن العاص والي المدينة في تلك السنة والمرجح أنها سنة إحدى وستين ، حج ابن الزبير معه ،فلم يصل بصلاة عمرو ،ولا أفاض بإفاضته [5]،تأكيداً على رفض تبعيته للشام، وأيضاً هذا العمل من ابن الزبير يعني المفارقة الواضحة لسلطة الدولة ،وعدم الاعتراف بها ، وخصوصاً أن إقامة الحج تمثل الدليل الأقوى على شرعية الدولة وقوة سلطانها ، مثله مثل إقامته الجهاد في سبيل الله.

وبعد وفاة معاوية الثاني تحرك سكان الحجاز على جناح السرعة، واتخذوا «موقفاً واضحاً ، وأعلنوا مناصرتهم لعبد الله بن الزبير نكاية في سياسة معاوية التي فتحت أراضيهم للمزيد من الهجرة ،و لم يروا سبباً لدعم أسرته ، يضاف إلى ذلك تطلعهم لعبد الله بن الزبير ليعد إليهم استقلالهم » [6]، وأمام

---

(1) أنظر الطبري:تاريخ الرسل،530/5وما بعدها

(2) ابن عساكر:تاريخ دمشق،209/28.

(3) محمد عبد الحي محمد شعبان : صدر الإسلام والدولة الأموية، ص104

(4) محمد ضياء:النظريات السياسية الإسلامية،ص200،عليّ حسن الخربوطلي: عبد الله بن الزبير،ص5.

(5) البلاذري :أنساب الأشراف، 323/5.

(6) محمد عبد الحي محمد شعبان : صدر الإسلام والدولة الأمويةص104

الوضع الذي أصبحت عليه الخلافة في شرقها،من المبايعة لعبد الله بن الزبير دفع بالمصريين إلى إرسال وفود لمبايعة ابن الزبير والإقرار بخلافته[1].

ونتيجة لذلك كتب ابن الزبير إلى عامله بالمدينة يطلب منه أن يعمل على إخراج بني أمية من المدينة،تنفيذاً لبرنامجه وتجسيداً لسلطانه،فأبعدهم بعيالهم ونسائهم إلى الشام، وقدموا دمشق ،مما أعطى الفرصة لمروان بن الحكم أن يتولى الخلافة،لكن ابن الزبير بهذا العمل حرر الحجاز من سلطة الأمويين ولو لفترة قصيرة، ويعيد لها دورها السياسي الذي فقدته ،طيلة فترة معاوية وابنه يزيد،ووسع من نفوذه خارج مكة والمدينة ليشمل العراق وخراسان ومصر، ليثبت نفوذه وسلطته على الأقاليم الإسلامية.

### ج- رفض بيعة يزيد و ربط ولاية الخلافة بشروطها الأصلية

رفض ابن الزبير البيعة ليزيد، لأنه كان يرى بأنه أفضل من يزيد نسبا ودينا ،حيث خلا بنعمان ابن بشير،ودار حوار بينهما حول أفضلية ابن الزبير عن يزيد بن معاوية، فقال: أنشدك الله، أنا أفضل عندك أم يزيد ؟ فرد عليه بل أنت.ثم قال: فوالدي خير أم والده ؟.. أبوك الزبير، وأمك أسماء ابنة الصديق، وخالتك عائشة أم المؤمنين، وعمتك خديجة بنت خويلد.قال: أتشير علي بمبايعة يزيد؟[2].

وهكذا نجد أن ابن الزبير وفر النسب الشريف كشرط من شروط البيعة وتولي سلطة الأمة السياسية والدينية ،ويلتقي مع برامج ثورات الشيعة في رفض خلافة بني أمية،وهي حسب الزبير غير متوفرة في شخصية يزيد،لذا احتقره واستصغره فرفض بيعته ،وهي الركائز الأساسية في شرعيته للخلافة عن يزيد المطعون في شخصه،حيث يذكر البلاذري،لما قتل عمر بن الزبير،أن عبد الله خطب الناس قائلاً[3]:«**يزيد الخمور، ويزيد الفجور،ويزيد الفهور ويزيد القرود،زيد الكلاب، ويزيد النشوات، ويزيد الفلوات، ثم دعا الناس إلى إظهار خلعه وجهاده**»، وكتب على أهل المدينة يأمرهم خلعه، فاجتمع أهل الحجاز على طاعة ابن الزبير، وأخذ البيعة له على أهل المدينة عبد الله بن مطيع العدوي،حيث قال عبد الله بن الزبير:«**لقد بلغني أنه يصبح سكران ويمسي كذلك**»[4]،وما يثبت أهلية ابن الزبير للخلافة عن خلفاء بني أمية، ما رواه عيسى عن ابن القاسم عن مالك قال:«**ابن الزبير كان أفضل من مروان.وكان أولى بالأمر من مروان ومن ابنه**»[5]، ونتيجة لذلك تعاطف الناس مع ابن

---

(1) ابن ثعري :النجوم الزاهرة ،215/1.

(2) الدينوري:الأخبار الطوال،242.

(3) أنساب الأشراف:337/5، محمد ماهر حمادة:الوثائق السياسة ص188.

(4) البلاذري: أنساب الأشراف،324/5.

(5) الاستيعاب في معرفة الأصحاب:ص402،الصفدي: الوافي بالوفيات،93/17.

الزبير وبايعوه بالخلافة، استحقاقا لشرفه ونسبه ودينه، ومكانته بين أبناء الصحابة، وخاصة المسلمين،إذ يقول البلاذري[1]بعد موت معاوية بن يزيد « **مال أكثر الناس إلى ابن الزبير وقالوا:هو رجل كامل السن،وقد نصر أمير المؤمنين عثمان،وهو ابن حواري رسول الله ﷺ،وأمه بنت أبي بكر بن أبي قحافة،وله فضل في نفسه ليس لغيره** ».هذا ما دفع عامة الناس إل مبايعته بالخلافة سنه أربع وستين، عقب موت يزيد بن معاوية، و لم يتخلف عنه إلا بعض أهل الشام [2]، واجتمع على طاعته أهل الحجاز والعراق واليمن وخراسان [3].

وقد عبر ابن الزبير أكثر من مرة على الرفض الصريح والعلني لبيعة يزيد بن معاوية ،قائلاً:«**يا بن عِضاه**–عبد الله بن عِضاه الأشعري – **والله ما أصبحت أرهب الناس ولا البأس، وإني لعلى بينة من ربي وبصيرة من ديني، فإن أقتل فهو خير لي، وإن مت حتف أنفي فالله يعلم إراديّ وكراهتي لأن يعمل في أرضه بالمعاصي**»[4]،وبذلك عبر ابن الزبير عن كراهيته للحكم الجائر الذي يعمل بالمعاصي.

وخشية من تخلي المسلمين عن مبايعته ، لم يدعو ابن الزبير للخلافة في حياة الخليفة يزيد،لكن لما مات يزيد،دعا ابن الزبير إلى نفسه وبايعوه بالخلافة فأطاعه أهل الحرمين ومصر والعراق وما وراءها، كما مر سابقا.

### د– الدعوة إلى الإصلاح

كان ابن الزبير يخطب فيقول:« **والله لا أريد إلا الإصلاح وإقامة الحق، ولا ألتمس جمع مال ولا ادخاره، وإنما بطني شبر أو أقل، يكفيني ما ملأه** »[5]،فالإصلاح بالنسبة إلى ابن الزبير ، هو العودة بالخلافة إلى شرعيتها الدينية التي ظهرت من أجلها، وعمل الخلفاء الراشدون على تحقيقها ،بالعمل بكتاب الله وسنة رسول الله، وإحقاق الحق لأهله، ومحاربة الظلم والجور، والتعدي على حرمات الله، ونبذ العصبية القبلية،وحماية بيت الحرام.

وكشف مصعب لما ورد البصرة واليا على العراق لأخيه عبد الله بن الزبير عن جوانب من دعوات الإصلاح في خطبته،التي جاءت على النحو التالي :«**بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿طسم ، تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ، نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ، إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي**

---

[1] أنساب الأشراف:382/5،و278/6.

[2] ابن عساكر: تاريخ دمشق:141/28،الصفدي:الوافي بالوفيات،91/17،ابن حجر: الإصابة ،84/6

[3] الاستيعاب في معرفة الأصحاب:ص400، ابن عساكر:تاريخ دمشق،141/28،ابن الفداء:المختصر في أخبار البشر،239/1.

[4] البلاذري: أنساب الأشراف،325/5.

[5] البلاذري: أنساب الأشراف،332/5،محمد ماهر حمادة:الوثائق السياسية ،ص188.

**الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾**. وأشار بيده إلى الشام.﴿ **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾**.وأشار بيده إلى الحجاز ﴿ **وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾**[1].وأشار بيده إلى العراق» [2]. أراد مصعب بن الزبير من وراء ذكره لهذه الآيات المحكمات،أن يشهر ببني أمية ،والشيعة بالعراق لكسب الأنصار،وفي نفس الوقت يبرز محاور الفساد والإصلاح في الأمة الإسلامية ،وأن يشبه لنا في الجزء الأول خلفاء بني أمية مثل فرعون مصر الذي طغى وتجبر وعلا في الأرض، رغم أن الله أظهر الحق من الباطل، والخير من الشر،وهدى الناس ، وبذلك فإن خلفاء بني أمية طغوا وعلوا في الأرض وأفسدوا فيها ، وتجاوزوا كل الحدود والقيم الإنسانية تتطلب الثورة عليهم من أجل الإصلاح ما أفسدوه، وحولوا الناس إلى شيع ونحل وأتباع تتقاسمها الأهواء والمصالح،تستضعفها السلطة الأموية خدمة لإغراضها الدنيوية،لذا كانت الثورة عليهم من أجل تحقيق مصالح المستضعفين من المسلمين في ممارسة حقوقهم السياسية والمشاركة في السلطة ، وهنا يقصد ابن الزبير الحجازيين، الذين لهم حق في وراثة الخلافة، وإبقائها في المدينة، حتى يجنوا ثمارها،وينتفعوا من خيراتها،والعودة بها إلى نظام الشورى الذي آلفه الحجازيين، وطالب بقتال الذين علوا في الأرض وعملوا على إفسادها من شيعة ومن نحى نحوهم وعمل بكلامهم كالمختار الثقفي.

وهكذا نجد ابن الزبير رضي الله عنه يهدف من وراء برنامج معارضته للأمويين أن تعود الأمة الإسلامية إلى حياة الشورى،ويتولاها أفضلها، لأنه يخشى من تحول الخلافة إلى ملك عضوض،مما يؤدي إلى رسوخها في البيت الأموي وضياع حقه في الخلافة، لهذا استعمل السيف لمنع التوريث.

وعلى الرغم من أن حركة ابن الزبير لم تكن سوى مزيج عجيب،من عدد من العناصر يحركها طموح شخصي،وصراع قبلي،التقتا في نفس ابن الزبير،وشخصيته [3]، إلاَّ أنه استطاع أن يجذب إليه غالبية المسلمين ،ويبايعوه على خلافتهم.

---

[1] سورة القصص،آية 1-6.

[2] انظر الجاحظ:البيان ،2/299-300،البلاذري:انساب الاشراف5/279،الطبري:تاريخ الرسل، 6/93، المنتظم: 6/63-64، ابن الأثير:الكامل،3/331.

[3] محمد ماهر حمادة،الوثائق السياسية ،ص18.

## 3-سير تنفيذ البرنامج والثور

أدرك الخليفة الأموي الثاني يزيد بن معاوية خطورة ثورة ابن الزبير،ورأى أن يقف منها موقفا حازما وحاسما،وأراد أن يستميل إليه أهل المدينة حتى لا ينظموا إلى ثوار مكة،فطلب من والي المدينة أن يبعث إليه وفدا من وجوه القوم،وفي دمشق أغدق يزيد الصلات والجوائز على أعضاء الوفد ،ولكنهم خيبوا ظنه بعد عودتهم إلى المدينة،فقد كالوا له السباب والشتائم.وبعث يزيد برسول إليهم يحذرهم وينهاهم،ولكن أهل المدينة أعلنوا خلع طاعة يزيد،وطردوا أبناء البيت الأموي من المدينة[1].مما دفعه أن يبعث جيشا لتأديب أهالي المدينة، وقامت معركة -الحرة- وانتهت بهزيمة أهالي المدينة،وأباح القائد الأموي المدينة لجنده ثلاثة أيام،قتلوا أهلها،وسلبوا أموالهم،وانتهكوا أعراضهم، وقتل ثمانون من صحابة الرسول،وسبعمائة من قريش والأنصار ،وعشرة ألاف من سائر الناس والموالي[2].

ونتيجة لما وقع في الحرة ،قام ابن الزبير بطرد عمال يزيد من مكة والمدينة،كعلامة نحو البدء في تنفيذ برنامجه ورفضا لبيعة يزيد،ولما انتهى إلى يزيد مبايعة أهل الحجاز وتهامة لا بن الزبير سير له جيش على رأسه الحصين بن نمير السكوني،وحُبَيْش بن دُلْجَة القَيْنتي،ورَوْح بن زِنْباع الجُذامي،وولى القيادة عليهم مسلم بن عقبة المري،وجعله أمير الأمراء وشيعهم حتى بلغ ماء،يقال له "وبرة" [3]،وهي اقرب مناطق الشام إلى الحجاز [4]

ثم زحف الجيش الأموي نحو مكة للقضاء على ثورة ابن الزبير،الذي تحصن في الكعبة، وتتابعت النجدات عليه،فجاءه جند أهل المدينة الذين نجوا من قبضة الأمويين،ثم جاءه نجدة بن عامر الحنفي الذي ثار في اليمامة على الحكم الأموي،وقدم الخوارج الأزارقة من العراق على ابن الزبير يريدون مؤازرته [5]، فقبل مساعدتهم رغم مخالفتهم له في مبادئه،كما انضم إليه المختار بن أبي عبيد الثقفي بعد أن وعده الزبير بتحقيق بعض إطماعه.وأخيرا جاءت إلى ابن الزبير نجدة لم يكن يتوقعها، وقد انفرد البلاذري [6] بذكر خبرها،فقد أرسل نجاشي الحبشة بعض الأحباش للدفاع عن الكعبة، ونتيجة لتدفق المساعدات والنجدات

---

(1) الطبري: تاريخ الرسل 5/482،480، ابن عساكر: تاريخ دمشق،11/415-416، ابن الأثير:الكامل 3/211،204، أبو الفدا:المختصر في تاريخ البشر ،1/237.

(2) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، 2/9،8،الطبري:تاريخ الرسل،5/491، المنتظم:6/14، ابن الأثير: الكامل، 3/216

(3) وبرَةُ: من قرى اليمامة(ياقوت الحموي:معجم البلدان، 5/359).

(4) الدينوري:الأخبار الطوال،ص242.

(5) الطبري:تاريخ الرسل،5/497، ابن الأثير: الكامل،3/221،الذهبي: تاريخ،5/33،ابن كثير:البداية ،5/219.

(6) انساب الأشراف:5/362.

على ابن الزبير،استغل ذلك في نشر محاور برنامج لإتباعه والمتعاطفين معه في قتال بني أمية ،مما ساعد على صموده وانتصاره في أول الأمر وامتداد ثورته إلى العراق ومصر وخراسان.

ومن أجل إضعاف ثورة ابن الزبير والتقليل من تأثيرها حاصر القائد الأموي،الحصين بن نمير،ابن الزبير حتى اليوم الرابع من شهر ربيع الأول عام 64هـ/684م حيث توفي الخليفة يزيد بن معاوية، فاتفق الحصين مع ابن الزبير على عقد مؤتمر في الأبطح. وعرض الحصين عليه أن يخرج معهم إلى الشام حيث يبايعون له،فقال:أنت أحق بهذا الأمر، هلم فلنبايعك،ثم اخرج معنا إلى الشام،فإن الجند الذين معي من وجوه الشام وفرسانهم،فوا لله لا يختلف عليك اثنان،وتؤمن الناس وتهدر هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك وبين أهل الحرم . ورفض ابن الزبير دعوة الحصين وقال:أنا لا أهدر الدماء ،والله لا أرضى أن اقتل بكل رجل منهم عشرة منكم[1].

تأهب الحصين بن نمير للعودة إلى الشام ،وندم ابن الزبير على رفضه عرض الحصين،وبعث إليه يعرض عليه أن يبايعوا له في مكة دون الشام ، فاني مؤمنكم وعادل فيكم [2].ورفض الحصين وكتب إلى ابن الزبير:«**أرأيت إن لم تقدم بنفسك، ووجدت هنالك أناساً كثيراً من أهل هذا البيت يطلبونها يجيبهم الناس، فما أنا صانعٌ؟**»[3].

انتقد المؤرخون رفض ابن الزبير عرض القائد الأموي،فقال ابن الأثير [4]:ولو خرج ابن الزبير معهم لم يختلف عليه أهل الشام.كما قال أبو الفدا [5]:ولو سار ابن الزبير إلى الشام أو صانع بني أمية لاستقر الأمر عليه.كما ذكر السيد أمير عليّ[6]: ولو كان قد غادر مكة وسارع إلى الشام لاستطاع أن يقوض دعائم تلك الأسرة ويستخلص الخلافة لنفسه،ويحقق بعض محاور برنامجه ،ولكنه بدلاً من ذلك اكتفى بمكة وحدها فأتاح للأمويين فرصة ليوحدوا كلمتهم ويلموا شملهم.

ولكننا نجد العذر لابن الزبير،فأهل الشام لا يدينون بالولاء لغير الأمويين،وليس لابن الزبير عصبية أو أنصار بالشام.كما أن أهل الحجاز أيدوه حين اتخذ إقليمهم مركزا لدعوته وثورته،وحركة ابن

---

(1) ابن الأثير:الكامل ،3/225-226، النويري:نهاية الأرب، 20/326.

(2) الطبري:تاريخ الرسل،5/502، المنتظم:6/23-24 ابن الأثير:الكامل ،3/226،النويري:نهاية الأرب، 20/.326.

(3) الطبري:تاريخ الرسل،5/502، المنتظم:6/24.

(4) الكامل :3/226.

(5) المختصر في أخبار البشر:1/239.

(6) مختصر تاريخ العرب: ص85.

الزبير قبل كل شيء هي حركة بلاد الحجاز التي أملت أن تعود الحاضرة إليها كما كانت في عهد الرسول والخلفاء الراشدين الثلاثة الأولين.

وحتى يتمكن ابن الزبير من فرض برنامجه على أرض الواقع ، استغل وفاة الخليفة يزيد وما وقع من خلاف داخل البيت الأموي ،فأرسل عماله للمناطق التي بايعته.حيث أقدم المختار بن أبي عبيد الكوفة ، وعبد الله بن يزيد الأنصاري أميراً على الكوفة ،وقدم أيضا إبراهيم بن محمد بن طلحة معه يتولى أمر خراج الكوفة [1]،كان هذا في أول أمره ،وبعد وفاة معاوية الثاني وولى العمال فولى المدينة مصعب بن الزبير بن العوام وبعث الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة إلى البصرة وبعث عبد الله بن مطيع إلى الكوفه، وبعث عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم الفهري على مصر أميرا وبعث واليه إلى اليمن والأخر إلى خراسان فبايع لهم الناس دون تردد،وحتى ينتزع السلطة من الشاميين بعث الضحاك بن قيس الفهري إلى الشام والياً فبايع له عامة أهل الشام واستوسقت له البلاد كلها إلاَّ طائفة من مؤيدي مروان ابن الحكم وأهل بيته[2]،وبعد تعيين أخاه مصعب على العراق وقضائه على المختار، قام ابن الزبير بتثبيت عماله على المناطق سنة 68هـ(687م)،وكان على المدينة جابر ابن الأسود بن عوف الزّهْريّ، وعلى الكوفة والبصرة أخوه مصعب، وعلى قضاء الكوفة عبد الله بن عتبة بن مسعود وعلى البصرة هشامُ بنُ هُبير وعلى خراسان عبد الله بن حازم السُّلَميّ[3].

وقد رسم مصعب بن الزبير إستراتيجية لتنفيذ برنامج الثورة ،بمحاربة الخوارج والمختار وإسناد القيادة للقبائل القوية ، والعمل على عزل النفوذ الأموي في المناطق الشرقية وإقليم خراسان ،استعدادا لتطويقهم سلمياً ،ثم الانقضاء عليهم،وبرز ذلك بعد مقدم مصعب إلى البصرة سنة ثمان وستين واليا على العراقين عن أخيه، وكان المهلب في حرب الازارقة فأستدعاه مصعب من فارس وولاه بلاد الموصل والجزيرة وأرمينية ليكون بينه وبين عبد الملك [4].

وبعد تولي عبد الملك الخلافة( 65هـ/685م)، وتأكد من أن قوة ابن الزبير تكمن فيما يتلقاه من أخيه مصعب بن الزبير واليه بالعراق من دعم معنوي ومادي ،لذا قرر مهاجمة مصعب بالعراق لتأمين ظهره استعدادا لقتال ابن الزبير، ومن اجل التفرغ لذلك قام عبد الملك بإبرام معاهدة مع الجراجمة والبزنطينين سنة 70هـ/689م لمهادنتهم مقابل مال يؤديه لهم كل جمعة [5]،وعمل نفس الشيء مع

---

(1) ابن الأثير: الكامل، 252/3.

(2) ابن عساكر: تاريخ دمشق،209/28،مجدي فتحي السيد:تاريخ الإسلام والمسلمين في العصر الأموي،ص112.

(3) أنظر الطبري: تاريخ الرسل،139/6.

(4) ابن خلدون: العبر،41/3،ابن الأثير: الكامل،342/3.

(5) البلاذري:فتوح البلدان،ص218،ابن عساكر:تاريخ دمشق،145/20،ابن الأثير: الكامل،361/3.

الروم[1]،إضافة إلى القضاء على المعارض الأموي عمرو بن سعيد بن العاص [2]، وتحييد زفر بن الحارث الكلابي بمصالحته[3] ،هذا ما مكن الخليفة من القضاء على مصعب ابن الزبير.

بعد أن تمكن عبد الملك من القضاء على مصعب ، تفرغ لابن الزبير بالحجاز فأرسل الحجاج بن يوسف الثقفي، وبعد وصوله مكة ،راسل عبد الملك يستأذنه في حصار ابن الزبير ودخول الحرم عليه،ويطلب المزيد من الإمداد،فكتب عبد الملك بن مروان إلى طارق بن عمرو مولى عثمان بن عفان الذي كان متواجدا في شمال الحجاز يراقب حركات عمال ابن الزبير،يأمره أن يلحق بمن معه من الجند بالحجاج الثقفي،فقدم طارق المدينة في ذي القعدة سنة 71هـ(690م)[4]، واخرج منها عامل الزبير وولى عليها رجلا من أهل الشام،ثم اتجه في خمسة آلاف من أصحابه إلى مكة حيث التقى بالحجاج ، وجاءت الحجاج حملة بحرية سنة 72هـ(691م) أرسلها عبد العزيز بن مروان من مصر لتصفية الفتنة الزبيرية ، وأميرها مالك بن شراحيل الخولاني في ثلاثة آلاف رجل [5].وبعد وصول جيش الحجاج مكة شرع في حصار ابن الزبير وكان ذلك في أول ذي القعدة سنة 72هـ(691م)،فاستولى على جبل أبي قبيس ونصب عليه المنجنيق بينما اعتصم ابن الزبير وأصحابه في البيت الحرام،و لم يكتف الحجاج بحصار مكة،بل اخذ في ضرب الكعبة بالمنجنيق مما أثار عبد الله بن عمر،فأرسل إليه ينهاه قائلا له: اتق الله وأوقف هذه الحجارة عن الناس،فانك في شهر حرام وبلد حرام، وان المنجنيق قد منع وفود الرحمن عن الطواف،فتوقف الرمي، وعاد الناس من عرفات وطافوا وسعوا وأدوا مناسكهم[6].

وبعد ذلك عاد الحجاج إلى رمي ابن الزبير بالحجارة لإرغامه على الاستسلام بعد أحكام الحصار عليه الذي دام قرابة الستة أشهر،انتهى بمقتل ابن الزبير ونهاية ثورته، في منتصف جمادى الآخرة من سنة 73هـ/692م.

---

(1) الطبري:تاريخ الرسل،150/6،ابن العبري:تاريخ مختصر الدول،ص194، فلهاوزن:تاريخ الدولة العربية ،ص184.

(2) ابن الأثير: الكامل،359/3، فلهاوزن:تاريخ الدولة العربية ،ص184.

(3) ابن الأثير: الكامل،390/3-391.

(4) المصدر نفسه:391،398/3.

(5) الكندي:القضاة والولاة،ص95.

(6) ابن الأثير:الكامل،400/3.

## 4- نتائج الثورة

### أ-النتائج الاجتماعية والاقتصادية

سقوط عدد كبير من القتلى من الجانبين وخاصة من رجال الدين والفقهاء الذين شاركوا في المعركة مع مصعب وابن الزبير،وقد ذكرتها مصادر التاريخ ،حيث أحصى خليفة بن خياط [1] من قتل من وجوه قريش والأنصار وأشرافهم ومن العلماء والفقهاء في وقعة الحرة سنة 63هـ/683م، بينما أستقصى البلاذري [2] أسماء من قتل من الفقهاء ومن غيرهم في حصار ابن الزبير الأول بمكة سنة 64هـ[3] كما استقصى أسماء من قتل منهم مع ابن الزبير في الحصار الثاني بمكة سنة73هـ.

قتل مصعب في معركة مسكن بالعراق سنة 71هـ/690م وقتل معه عدد من الصحابة وآلاف الموالين ويعود سبب خسارته لغدر أهل العراق به ،ومبايعتهم عبد الملك [4]،وبقتل مصعب وخسارة العراق خسر عبد الله بن الزبير ساعده الأيمن وانكشف ظهره للأمويين ونقم على أهل العراق لخيانتهم وغدرهم له ولأخيه ،ولخسارته أيضاً لمصدر وفير الأموال ،كان يستعين به في توطيد حكمه.

تمثيل الحجاج بجثة الصحابي ابن الزبير،فلم يكتفِ بقتله بل قطع رأسه وصلب جثته [5]، ومنع من دفنه،حتى تدخل أخاه عروة الذي أتى إلى عبد الملك مبايعا وطلب إنزال الجثة ، قال عروة : «**ليس الذليل من قتلتموه لكن الذليل من ملكتموه** »[6] إن صلب جثة صحابي والتمثيل بها ورفض تسليمها لأمه أسماء بنت أبي بكر لهو مس بمشاعر المسلمين والصحابة وإساءة للإسلام.

لما قتل ابن الزبير كبَّر أهل الشام فرحا بقتله فقال ابن عمر: «**أنظروا إلى هؤلاء لقد كبر المسلمون فرحا بولادته وهؤلاء يكبرون فرحا بقتله**»[7].

نقص في المؤن وارتفاع في الأسعار،نتيجة للحصار الذي دام ستة أشهر،مما زاد من تضايق الناس في مكة،حتى قلت الأقوات .« **فغلت الأسعار عند ابن الزبير وأصاب الناس مجاعة شديدة حتى ذبح**

---

(1) أنظر تاريخه: ص240-251.

(2) أنظرأنساب الأشراف: 372/4.

(3) المصدر نفسه: 371/5.

(4) أنظر الطبري:تاريخ الرسل،156/6-161،ابن عبد ربه:العقد الفريد،158/5-159، ابن الأثير: الكامل،377/3-381،أبو الفداء:المختصر في تاريخ البشر ،ص243-244.ابن كثير: البداية ،310/5-312.

(5) ابن عساكر:تاريخ دمشق،227/28.

(6) البلاذري: أنساب الأشراف،131/7،ابن الأثير:الكامل،406/3، النويري:نهاية الأرب،86/21.

(7) ابن الأثير: الكامل،405/3،النويري:نهاية الأرب،86/21.

**فرسه وقسم لحمها في أصحابه،وبيعت الدجاجة بعشرة دارهم،والمد الذرة بعشرين درهما»**[1]، فتخلى الكثيرعن عبد الله بن الزبير من بينهم ولداه حمزة وحبيب وانضموا إلى صفوف الحجاج [2]، لبخله الشديد والتقشف المبالغ فيه،فكانت بيوته مملوءة بالتمر والمؤن و لم يوزع على جنده ، فلو كان كريماً ما خسر، وما انتشرت المجاعة وما تخلى عنه جنده .

**ب–النتائج الدينية**

انتهاك حرمة الكعبة برميها بالمنجنيق من طرف حصين بن نمير الكندي السكوني،مما عرضها للاحتراق[3]،وكذلك من قبل الحجاج بن يوسف أثناء حملته على ابن الزبير لكون هذا الأخير ا حتمى بالبيت الحرام داخل مكة ففرض حصاراً على مكة وأهلها [4]،واستغل ابن الزبير احتراق الكعبة للتشنيع بالخليفة يزيد بن معاوية وبالجيش الأموي،رغم أن احتراق الكعبة سببه ابن الزبير بعد إشعال النار بالقرب من الكعبة[5]،فطارت شرارة فالتصقت بأستار الكعبة،فأتت على أستارها وثيابها.

**ج–النتائج السياسية**

نجح عبد الله بن الزبير أن ينتزع السلطة من الأمويين ولو لفترة قصير من الزمن،و في معظم الأقطار الإسلامية،خاصة الحجاز ،فلسطين،العراق، مصر ، وحتى أجزاء كبيرة من الشام وإقليم خراسان [6].

وجعل الدولة الأموية تتضاءل وتنكمش على نفسها فتنحصر في إقليم الأردن،بينما امتد نفوذ ابن الزبير إلى حدود الدولة الإسلامية شرقاً وإلى غربي مصر غرباً،وبالتالي إشغال الخلافة الأموية عن عملية الفتوحات وتوقفها الكلي،كما يذكر ابن خلدون [7]:« **كانت الصوائف تعطلت من الشام منذ وفاة معاوية وحدوث الفتن واشتدت الفتن أيام عبد الملك اجتمعت الروم واستجاشوا على أهل الشام فصالح عبد الملك صاحب قسطنطينية على أن يؤدى إليه كل يوم جمعة ألف دينار خشية منه على المسلمين ونظرًا لهم** ».

---

(1) ابن الأثير:الكامل، 401/3.

(2) ابن عساكر:تاريخ دمشق،226/28.

(3) الطبري: تاريخ الرسل،498/5، ابن عساكر:تاريخ دمشق،385/14، ابن الجوزي: تهذيب التهذيب،447/1،ابن الأثير: أسد الغابة،244/3، المزي: تهذيب الكمال،548/6، الزركلي: الأعلام،262/2.

(4) الذهبي: سير،343/4.

(5) البلاذري:أنساب الأشراف،369/5،ابن الأثير:الكامل،222/3.

(6) أنظر الطبري: تاريخ الرسل،531/5،530، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ،ص400،ابن عساكر: تاريخ دمشق، 141/28، أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر،239/1.

(7) العبر:88/3-89.

اتخذ ابن الزبير من مكة حاضرة لخلافته، واتخذ من الكعبة مركزاً يحكم منه الدولة العربية الإسلامية ،وسمّى نفسه«العائذ بالبيت»، فعادت الخلافة بصورة شكلية إلى الحجاز بعد أن نقلها عليّ بن أبي طالب إلى الكوفة بالعراق ثم نقلها معاوية بن أبي سفيان إلى دمشق بالشام. وأصبح ابن الزبير عدو الدولة الأموية اللدود منذ عهد مؤسسها معاوية إلى عهد الخليفة الأموي الخامس عبد الملك بن مروان، الذي نجح بعد جهود كثيرة مضنية في القضاء على هذه الثورة.

تأثير ولاية الحجاز على المواقف السياسية لبعض الخلفاء المتشددين،بعزل ولاتهم أو استبدالهم، فهذا عبد الملك يستبعد الحجاج عن ولاية الحجاز وهو أخلص ولاة بني أمية ، وأقدرهم وأقربهم إلى الخليفة عبد الملك ، وابنه الوليد من بعده ، بطلب من أهلها، بعد أن تعرض لهم بالإساءة خاصة أبناء آل البيت محمد بن الحنفية وابن عباس، وقد حذره عبد الملك من ذلك بعد تعيينه عليها واليا، لكن بمقتل ابن الزبير استتب الحكم لبني أمية في الحجاز، فبايع أهلها لعبد الملك بن مروان، وأستقر الأمر للحجاج فسار إلى المدينة، وأساء إلى أهلها واستخف بهم بعد أن اتهمهم بقتل أمير المؤمنين عثمان، وختم على أيدي جماعة من الصحابة بالرصاص استخفافاً بهم كما يفعل بأهل الذمة[1]،هذا ما دفع إبراهيم بن محمد بن طلحة أن يقدم شكوى إلى عبد الملك ضد الحجاج جاء فيها:«**يا أمير المؤمنين، لقد عمدت إلى الحجاج في تغطرسه، وتعجرفه، وبعده من الحق، وقربه من الباطل، فوليته الحرمين، وهما ما هما، وبهما ما بهما من المهاجرين والأنصار، والموالي الأخيار، يطؤهم بطغام أهل الشام ... ويسومهم الخسف، ويحكم فيهم بغير السنة، بعد الذي كان من سفك دمائهم، وما انتهك من حرمهم**»[2]، فاستجاب عبد الملك لطلبه وقال له:« **قد عزلته عن الحرمين لِمَا كَرِهْتَ من ولايته عليهما...**»[3]، وبذلك كشفت ثورة الحجاز عن أخطاء الحجاج السياسية والإدارية، دفعت الخليفة عبد الملك أن يعزل الحجاج عن هذه الولاية ،بعد أن اشتكى أهالي المنطقة من قسوة تصرفه ومعاملته لهم.

تمكن مصعب بن الزبير من القضاء على ثورة الشيعة التي تزعمها المختار[4]،ففسح المجال لسيطرته الكاملة على إقليم العراق ،وتطويق السلطة الأموية وعزلها في الشام،وفي نفس الوقت تقديم خدمة جليلة للسلطة الأموية،والتقليل من متاعبها في مقارعة المختار،وفسح المجال للخليفة عبد الملك وعامله الحجاج للقضاء على هذا الخطر المداهم لهم ثم ابن الزبير.

---

(1) ابن الأثير:الكامل،3/406-407.

(2) ابن عبد ربه: العقد الفريد،1/328.

(3) المصدر نفسه:1/117.

(4) الدينوري: الأخبار الطوال،ص281، الطبري:تاريخ الرسل،6/108،الذهبي: سير،4/123.

لقد فشلت حركة ابن الزبير عن تحقيق برنامجها المرسوم بسبب عدم أهليته للخلافة والسلطة، حسب البلاذري[1] أنه كان« **شخصاً طامحاً للخلافة ولكن لم يكن أهلها وليس عنده استعداد لها، فقد كان بخيلاً كل البخل والعرب لا تدين لبخيل، كان يعطي الناس في ء الله وكأنه يقسم ميراثه من أبيه الزبير**»،و لم يكن داهية و لم يكن ذا نظرة في العواقب ويمثل هذه الناحية أعظم تمثيل حواره مع الحصين بن نمير السابق الذكر.

لقد ارتكب يزيد خطأً فادحا عندما اقسم أن يأتيه ابن الزبير إلي دمشق في جامعة[2]،رغم أن ابنه معاوية نهاه عن ذلك، بالتكفير عن يمينه[3]،إذ كيف يعقل من صحابي جليل تجاوز الستين من عمره ،أن يرضخ لطلب يزيد بن معاوية ،هذا ما دفع ابن الزبير أن يظهر يزيد أمام أهل الحجاز،بأنه شخص متسلط ليس أهلا لولاية المسلمين.

ومن الأخطاء التي وقع فيها يزيد بن معاوية ،وعمرو بن سعيد بن العاص والي المدينة، واستطاع ابن الزبير أن يوظفها لصالحه غزو مكة بجيش،فمكة لها حرمتها وخصوصيتها في الجاهلية ، ثم جاء الإسلام فزادها مكانة وقداسة على مكانتها تلك التي كانت في الجاهلية.وكان مروان بن الحكم،وهو الأمير المحنك والسياسي الداهية،قد حذر عمرو بن سعيد من غزو البيت وقال له :« **لا تغزو مكة،واتق الله،ولا تحل حرمة البيت، وخلوا ابن الزبير فقد كبر،هذا له بضع وستون سنة،وهو رجل لجوج،والله لئن لم تقتلوه ليموتن،فقال له عمرو:والله لنقاتلنه،ولنغزونه في جوف الكعبة على رغم انف من رغم، فقال مروان:والله أن ذلك يسوؤني** »[4]، وهذا الموقف من عمرو بن سعيد هو الذي دفع المسلون بمختلف اتجاهاتهم وانتمائهم للدفاع عن مكة،و حتى الذي لايستطيع أن يدافع عن مكة فسوف يكون متعاطفا مع ابن الزبير بصفته يدافع عن بيت الله .وتذكر رواية الواقدي: أن الناس قد تجمعوا على ابن الزبير من نواحي الطائف يعاونونه ويدافعون عن الحرم [5].فهذه القضايا المعنوية والحسية كان لها الأثر البالغ في تعاظم مكانة ابن الزبير لدى أهل الحجاز ،الأمر الذي جعله يحقق نصرا ساحقا وسهلا علي جيش عمرو بن الزبير،إضافة إلى الخطأ الذي وقع فيه عمرو بن سعيد، هو استهانته بقوة ابن الزبير،وعدم اخذ التدابير اللازمة لمواجهته.

---

(1) أنساب الأشراف:350/6.

(2) الدينوري: الأخبار الطوال،ص231الذهبي: سير،372/3.

(3) ابن عساكر:تاريخ دمشق،207/28.

(4) الطبري:تاريخ الرسل،344/5، المنتظم:324/5،ابن الأثير: الكامل،131/3،ابن خلدون:العبر،26/3.

(5) البلاذري:انساب الاشراف330/5.

تقلصت هيبة الدولة من جراء هذه الأحداث إلي الحد الذي جعل الوليد بن عتبة يفيض من عرفات ومعه عامة الناس،وابن الزبير واقف وأصحابه ،ونجدة واقف وأصحابه،ثم يفيض ابن الزبير بأصحابه ونجدة بأصحابه ،لا يفيض احد منهم بإفاضة صاحبه [1].مما شوش على الحجاج وشككوا في مصداقية سلطة الدولة لدى العامة والخاصة.

وما نخلص إليه أن التمسك بنصوص الكتاب والسنة ولزوم الجماعة،هي أولى من الذي أقدم عليه ابن الزبير،وأهل الحرة،فكم من دم أريق،وامرأة ترملت،وطفل تيتم،ومال نُهب وأضيع،وغير ذلك من المفاسد الكبيرة التي ربما لا يحصيها قلم،ولا يسعها كتاب،وكان الأولى من كل ذلك أن توجه هذه الجهود الهائلة إلى قتال أعداء الله،والى مواصلة الفتوحات لنشر كتاب الله وسنة نبيه.

[1] الطبري: تاريخ الرسل،479/5،ابن الأثير:الكامل،203/3،النويري: نهاية الأرب،325/20.

## ثانيا: ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي وبرنامجها

### 81 - 85هـ/700- 704م

كان سكان العراق عامة والقراء والفقهاء خاصة ناقمين على سياسة بني أمية، فوجدوا الفرصة في الانضمام إلى حركة ابن الأشعث للإطاحة بالحجاج ومن ورائه عبد الملك والحكم الأموي مرة واحدة [1]،وقامت هذه الثورة في الأقاليم الشرقية من الدولة الأموية سنة 81هـ/700م، تزعمها قائد عربي،هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي،الذي سمى نفسه ناصر المؤمنين وقال أنه القحطاني الذي ينتظره اليمانية [2]،وابن الأشعث أحد رجالات العرب،يرجع نسبه إلى ملوك كنده،وهو أمير من القادة الشجعان الدهاة [3]، ويشعر دائماً أن دم المجد القديم يجري في عروقه، وكان رجلاً معجباً، ذا نخوة وأبهة، ولذا كان على جانب كبير من الطموح ، فكان يقول : ما رأيت أميراً فوقي إلاّ ظننت أني أحق بإمارته منه [4]. وكانت قبيلة كندة في صدر الإسلام تعارض الأمويين ،وكان جد عبد الرحمان بن الأشعث من كبار أصحاب عليّ بن أبي طالب[5]،الذي لعب دوراً مريباً في صفه.

وثار عبد الرحمن في وجه الاستبداد والقبضة الحديدة لخلفاء بني أمية وولاتهم وضد سياسة العصبية القبلية،تلك السياسة التي حمل لواءها والي أموي،اشتهر بالبطش والقسوة والاستبداد،ألا وهو الحجاج بن يوسف الثقفي.الذي كان في يد الأمويين سلاحا ذا حدين،رغم أنه نجح في توطيد أركان الدولة، وإرهاب أعدائها ورعاياها على السواء، وأقر الأمن إلى حين، ولكن سياسة الشدة والعنف أتت بنتائج عكسية،لأنه زرع البغضاء وبث الحقد والكراهية في نفوس الناس،على اختلاف أجناسهم ومذاهبهم السياسية.

### 1-أسباب الثورة

**أ- الثورة على ظلم الحجاج** : اشتهر الحجاج بالقسوة والإرهاب والميل إلى سفك الدماء، وقد أوصاه عبد الملك بالتشدد مع أهل العراق، فقال له: سر إلى العراقيين وأحتل لقتلهم فإنه قد بلغني عنهم

---

(1) محمد ماهر حمادة: الوثائق السياسية ، ص29

(2) المسعودي: التنبيه والإشراف،ص314.

(3) الزركلي: الأعلام،323/3.

(4) أنظر البلاذري: أنساب الأشراف،309/7.

(5) ابن خلكان: وفيات الأعيان،311/4،الزركلي: الأعلام،332/1.

ما أكره [1].وكان عبد الملك يعرف عن الكوفة أنها مركز الموالي فخصها بتوصية الحجاج بالتشديد على أهلها،فقال:«**فإذا قدمت الكوفة فطأها وطأة يتضاءل منها أهل البصرة** »[2].لأن منطقة الكوفة عرفت العديد من الثورات ضد السلطة الأموية ،لذا أكد على التشدد في معاملة سكانها حتى يستكينوا له ولخلافته،ولم تسلم البصرة هي الأخرى من قسوة الحجاج فتوجه إلى مسجدها في يومه الأول في ألفي جندي من أهل الشام، فانقضوا على أهل البصرة،وقتلوا عدداً كبيراً من أهلها انتقاماً من مشاركتهم في قتل عثمان وعدم خروجهم مع المهلب [3].وقد يكون هذا الأسلوب المتشدد الذي اقترحه الخليفة عبد الملك لسكان هذا الإقليم،لكون أهل العراق يختلفون عن أهل الحجاز، الذين يقولون كثيرا ولكنهم لا يفعلون شيئا[4] ،بينما أهل العراق أكثر تمرداً وعصياناً ورفضاً للنظام الأموي،ومن ذلك فإن العراق يحتاج إلى سياسة حازمة رادعة،تتلون مع مواقفهم من النظام [5]،هذا ما جعل الحجاج يغير من سياسته كلما دفعته الضرورة لذلك،من أجل الحفاظ على مستقبل ولايته واستمرار تبعيتها للأمويين بمجانبته للحكم اللاّمركزية للإقليم، وهو أن يتولى جند العراق الدفاع عنه بأنفسهم،فلما استعان الحجاج بجند الشام في توطيد سلطان الأمويين ومشاركته لفيئهم نقموا على هذه السياسة وازدادوا كرهاً له وبغضاً،رغم أن الحجاج حاول نهج سياسة زياد بن أبيه في العراق.

وأدرك الخليفة عبد الملك انه لم يستطع أن يخلق زيادا آخرا،فقال لعبّاد ابن زياد:« **أين كانت سيرةُ زياد من سيرة الحجاج؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنّ زياداً قَدِم العراقَ وهي جَمْرة تشتعل، فسَلَّ أحقادَهم، وداوَى أدواءهم، وضَبط أهلَ العراق بأهل العراق**[6]. **وقَدمها الحجاجُ فكسر الخراج، وأفسد قلوبَ الناس، ولم يَضْبطهم بأهل الشام فضلاً عن أهل العراق، ولو رام منهم ما رامَه زياد لم يَفْجأك إلاَّ على قَعود يُوجف به**»[7]، وبذلك كان الحجاج يمثل الصورة المجسمة للقسوة، رغم أنه كان قد حفظ بشجاعة وعزم الحكم الأموي للعراق وأخمد ثورة العناصر المشاغبة ، وضبط أمن الدولة في

---

(1) ابن قتيبة:الإمامة والسياسة ،25/2.

(2) تاريخ اليعقوبي : 273/2.

(3) أنظر ابن قتيبة:الإمامة والسياسة،26/2 والطبري:تاريخ الرسل،202/6-209.

(4) تاريخ اليعقوبي :326/2.

(5) عبد الواحد ذنون طه:العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ،ص73.

(6) تم ذلك بفضل حسن اختيار ولاة الأقاليم وتجنب العصبية، والعدل في التعامل مع ولاته،حيث« بَعث زيادٌ إلى رجال من بني تَميم ورجال من بني بَكْر، وقال: دُلّوني على صُلَحاء كل ناحية ومن يُطاع فيها. فدلوه، فضمّنهم الطريق وحَدّ لكُل رجل منهم حَدا. فكان يقول: لو ضاع حَبل بيني وبين خُراسان عرفتُ من أخذ به وكان زياد يقول: من سَقَى صبياً خمراً حددناه، ومن نَقب بيتاً نَقبناً عن قلبه، ومن نَبش قبراً دفّناه حيّاً.(أنظر ابن عبد ربه:العقد الفريد،270/5).

(7) ابن عبد ربه:العقد الفريد،270/5-271.

الإقليم،لكن لا نجد له عذراً في سفك الدماء،وفي هذه القسوة الوحشية المتناهية.وقد يكون الخليفة عبد الملك هو الذي شجعه على القيام بذلك،انطلاقا مما ذكرنا سابقا، وما أورده ابن كثير [1] في بعض وصية عبد الملك لابنه الوليد قائلاً:« **وانظر الحجاج بن يوسف فأكرمه، فإنه هو الذي مهد لكم البلاد،وقهر الأعداء، وأخلص لكم الملك، وشتت الخوارج** ». فعلاً لقد تمكن الحجاج من قهر المعارضة ومزقها شرَّ ممزق ، وأضعف سطوتها ،وأستتب أمن الدولة وهيبتها ،لكنه أسرف في القتل لأدنى شبهة ، ونتيجة لهذه القسوة في المعاملة دفع بالكثير من القراء والفقهاء والعباد إلى المشاركة في ثورة ابن الأشعث كمخرج من التسلط والجور والظلم ،ويعلق فلهاوزن [2]على اشتراك القراء في الثورة، فيقول: وكان اشد الناس حماسا وصوتا في الاشتراك في الثورة هم القراء،وكانوا في كل مناسبة كهذه يظهرون في المقدمة باليد واللسان، لطرح نير أهل الشام عن كاهل أهل العراق ،وقد ذكر خليفة بن خياط [3]القراء الذين خرجوا مع ابن الأشعث، وحضروا القتال،كانوا خمسمائة.ونتيجة لذلك عرفت هذه الثورة ،بثورة القراء والفقهاء ،لأن معظم قادتها من القراء، وكان لهم لواء خاص بهم، من بينهم سعيد بن جبير المسؤول المالي في جيش عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث[4]، والحسن البصري وغيرهما.

### ب – الثورة على المساوئ الاقتصادية

ساءت الأحوال الاقتصادية في العراق في عصر الحجاج الثقفي لأن سياسته المالية أغضبت الموالي وأهالي العراق ،فقد كان أول من خالف القواعد الخاصة بالخراج والجزية [5] بالنسبة لمن دخلوا حديثاً في الإسلام من غير العرب ، ذلك أن أهل البلاد الأصليين كانوا يقيمون بالقرى للزرع والحرث، فمن اعتنق منهم الإسلام رفعت الجزية عنه[6]، وكان بعد إسلامه يهجر القرية التي كان يعمل بها كزارع ويهرع إلى المدن ليلتحق بالجيش الإسلامي ،ويكتب في سجل العطاء، وبديهي أن هذه الفرصة، التي كانت تُترك لو رحل أصحابها عنها بعد إسلامهم ، تصبح خاضعة للظروف، فقد يستأجرها الغير، وقد تُترك من غير زراعة ، وإذا استأجرها الغير ، ففي الغالب ما يكون الإيجار الجديد أقل من القديم ، فينتج من ذلك قلة

---

[1] البداية : 5/ 410.

[2] الدولة العربية: ص240.

[3] أنظر تاريخه:ص286-287 ،الذهبي: تاريخ ،6/15-16.

[4] أنظرالطبري: تاريخ الرسل،6/368 وما بعدها.

[5] الخراج يعني ضريبة الأرض،والجزية كانت تعني ضريبة الرأس،وهذا المعنى كان موجودا في عهود الإسلام الأولى، كما كان أيضا في العهود المتأخرة ورغم ورود كل من لفظتي الجزية والخراج الواحدة مكان الأخرى عند علما المسلمين، لكن بحوث العلماء وألفقها وأرائهم تميز بين ذلك،فالجزية ما وضع على رؤوس أهل الذمة من ضرائب معينة يدفعونها سنويا إلى بيت المال،أما الخراج هو ما كان يؤخذ من ضرائب على الأرض بنسب تختلف باختلاف نوع المزروعات(ذنون طه : العراقي في عهد الحجاج: ص 200-202).

[6] محمد إبراهيم الفيومي:الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي،ص208.

إيرادات هذه الأقاليم نتيجة اعتناق أهلها الإسلام.وحول ذلك يقول النويري [1]:«**أن عمال الحجاج كتبوا إليه إن الخراج قد انكسر،وإن أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار**»،ولتدارك ذلك النقص، فرض الحجاج الجزية على المسلمين الجدد وألزمهم بالعودة إلى قراهم ، وأعاد وضع الخراج على الأرض التي أسلم أصحابها كما كان قبل إسلامهم،وبذلك خالف الحجاج المبدأ الإسلامي لا ضريبة على مسلم.وهذا عبد العزيز الدوري [2] يذكر انعكاسات سياسة الحجاج على العراق بفرض « **الخراج على العرب الذين يمتلكون أراضي خراجية فارتفعت الضجة الكبرى من العرب أولاً ومن الموالي ثانياً ، وقد أخفى العرب ضجيجهم وراء ضجيج الموالي واتهموا الحجاج بمعارضة الدين** »،لأن الحجاج ردّ أراضي كانت عشرية،معفاة من الخراج بعد إسلام أهلها ،وانتقالها إلى أيدي من العرب [3]،وأخرج الموالي من حواضر الأمصار وأعادهم إلى قراهم وبلدانهم، وقال لهم :« **أنتم عُلوج وعَجم، وقُراكم أَوْلى بكم، ففرَّقهم وفَضَّ جَمْعهم كيف أَحَبَّ، وسَيِّرهم كيف شاء، ونَقش على يد كلِّ رجل منهم اسمَ البَلْدة التي وَجَّهه إليها**»[4]،ثم رحَّلهم إلى بلادهم. فخرج الناس يبكون ويقولون :يا محمداه؟يا محمداه ؟!، وجعلوا لا يدرون أين يذهبون، فخرج قراء البصرة وتعاطفوا معهم في محنتهم،وبعد قدوم ابن الأشعث لقتال الحجاج ،انضم الكل إلى جيشه [5]،نتيجة لتذمرهم من سياسة جباية الضرائب ،وسياسة العسف وسوء المعاملة[6]،وفتحت هذه السياسة التسلطية للحجاج مجالا واسعا لتحالف أطراف المعارضة ،وبروز برنامجها السياسي، وإجماعها على قتال الحجاج في جبهة موحدة. وكان من المفروض أن الأرضي الخراجية هي في الأصل بيد غير المسلمين يدفعون عنها الخراج،مقابل زراعتها، لكن حين اخذ بعض العرب هذه الأراضي، فيما بعد حصل اضطراب في التطبيق، إذ اكتفي العرب بدفع العشر فقط، ولما حاول الحجاج إيقاف ذلك قاوموه،واشتركوا في ثورة ابن الأشعث،نتيجة لسوء الفهم في التطبيق[7].وبذلك اجتمع أهل المصالح لمقاومة الحجاج، واتهموه بالفساد السياسي والمالي ،رغم أن هذا الفساد ليس مرده لعهد الحجاج فقط،بل ساهم فيه من سبقه من الدهاقين ،وكنَّا نتوقع أن تكون هذه الشدَّة في جمع الأموال عاملاً على ازدهار حالة العراق الاقتصادية، ولكن حدث عكس ذلك ، فقد

---

(1) نهاية الأرب:144/21.

(2) مقدمة في تاريخ صدر الإسلامية:ص79، ومقدمة في التاريخ ،ص33.

(3) محمد إبراهيم الفيومي:الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي،ص220.

(4) ابن عبد ربه:العقد الفريد، 364/3، محمد إبراهيم الفيومي:الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي،ص208.

(5) البلاذري:أنساب الأشراف،320/7،النويري: نهاية الأرب،144/21.

(6) عبد العزيز الدوري:مقدمة في التاريخ ،ص43-44.

(7) المرجع نفسه:ص51. . (وظل الأمر هكذا حتى جاء عمر بن عبد العزيز وأكد أن الخراج بدفعه من استغل الأرض الخراجية،سواء كان مسلما أو غير مسلم،عربيا أو مولى، لأنها ملك الأمة،ووقف عليها).

رفض يزيد بن المهلب أن يتولى حكم العراق في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك وقال :إن العراق قد أخربها الحجاج[1]،وخير ما يصور الموقف تلك العبارة التي قالها خالدُ بن عبد اللّه أحد خاصة عبد الملك له عن الحجاج :إن هذا – أي الحجاج- « **جَنى الأموالَ، وزَرع لك البَغْضاءَ في قُلوب الرِّجال، فيُوشك أنْ تَنْبُت البغضاءُ، فلا أموالَ ولا رجالَ**»!![2]. فعلاً لقد كان لسياسة جمع الأموال التي اعتمدها الحجاج مع ولاته ورعيته ،عامل تنفير وتأجيج للوضع ضده ،وكان ذلك بمثابة العامل الأول في قيام ثورة الموالي بزعامة عبد الرحمان بن الأشعث،بعد تبلور برنامج الثورة.

أدت سياسة الحجاج إلى نضج المعارضة وتزايد الكراهية لسيرة الحجاج، وهيأت الأمر لابن الأشعث،خاصة وأن الحجاج قام بإلغاء الزيادات المالية التي أضافها مصعب أيام ابن الزبير- زاد الناس مائةً مائةً في العطاء-،وأعتبرها زيادات ملحد وفاسق ومنافق،رغم أن الخليفة عبد الملك أقرها، وأكد عبد الله بن الجارود للحجاج ذلك،لكنه رفضها [3]،هذا ما جعل أهل العراق يتحركون ضد سياسة الإجحاف المالي للحجاج،وسلطة الحجاج غير المحدودة ، خاصة وأنه ولاه الخليفة عبد الملك ولاية الأقاليم الشرقية للإمبراطورية الإسلامية،منذ سنة 78هـ(697م)،مكافأة على انجازاته ضد الخوارج وابن الزبير،والتزامه بتقديم الخراج لخزينة الدولة في وقته[4].

ونتيجة لما سبق أخفق الحجاج في التوفيق بين مصالح السلطة والرعية ،أي بين مصلحة الغني والفقير،وبين مصلحة ملاك الأراضي والفلاحين ،مما أدى إلى قيام حالة اجتماعية توترت فيها العلاقات بين الطبقات،إلى لون من ألوان الصراع الاجتماعي ،مما أدى إلى قيام عدة ثورات [5]، كان أبرزها ثورة عبد الرحمن بن الأشعث.

### ج– الثورة على العصبية الإقليمية والقبلية

اعتبر أهالي العراق خضوعهم للحكم الأموي خضوعاً منهم لحكم الشام، و لم يدركوا أن الشام والعراق مصران من أمصار الدولة العربية الإسلامية ، وأدى هذا الشعور إلى ظهور روح العصبية الإقليمية عند الموالي وصبغوها بالصبغة الإسلامية، وتظاهروا بأنهم يدعون« **إلى المساواة بين المسلمين**

---

(1) الطبري:تاريخ الرسل،523/6، ابن الأثير : الكامل،82/4، ابن خلكان: وفيات الأعيان،296/6

(2) ابن عبد ربه : العقد الفريد ،108/4.

(3) أنظر البلاذري: أنساب الأشراف،282/7-283،الطبري: تاريخ الرسل،211/6،المنتظم:165/6،ابن الأثير: الكامل، 426/3-427.

(4) أنظر عمر أبو منصور: عبد الملك بن مروان،ص202-203.

(5) عبد العزيز الدوري: مقدمة في تاريخ صدر الإسلامية،ص76.

**مهما اختلفت عناصرهم ،وأنه لا فضل لأحد على آخر إلاَّ بالتقوى** »[1]،وأنكر أصحاب هذه النزعة استئثار العرب بالسلطة ،والامتيازات ودعوا إلى المساواة .وقد ظهر هذا الاتجاه في العراق وفارس خاصة، وعمل الحجاج الثقفي –بدون قصد– على تنمية هذه الروح ،فقد استعان في توطيد حكمه وإرهابه واستبداده بجيش من جند الشام ، وبنى لهم مدينة واسط وأسكنهم فيها حتى لا يختلطوا بأهل العراق [2]، وادعّى الحجاج أنه قصد من ذلك ألا يرتكب جند الشام ما يزعج أهل البصرة والكوفة ، ولكن السبب الحقيقي هو عزلهم عن أهل العراق وخاصة الموالي منهم، وتركيز جند الشام حوله حتى يصبحوا طوع إرادته لاعتقاده أنه في أرض معادية .

ويصف المؤرخ فلهاوزن [3]أن جيش الشام بالعراق كان يمثل «السيادة الأجنبية مجسَّمة»،ثم يقول: وكان على جند العراق أن يقنعوا بأعطيات قليلة ويحتملوا في الوقت نفسه مؤونة جند الشام ، وكانوا يُوجهون في حملات بعيدة على حين كان يبقى جند الشام في أهليهم. إذن فلا يمكن تجاهل طبيعة ذلك الصراع ، فهو لم يكن صراعاً بين الموالي والعرب فحسب ، بل كان صراعاً بين عرب العراق وعرب الشام، وصراعاً بين ولايتين في الدولة العربية كانتا تتنافسان دائماً وكان أهل العراق أيًّا كان أصلهم متحدين في ذلك الصراع، وكذلك كان جنود الشام يشعرون، وهم خارج وطنهم ، بما بينهم من أواصر الإتحاد.

ورغم أن الموالي شاركوا في ثورة ابن الأشعث لمعاداتهم لحكومة الشام التي كان عمادها العروبة، إلاَّ أنهم لم يطبعوها بطابع خاص بهم،و لم تأتي الثورة منهم،إنما كانوا مجرد مؤيدين،بل الثورة جاءت من جانب جيش «الطواويس»، وهو الجيش الذي تألف من أهل العراق، وانضمت إليه مسالح سائر الولايات والثغور[4]، ومشاركة الموالي لأنهم كانوا يرافقون أسيادهم العرب في الحروب[5].

يضاف إلى ذلك، الثورة على العصبية القبلية التي تجلت داخل السلطة الأموية ، حيث بداء التكتل القيسي اليماني في الشام ،ثم امتد بمرور الزمن وبالتدريج إلي أجزاء الإمبراطورية حتى وصل خراسان شرقا ، ورغم أن رجال الدولة حاولوا الوقوف منه موقف الحياد أول الأمر، لكن ظروف عصر الحجاج وما بعده،« **أدت إلى أن يدخل الولاة أولاً في تيار العصبية ،فادى ذلك إلي أن تتخذ**

---

(1) عبد العزيز الدوري: مقدمة في تاريخ صدر الإسلامية،ص76.

(2) الجاحظ : البيان والتبيين ،275/1 ،136/2،135،ابن عبد ربه: العقد الفريد،53/2، 202/4،203.

(3) الدولة العربية، ص 240، 241.

(4) محمد إبراهيم الفيومي:الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي،ص209، فلهاوزن:السيادة العربية،ص237.

(5) فلهاوزن:السيادة العربية،ص237.

**التكتلات القبلية هيئة أحزاب سياسية ،هذه تؤيد هذا الوالي وتتمتع بالنفوذ والجاه ،وتلك تأخذ موقفا سلبيا وتقصي عن المجال ...وبذلك ضعف التوجيه ،وتضعضعت وحدة الدولة المتمثلة في خليفتها ،وانصدعت دعامة الحكم الأموي** »[1]،واستمرت هذه القبائل تنظر إلي مصالحها المحدودة وتعدها مقياسا في تصرفاتها ،دون النظر إلى مصلحة الدولة العليا، هذا ما قلل من هيبة الدولة في نظر ولاتها وعمالها وسكانها ،فكان بمثابة عامل ضعف خطير في الكيان العام للخلافة،شجع حماتها وعمالها على الانتفاض والثورة على السلطة وهم جزء منها،في مقدمتهم ابن الأشعث ثم يزيد بن المهلب فيما بعد.

### د- بغض ابن الأشعث للحجاج ورفض إبعاد أهل العراق

تكاتفت هذه العوامل التي ذكرناها على إثارة روح العداء والبغضاء في قلوب أهالي العراق. وأدرك الحجاج الثقفي خطورة الموقف ، وشعر أن نيران الثورة كامنة تحت الرماد. ورأى أن يحل هذه المشكلة الكبرى ، فلم يجد حلاً سوى إرغام أهالي العراق على التجنيد وإرسالهم على شكل جيوش كثيرة الجند إلى الأطراف الشرقية من الدولة، في مجاهل فارس و سجستان ، لفتحها بدعوى نشر الإسلام فيها، وإن كان هدف الحجاج الحقيقي ، هو اشغال أهالي العراق عن مفاسد السياسة الداخلية.

وقد اعترف الحجاج نفسه بحقيقة سياسته فقال:« **يأهل العِراق، إنّي لم أجد لكم دواءً أدوى**[2] **لدائكم من هذه المَغازى والبُعوث، لولا طِيبُ لَيْلة الإياب، وفَرْحة القَفَل، فإنها تُعقب راحة؛ وإني لا أريد أن أرى الفَرَح عندكم ولا الرَّاحةَ بكم. وما أراكم إلا كارهين لَمقالتي، وإني واللّه لرُؤيتكم أكرهُ**»[3]،وقد وجد الحجاج تشجيعا من الخليفة عبد الملك الذي راسله قائلا:« **أن جَمِّرْ أهل العراق وتابع عليهم البعوث**»[4]،من أجل إشغالهم بالحروب عن الفتن ،وإخضاعهم لسلطة الشام،و لم يكتف الحجاج عند هذا بل كان يبغض ابن الأشعث ،« **ويقول هو أهوج أحمق حسود، وأبوه الذي سلب أمير المؤمنين عثمان ثيابه وقاتله**»[5]،ويؤكد البلاذري[6] ذلك ،أن أبغض رجل في العراق عند الحجاج هو ابن الأشعث، وكان هو الآخر يفهم ذلك ويضمر له السوء وزوال الملك عنه. وعَبَّر عمَّا يكنه لابن

---

(1) عبد العزيز الدوري: مقدمة في تاريخ صدر الإسلامية،ص72-73.

(2) أدوى: أهلك وأقطع. أَدْوى من البُخْلِ أَي أَيُّ عيب أَقْبحُ منه. لسان العرب:79/1.

(3) ابن عبد ربه:العقد الفريد،207/4

(4) البلاذري: أنساب الأشراف،358/7.

(5) ابن كثير:البداية ،377/5.

(6) أنظر أنساب الأشراف:309/7،ابن كثير:البداية ،377/5.

الأشعث من بغضاء فقد كان يكره مشيته،ويقول انظروا إلى مشية المقيت والله لهممت أن أقتله[1]. وبلغ ابن الأشعث مقالة الحجاج فقال:« **والله لأحاولن إزالة سلطانه إن طال بي وبه عمر**»[2]. وكان عبد الرحمن هو الأخر يستصغر الحجاج في عينيه وعند أصحابه،في رده عن كتبه، قائلاً:« **يكتب إليّ بمثل هذا وهو لا يصلح أن يكون من بعض جندي ولا من بعض خدمي لخوره وضعف قوته**»[3]، ونتيجة لهذه الحساسية المفرطة بينهما، وخشية الحجاج من أي ردّ سريع من ابن الأشعث ، جهز جيش الطواوييس لعبد الرحمن بن الأشعث لينفيه ويفنيه في أرض رُتْبيل، وأمّد الحجاج ابن الأشعث سنة 80 هـ /699م ، بجيش نظامي مثالي ،كامل العدد والعتاد ، عُرف باسم جيش الطواويس [4] ، وحول ذلك يقول البلاذري[5]:انتخب له الحجاج اثني عشر ألفاً ويقال عشرة آلاف من أشجع وأمهر الرجال، وأعطاهم أعطياتهم، وسيرهم مع ابن الأشعث، وأنفق على هذا الجيش ألفي ألف درهم، وكتب إليه في محاربة رُتْبيل بمن معه،الذي أباد معظم جيش ابن أبي بكرة سنة 79هـ/698م ،بعد أن أخذ عليهم الطرق والشعاب وضيّق عليهم المسالك و لم ينج منهم سوى القليل [6] ، ومضى هذا الجيش إلى الأهواز وكتب إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بولاية سجستان وضم إليه هذا الجيش.رغم أن هناك من نهى الحجاج أن لا يولي ابن الأشعث هذا الأمر،منهم إسماعيل بن الأشعث الذي أشار على الحجاج أن لا يولي عبد الرحمن وقال :«**إني والله أخاف خلافه، والله ما جاز جسر الفرات قط فرأى أن لأحد عليه سلطاناً**»[7]،تمرد وثار على السلطة ،لكن النية المدبر من قبل الحجاج بتصفية القوى المعارضة والساخطة عليه في العراق دفعته إلى التأكيد على حسن النية والثقة الكبيرة فيه،قائلاً:«**إني لست كأولئك هو لي أهيب، وفيما لدي أرغب من أن يخالفني أو يخرج يداً من طاعتي**»[8]،وهذا الثقة المبالغ فيها من قبل الحجاج ،هي التي تؤكد على حقيقة التصفية لعبد الرحمن وأصحابه ، وإلاَّ كيف يقبل الحجاج بابن الأشعث ويثق فيه؟، وهو يبغضه ،ولا يثق حتى في أقرب الناس إليه،وعندما خرج عليه ابن الأشعث حاول مهادنته وتأمين حياته،حيث أرسل أيوب بن القرية إلى ابن الأشعث ليدعوه إلى الطاعة،«**وله**

---

(1) الدينوري:الأخبار الطوال،ص289،البلاذري:أنساب الأشراف،309/7.

(2) البلاذري:أنساب الأشراف،309/7.

(3) ابن كثير:البداية ،377/5.

(4) وعرف بهذا الاسم لأن الناس سموهم بذلك لتكامل أهبتهم وعدتهم ونبلهم وشجاعتهم(البلاذري:أنساب الأشراف،310/7.)

(5) أنظرأنساب الأشراف:309/7-310، الطبري: تاريخ الرسل،327/6-329.

(6) أ نظر ابن الأثير: الكامل،478/3-479.

(7) البلاذري:أنساب الأشراف،310/7، الطبري: تاريخ الرسل،328/6.

(8) البلاذري:أنساب الأشراف،310/7.

**الأمان على ما سلف من ذنبه»**[1]،هذا التعامل للحجاج يبين الثقة المطلقة، وطلب الأمان في النهاية،تأكيدا على محاولة تدارك خطأ تقديره،وتفويت الأمر عنه.

قدم عبد الرحمن سجستان، وحضر الغزو فخرج من بابشير[2]، ثم خطب في الناس وحرضهم، وقطع المفازة ونزل بست[3]، فتلقاه رُتْبيل واعتذر إليه من مصاب المسلمين، وعرض عليه الفدية وسأله أن يقبل منه ما كان يقبله من قبله، فأخذ ابن الأشعث« **الرهن ولم يجبه إلى شيء مما يريد، وقدم القاسم أخاه أمامه ثم سار، وجعل رتبيل يدع البلاد حصناً حصناً طمعاً في أن ينال منه ما نال من غيره، وحذر ابن الأشعث، فكان لا يأتي حصناً ولا يجاوز عمراناً إلا خلف فيه قائداً في كثف المسلمين، ورتب الرجال فأنزل القاسم أخاه الرُخَّجَ ونزل هو بست وكره التوغل في البلاد وكتب إلى الحجاج بذلك»**[4]،ومال ابن الأشعث إلى رسم خطة لإحكام السيطرة على بلاد رُتْبيل بالتدرج في الفتح ،لكون أراضيه جبلية وصعبة المسالك، وقد أثنى المؤرخ الألماني فلهاوزن [5]،على خطته الحربية أثناء قتاله رُتْبيل،لكن الحجاج الحاقد على ابن الأشعث وقادة جيشه من أهل العراق ، لم يقبل بسلامة الجيش، وبقائه كقوة كبيرة تحت إمرة ابن الأشعث، فكتب إليه يتهمه بالخيانة والجبن والضعف، وهو على رأس جيش كثير العدة والعدد، وأمره بمواصلة الوغول والقتال لعدوه، حتى يفتح أرض رُتْبيل [6]، ويعتبر هذا التصرف من الحجاج تدخلا في خطة ابن الأشعث وفقا للأهواء السياسية، وهو بعيد كل البعد عن المنطقة ولا يعلم بخفاياها،وقد يكون مستعجلا للفتح لتجنب النفاقات المتزايدة،والحفاظ على موارد الخزينة.

إن نفاذ صبر الحجاج واستعجاله النصر، دون أن يراعى ما عليه جيش ابن الأشعث وظروف المنطقة ،هذا ما دفع ابن الأشعث إلى رفض التدخل في شؤون الحرب، تم إعلان التمرد والثورة على الحجاج [7]، ولكن الحجاج ، وهو الرجل السريع الغضب القليل الصبر،اتهم ابن الأشعث بأنه يميل إلى المهادنة والموادعة ،وحثاه في كتب متلاحقة على التقدم في بلاد العدو والتوغل فيها، وهددّه إن لم يفعل، بأن يجعل القيادة لأخيه، وفي ذلك يقول الحجاج:« **أما بعد، فامض لما أمرتك به من الوغول في**

---

(1) الدينوري: الأخبار الطوال،ص290.

(2) قرية على مقدار فرسخ من مرو. ( الحموي:معجم البلدان،308/1).

(3) بست: مدينة بين سجستان وغزنين وهراة، من أعمال كابل، (المصدر نفسه:414/1).

(4) البلاذري: أنساب الأشراف،312/7.

(5) الدولة العربية: ص 224 ،225.

(6) البلاذري: أنساب الأشراف،312/7.

(7) ذنون طه : العراق في عهد الحجاج، ص 83.

**أرضهم، وإلا فإن إسحاق ابن محمد أخاك أمير الناس، فخله وما وليته»**[1].وهذا الرد والعبارات السابقة توضح مدى حقد الحجاج على أهل العراق ،وكراهيته لهم ، فلا عجب أن بادلوه الحقد والكراهية؛ وتفطنوا لما يخطط له من تصفية المعارضين للسياسة الأموية في العراق بتجميرهم،وبذلك أيقظت كتب الحجاج روح التمرد عند ابن الأشعث، بل دفعته إليه دفعاً.

وهدف الحجاج من سياسته شغل أهل العراق بالفتوحات في الأطراف الشرقية البعيدة ،عن مفاسد السياسة الداخلية، يعود إلى استخلاصه أن ابن الأشعث هو الزعيم الذي تنشده أي حركة ثورية في بلاد العراق ،إلى جانب ما كان الحجاج يكنّه من كراهية لابن الأشعث ، إضافة إلى الانتقام لجيش عبيد الله بن أبي بكرة،ولهذه الأسباب الثلاثة ، رأى الحجاج أن يبعث به على رأس جيش من جند العراق للمضيّ فيما اختطه من سياسة الفتح في الأطراف الشرقية .

## 2 – برنامج الثورة

رغم أن ابن الأشعث لم يخطط للثورة مسبقا حتى يضع الخطوط العريضة لبرنامجه ويفصح عن بنوده، إلاّ أننا نستخلص ذلك من مواقفه السياسية المعارضة للحجاج بصفة خاصة ومواقف أنصاره وقادة جيشه من السياسة الأموية بصفة عامة، إضافة إلى تلك الخطب والرسائل المتبادلة بين الطرفين ، ويمكن محورة محتوى البرنامج في المحاور التالية:

**أ–التخلص من حكم الحجاج ومبايعة ابن الأشعث** :ركز ابن الأشعث في برنامجه على التخلص من حكم الحجاج،ويتضح في ردّه على انتقاد الحجاج لمشيته،بعد أن بلغته مقالة الحجاج ،فأكد على إزالة سلطانه إن طال به العهد[2]،وأكد عبد الرحمن أكثر من مرة على هذه الكراهيته للحجاج، وحب الثورة والقتال له.وهذا خليفة بن خياط [3] يروي ذلك عن أبي الحسن وأبي اليقظان:«**أن ابن الأشعث لما أجمع المسير إلى العراق دعا ذَرًّا أبا عمر بن ذَرّ الهمداني، فكساه ووصله وأمره أن يُحَضِّض الناس، فكان يقصُ كل يوم وينال من الحجاج، ثم ساروا وقد خلعوا الحجاج**»،واستعمل الأشعث هذا الأسلوب حتى يكره الحجاج في الناس ويدفعهم للثورة عليه، وكان ذلك بعد أن هدده الحجاج بمواصلة القتال ،أو التخلي عن قيادة الجيش لأخيه القاسم، فأظهر خلع الحجاج، ونصح أصحابه وأتباعه، وأكد لهم على

---

(1) الطبري:تاريخ الرسل،335/6،ابن الأثير: الكامل،488/3–489، النويري:نهاية الأرب ،143/21،142،الزركلي: الأعلام، 324/3.

(2) الدينوري: الأخبار الطوال،ص289،البلاذري:أنساب الأشراف،309/7، الطبري:تاريخ الرسل،327/6.

(3) تاريخه ،ص280.

استشارة ذوي أحلامكم والتجربة منكم، فأشاروا عليَّ بترك التوغل في بلاد العدو،وإن الحجاج كتب إليّ،وأمرني بالتوغل بكم تغريراً لجماعتكم ، كما غرر بمن قبلكم [1]، وأستعمل ابن الأشعث هذا الخطاب حتى يعبر عن استيائه وجنده من تصرفات ومعاملة الحجاج لهم،وتأكيداً على كراهيتهم للغزو ومشاقه،ومنوا أنفسهم بالخلاص من حكم الحجاج.

ونتيجة لذلك رفض جيش الطواويس أوامر الحجاج واعتبروها إذلالا لهم ،وأول متكلم من أنصاره يومئذ ، أبوه ،الذي أفصح عن برنامج الثورة على الحجاج، قائلاً: اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا عبد الرحمن. فردد عليه الناس من كل جانب فعلنا فعلنا،ثم قام عبد المؤمن بن شبث بن ربعي التميمي ثانيا – وكان على شرطته حين أقبل – فقال لهم: أرفضوا طاعة الحجاج ،فبايعوا أميركم. فوثب الناس إلى عبد الرحمن فبايعوه، فرد عليهم تبايعوني على خلع الحجاج عدو الله ونصرتي [2]، وأجمع الكل على نصرته وبيعته وقتال الحجاج عدو الله ،ثم بايعوه على كتاب الله، وسنة نبيه وخلع أئمة الضلالة، وقتال المحِلّين [3]،وواصل ابن الأشعث في تشويه صورة الحجاج لدى أنصاره والقراء ، إثباتا لصحة برنامجه، وأحقية مطلبه في الإمارة ،بإظهاره بأنه جبار،متسلط على رقاب المسلمين ،معطل لحدود الله ومميت للسنة،ومظهر للمنكر والقتل للناس،داعيا القراء وأنصاره للغضب لله، والخروج معه، وعدم الرضا بأعماله وأفعاله[4]،هذا من أجل استعطافهم إلى صفه والثورة على عدو الله، والقبول ببيعة ابن الأشعث ومطالب برنامجه.وهي البيعة التي كان يجتهد ابن الأشعث لنيلها ،حتى يطمئن إلى أنصاره ،وهو معزز بقوة الفقهاء ومدعم بجيش فيه أمهر وأشجع المقاتلة.

و لم يكتف ابن الأشعث في التأثير على الفقهاء وعناصر جيش الطواويس في الذود عن برنامجه،والقتال من أجل تحقيقه،بل أثر على بعض رُسل الحجاج ،مثل ابن القرية، وأقنعه بمبادئ برنامجه،وضمه إلى صف جيشه ضد الحجاج، حيث قال له:« **ويحك يا ابن القرية، أيحل لك طاعته مع ارتكابه العظائم، واستحلاله المحارم ؟ اتق الله يا ابن القرية، ووال عباد الله في التبرية**»[5].

**ب– طلب الخلافة** :لقد تطلع ابن الأشعث إلى السلطة والخلافة مبكراً ،لما امتاز به من شجاعة وإقدام وحسن التدبير ، والنسب القبلي، حيث يقول: ما رأيت أميراً فوقي إلاَّ ظننت أني أحق بالقيادة منه ،

---

[1] البلاذري: أنساب الأشراف،7/313.

[2] البلاذري:أنساب الأشراف7/313 -314،الطبري: تاريخ الرسل،6/335-336، ابن الأثير: الكامل،3/489، النويري:نهاية الأرب 21/143.

[3] البلاذري: أنساب الأشراف،7/314.

[4] الدينوري: الأخبار الطوال،ص289

[5] المصدر نفسه:ص290.

وكان يقول أيضا:« **لو قد رأيت البياض، وقرأت القرآن، وماتت أم عمران -يعني أمه -لطلبت الغاية التي لا مذهب بعدها**»[1]،والغاية التي كان يسعى ويتطلع إليها ابن الأشعة هي الخلافة والإمارة،التي كثر طُلابها في العهد الأموي،لغياب شروطها الأساسية، ودعاماتها الدينية،مما جعل الكل يرى أن له الأفضلية عن غيره، إضافة إلى ضعف هيبتها وقداستها،جعل الكل يتمرد على السلطة المركزية متى شاء، ويترع البيعة عمن شاء ،وحتى يكسب ابن الأشعث الشرعية والدعم القوي، سمى نفسه ناصر المؤمنين وقال بأنه القحطاني الذي تنتظره اليمانية ليعيد الملك فيها[2]، وأتخذ هذا الشعار الحساس لكسب الشرعية الدينية والعصبية القبلية،ضد العصبية الأموية،فتكاثر أتباعه لقتال الحجاج والنظام الأموي ، طمعا في الإمارة والنفوذ،حيث يذكر أحد قادة ابن الأشعث الهلقام بن نعيم[3] لما قدم على الحجاج أسيراً من قبل يزيد بن المهلب ،« **فقال له الحجاج: أخبرني عنك، ما رجوت من إتباع عبد الرحمن بن محمد؟ أرجوت أن يكون خليفة؟ قال: نعم، رجوت ذلك، وطمعت أن يتزلني منزلتك من عبد الملك** »[4]، وكان إجماع الناس وإقبالهم على ابن الأشعث من أجل مصالح مختلفة،بعضهم للانتقام ،والبعض الأخر من أجل مصالح شخصية.

### ج- عدم الإبقاء بالجند في جبهات القتال بعيداً عن الأهل

قام عبد المؤمن بن شبث بن ربعي التميمي خطيبا في الناس،رافضاً لسياسة الإبعاد ولإقصاء والتجمير محذراً الناس من بقائهم في بلاد رُتْبيل ،قائلاً:و«**جعل هذه البلاد بلادكم ما بقيتم، وجمركم تجمير ...ولن تعاينوا الأحبة فيما أرى أو يموت أكثركم** »[5].واتبع الحجاج هذه السياسة ضد أهل العراق بإشغالهم بالفتوح والحروب بعيدا عن أوطانهم وأهلهم،حتى لا يفكروا في الثورة ومعارضة السلطة في دمشق،وإفراغ العراق من المقاتلين واستيطانهم في المناطق النائية الصعبة ،وبالتالي توفير شروط الهدوء والاستقرار في المنطقة ،وإراحة الشام من الضغط المتزايد عليه من أهل الكوفة والبصرة، وتعود سياسة الحجاج هذه إلى بداية عهده بالعراق ،يوم أن شدد في خطابه على أهالي البصرة والكوفة ،وأتهم بالنفاق والشقاق ،وأرغمهم على الالتحاق بجيش المهلب، وقتل كل من شارك في قتل عثمان أو حامت حوله

---

(1) البلاذري: أنساب الأشراف،309/7.

(2) المسعودي: التنبيه والأشراف،ص314.

(3) ابن القعقاع بن معبد ابن زرارة: قائد، ثائر،شهد وقعة دير الجماجم ومسكن( الزركلي: الأعلام،92/8)

(4) الطبري: تاريخ الرسل،374/6.

(5) البلاذري:أنساب الأشراف،313/7 -314،الطبري: تاريخ الرسل،336/6، ابن الأثير: الكامل،489/3، النويري:نهاية الأرب 143/21.

الشكوك،مما زاد من كراهية الحجاج وأسلوب حكمه ومعاملته لأهل العراق [1] ،هذا ما دفع عامة الناس أن يتحركوا ضده كلما وجدوا الظروف ملائمة للحركة، لرفض سياسة التجمير والإبعاد للعراقيين عن أهلهم وعيالهم.

وقد أدرك أهل العراق مقاصد الحجاج من حملاته العسكرية وتجييش الجيوش من سكان المنطقة، لذا ركزوا في برنامجهم بطرد الحجاج من إقليمهم،والتخلص من حكمه وأذياله ،ويتضح ذلك أنهم لما بايعوا ابن الأشعث انصرفوا إلى العراق لإخراج الحجاج عدو الله منها لأن جهاده أولى [2]، ونتيجة لذلك ازدادت الكراهية للحجاج وظلمه وتغطرسه.

**د–خلع الخليفة عبد الملك**

عندما قدم ابن الأشعث فارس ،وأجتمع الناس حوله،قالوا:« **إنا إذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك فقد خلعنا عبد الملك** »[3]،لأن الخليفة عبد الملك هو الذي أعطى الصلاحيات للحجاج ليتلاعب بشؤون الأمة،ويدفعها للثورة دفعا ،لكونه صاحب الأمر والنهي عن الفساد،هذا ما شجع الثائرين على سرعة الاستجابة لخلعه، فقام«**تيحانُ بن أبجر من تيم الله بن ثعلبة،... فقال: أيها الناس، إني خلعت أبا ذِبَّان (كنيته عبد الملك بن مروان)كخلعي قميصي، فخلعه الناس إلا قليلا منهم، ووثبوا إلى ابن محمد فبايعوه** »[4].وبعد أن زاد جمعه وقوي عوده ووصل إلى فارس ، وكثر مؤيديه أعلن عن خلع عبد الملك أيضاً ، ثم أطلق على نفسه اسم القحطاني (**ناصر المؤمنين**)[5] لذلك صرح ابن الأشعث عن برنامجه وهو الوصول إلى حكم المسلمين وتولي خلافتهم بعد انتصاره على جيش الحجاج في تستر [6]، إذ يقول:« **أما الحجاج فليس بشيء لكننا نريد غزو عبد الملك** »[7] وأعلن في دير الجماجم [8]أنه أعز مكانة وشرفاً

---

(1) أنظر الطبري:تاريخ الرسل،6/204-209.

(2) البلاذري: أنساب الأشراف،7/314،الطبري: تاريخ الرسل،6/336، ابن الأثير: الكامل،3/489، النويري:نهاية الأرب،21/143.

(3) الطبري: تاريخ الرسل،6/338.

(4) المصدر نفسه.

(5) المسعودي:التنبيه والأشراف، ص 272 ، البدء والتاريخ: 2/ 184.

(6) أعظم مدن خراسان.(معجم البلدان:2/29).

(7) الطبري:تاريخ الرسل، 6 /341.

(8) دير الجماجم : مكان يقع على سبعة فراسخ (نحو 21 ميلا) من الكوفة على طريق البر (معجم البلدان: 2/ 503-504 ).

من آل مروان [1] هذا ما شجعه للطلب بالخلافة،وأغراه انتصاره على ذلك، وكم تُغري الانتصارات ضعاف النفوس فتلقي بهم في النهاية إلى الهلاك.

**هـ – محاربة ظلم وجور السلطة:** لقد وضع أهل العراق جور النظام وظلمه ،كمبادئ أساسية في برنامج خروجهم على الحجاج ، فهؤلاء جماعة من الفقهاء، منهم عبد الرحمن بن أبي ليلى وأبو البختري والشعبي وسعيد بن جبير أجمعوا على مقاتلة بني أمية عن ظلمهم وتجبرهم ضد رعيتهم، وجهلوا بالحق ،وعملوا بالعدوان،وتخلوا عن الدين وإحداثهم فيه ،وأماتوا الصلاة، واستذلوا الضعفاء[2].

ولما دخل ابن الأشعث البصرة بايعه جميع الناس من قُرائها وكُهولها على حرب الحجاج، وكان ذلك في آخر ذي الحجة من سنة إحدى وثمانين [3]،«**وعظم الخطب، واتسع الخرق على الراقع**»[4]،مما زاد من حقد أهل العراق على الحجاج، ومطالبتهم عبد الرحمن بمواصلة القتال ضد جور سلطة العراق والشام،نتيجة لمعاناتهم الشديدة منذ قدم الحجاج الكوفة ثم البصرة.

وأستغل عبد الرحمن بن محمد أيوب ابن القرية رسول الحجاج إليه، ليعينه على كتابة كتاب إلى الحجاج ،يعرفه فيه سوء أفعاله ويبصره بقبح سريرته،ويبلغه من ورائه محاور برنامجه،وصدق مطلبه ومعارضته، فكتب: «**بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الرحمن بن محمد، إلى الحجاج بن يوسف، سلام على أهل طاعة الله، الذين يحكمون بما أنزل الله، ولا يسفكون دما حراما، ولا يعطلون لله أحكاما، فإني أحمد الله الذي بعثني لمنازلتك، وقواني على محاربتك حين تهتكت سُتورك، وتحيرت أمورك، فأصبحت حيران تائها، لهفان لا تعرف حقا، ولا تلائم صدقا، ولا ترتق فتقا، ولا تفتق رتقا، وطالما تطاولت فيما تناولت، فصرت في الغي مذبذبا، وعلى الشرارة مركبا، فتدبر أمرك، وقس شبرك بفترك ، فإنك مراق عراق ، ومعك عصابة فساق، جعلوك مثالهم، كحذوهم نعالهم، فاستعد للأبطال بالسيوف والعوال ، فستذوق وبال أمرك، ويرجع عليك غيك، والسلام**»[5]، وهذه الكتاب تحليل لسياسة الحجاج ومفاسده الأخلاقية والدينية والإدارية والسياسية، وهو نوع من الاستهزاء والإساءة للحجاج، والكشف عن تجبره وظلمه ، وقسوة معاملته لرعيته ،ما دفع ابن الأشعث للثورة عليه، من أجل تخليص الناس من ظلمه،وإنهاء حكمه للعراق، ترسيخا لمبادئ برنامجه وهو خلع أئمة الضلالة.

---

[1] الطبري :تاريخ الرسل،6/ 375 .

[2] البلاذري:أنساب الأشراف،،7/339،الطبري: تاريخ الرسل ،6/357-358،ابن الأثير: الكامل،3/501.

[3] الطبري: تاريخ الرسل ،6/341.

[4] ابن كثير:البداية ،5/381.

[5] الدينوري: الأخبار الطوال،ص291.

**و- المساواة مع أهل الشام** : يبدو أن أهل العراق كانوا محقين في المطالبة بمساواتهم في العطاء بأهل الشام،لأن الخليفة عبد الملك كتب إلى الحجاج يوصيه بإفقار أهل العراق قائلاً:« **واستعن عليهم بالفقر فإنه جند الله الأكبر**»[1]، وفعل الحجاج ذلك سنتين ،ثم تراجع، وقد أدرك الخليفة عبد الملك ذلك،فحينما حاول وفد أن يفاوض الثوار ويقنعهم بالتخلي عن الثورة،عرض عليهم مساواتهم مع أهل الشام في العطاء لكنهم رفضوا ذلك [2]،ومن هنا، فإن خلفاء بنو أمية هم الذين طبقوا هذا التمايز في العطاء بين جند الشام وجند العراق،حتى يكونوا لهم عيون وليس الحجاج[3].

حسب رواية المدائن أن الحجاج حرم أهل العراق أعطياتهم بسبب مشاركتهم في ثورة ابن الأشعث، وقد كتب إليه عبد الملك ينهاه عن ذلك ويعارضه.[4]وفي رواية أخرى للبلاذري[5]نجد الخليفة هو الذي أمر بمنع العطاء عن أهل العراق لسنتين،والحجاج هو الذي يكتب لعبد الملك،أن يسمح له بإعطائهم أعطياتهم، فيقول :« **وان لهم في هذا الفيء حقا ونصيبا واني أخاف أن حبسناه عنهم أن ينصروا علينا،فان رأى أمير المؤمنين أن يأمر لهم بحقوقهم فليفعل** ...» فوافقه عبد الملك على ذلك ، فصرف لهم الحجاج عطاءين للسنة الأولى والثانية،وهذه الروايتين متنا قضين،لان سياسة الشدة هي التي حفزت الكثير نحو الثورة،ما بالك أن يتوقف العطاء عنهم لمدة سنتين،كيف سيكون الموقف؟لكن الطبري[6]يؤكد قيام الحجاج بتوزيع العطاء على أهل العراق بعد معركة دير الجماجم،وهو ما يؤكد صحة الرواية، وخضوع الحجاج لمطالب الثوار،وتهدئة للمعارضة.

## 3 - سير تنفيذ البرنامج والثورة

تكاتفت الأسباب السابقة الذكر على إذكاء روح السخط والثورة في بلاد العراق ، ضدّ الحكم الأموي عامة ،وحكم الحجاج الثقفي خاصة، وساعد على التعجيل بالثورة، وصول كتب الحجاج إلى ابن الأشعث ،توبخه وتضعفه، وتنقص من مكانته الحربية والقتالية، فغضب من هذا التصرف،وأدرك أن الحجاج جزاه جزاء سينمار، فقد بذل ابن الأشعث كل جهده وطاقته في القتال ، في عزيمة وإصرار وإخلاص ، فجمع جنده وأطلعهم على خطابات الحجاج وكتبه، التي تعجزه وتضعفه، وتأمره بمواصلة

---

(1) البلاذري: أنساب الأشراف،358/7.

(2) ابن الأثير: الكامل،495/3.

(3) فلهاوزن:تاريخ الدولة العربية ،ص239-240.

(4) البلاذري:انساب الأشراف،193/7.

(5) المصدر نفسه،358/7.

(6) تاريخ الرسل ،370/6

القتال في أرض العدو، فأستشار في الأمر أصحابه [1]،وكشف لهم عن رأيه المعارض بعد أن استشار أولوا الرأي،حتى يحفز أصحابه وأتباعه على دعمه في مسعاه ومبتغاه، ووجد المساندة والتحفيز عند أبيه الذي خاطب جيش عبد الرحمن قائلاً:« ... **إن الحجاج والله ما يبالي أن يخاطر بكم فيقحمكم بلاداً كثيرة الصعاب والمخاطر، فإن ظفرتم فغنمتم ،اتسع سلطانه وزاد دخله، وإن هُزمتم كنتم الأعداء البُغَضاء**»[2]،فكان هذا الخطاب كاشفاً لحقيقة أهداف الحجاج من حملته الكبيرة نحو أرض كثيرة الصعاب،والعواقب والأخطار،مما أثر وشجع ابن الأشعث وأصحابه على الرفض القاطع لكل أوامر الحجاج،وبذلك بدأت ملامح العصيان، وتباشير الثورة تلوح عند ابن الأشعث وأنصاره، وهي الفرصة التي تمكنه من العمل على تطبيق محاور برنامجه على أرض الواقع ، والظروف أصبحت كلها تسير في صالحه.

وفي سنة 81هـ(700م) خالف عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الحجاج وخرج ومن معه من جند العراق، وأقبلوا إليه لحربه ،بينما يرى الواقدي أنه كان في سنة اثنتين وثمانين[3].

بعد أن أمن ظهره بضبط إقليم سجستان إداريا، و أمَّر على بُسْتِ عياضَ ابن همیان البَكريّ[4] وعلى زَرَنْج عبد الله بن عامر التميميّ ثم الدارِميّ، وبعث إلى رُتْبيل، فصالحه على أنّ لا خراج عليه أبداً ما بقِيَ ابن الأشعث،وإن هُزم فأراده ألجأه عندَه[5]،وبهذا الاتفاق أطمأن عبد الرحمن من عدوه، ثم تحرك بسرعة نحو العراق لتنفيذ برنامجه بقتال الحجاج وأعوان النظام الأموي، وهو مطمئن لما خلفه، هذا ما أكسبه،إقداماً وإصراراً على الصمود والتفوق ، والتطلع إلى الخلافة ،بعد إجماع الكل على نزع البيعة عن الحجاج ثم عبد الملك.

ولما وصلت أخبار تمر د ابن الأشعث إلى عبد الملك،ذهل من ذلك وخرج للناس وقال لهم، إن أهل العراق طال عليهم عمري فاستعجلوا قدري. ودعا بتسليط سيوف أهل الشام عليهم [6]،رغم أن هناك من قلل من روعه وجزعه،مادام الخطر من سجستان، وأستعد الحجاج لملاقاته ،فأعد الجيش ووضع العيون والمراصد لتتبع تحرك ابن الأشعث، وأقام الحجاج بالبصرة وتجهز ليلقى ابن محمد وتساقطت عليه

---

[1] البلاذري:أنساب الأشراف313/7الطبري :تاريخ الرسل،335/6، ابن الأثير: الكامل،489/3، النويري:نهاية الأرب،21 /143.

[2] البلاذري:أنساب الأشراف،313/7 ،الطبري: تاريخ الرسل،335/6-336، ابن الأثير: الكامل،489/3، النويري: نهاية الأرب 143/21.

[3] الطبري: تاريخ الرسل،،334/6، ابن كثير: البداية ،377/5.

[4] من بني سَدُوس بن شَيْبان بن ذُهْل بن ثعلبَة(الطبري: تاريخ الرسل، 334/6).

[5] أنظر الطبري:تاريخ الرسل،336/6،ابن الأثير: الكامل،489/3، النويري:نهاية الأرب،143/21.

[6] البلاذري: أنساب الأشراف،321/7،الطبري: تاريخ الرسل،339/6.

كتائب الجيش الأموي من قبل عبد الملك، وأخبار ابن محمد ،تصله يوم بعد يوم بأي كورة نزل، ومن أي كورة يرتحل، وأي الناس اجتمعوا إليه[1].

ورغم نصح المهلب لابن الأشعث وحذره من الفتنة وسفك دماء المسلمين،ومن تفريق الجماعة ونكث البيعة[2]،،إلاّ أنه لم يسمع للنصيحة وأصر على مواصلة المسير والقتال لتنفي ذ برنامجه السياسي، والمتمثل في إزالة حكم الحجاج عن العراق، وإسقاط البيعة عن عبد الملك.

ولتسريع تجسيد محاور البرنامج على أرض الواقع ،عَبَر عبد الرحمن وجيشه دُجَيل ثم حملوا على مطّهر بن حرّ والطائي فهزموا أنصارهم يوم الأضحى في سنة إحدى وثمانين( 700م) وقَتَلوهم قَتْلاً ذَريعًا، وأصابوا عسكرَهم، وأتت الحجاج الهزيمة ،فخرج إلى البصرة وتبعتْهُ خيولُ أهل العراق، فكلما أدركوا منهم شاذًّا قَتَلُوه، وواصل الحجاج تراجعه حتّى نزل الزاوية، ثم تخلّى عن البصرة لأهل العراق[3]، وأستغل ألأشعث ذلك لتعزيز انتصاراته وتوسيع إقليم نفوذه ، والتضييق على الأمويين وأعوانهم،ثم راح يشجع عناصر جيشه بالقتال والصمود،قائلاً:«**فاخرجوا إليهم فجاهدوهم على اسم الله عز وجل**»[4]، فخرج وتقدم ابن الأشعث بقواته على جناح السرعة نحو البصرة تحقيقاً للمحور الأول من برنامجه، للسيطرة على أحد منافذ العراق الرئيسية أمام نشوة الانتصار،وانسحاب الحجاج بقواته من هذه المدينة، بعد أن تمكن أنصار ابن الأشعث من قتل ألف وخمسمائة من أهل الشام، وانهزم الباقون،هذا ما دفع ابن الأشعث ليزداد طموحا للخلافة والسلطة، فخاطب أصحابه قائلاً:« **أما الحجاج فليس بشيء، ولكنا نريد غزو عبد الملك**»[5].

وبدخول ابن الأشعث البصرة منتصراً،أقبل سكانها وأشرافها وقراؤها على مبايعته،والانضمام إلى جيشه لقتال الحجاج ، والتحرر من سلطته ،وسلطة الشام،بإعلان خلعهم عبد الملك،« **وكان دخول عبد الرحمن البصرة في آخر ذي الحجة من سنة إحدى وثمانين**»[6]،وتسارعت الأحداث لتنقلب الأمور على ابن الأشعث وأصحابه بعد دخول سنة اثنتين وثمانين ،وأشتد القتال بين الجمعان، خاصة وأن عبد الرحمن بن الأشعث يشعر بنشوة الانتصار التي حققها على الحجاج في بداية حروبه ، مما فسح الطريق

---

(1) البلاذري: أنساب الأشراف،322/7،الطبري: تاريخ الرسل ،339/6

(2) البلاذري: أنساب الأشراف،319/7-320، الطبري: تاريخ الرسل،338/6، المنتظم:226/6،ابن كثير: البداية ،378/5.

(3) الطبري: تاريخ الرسل ،340/6.

(4) البلاذري:أنساب الأشراف،325/7.

(5) الطبري: تاريخ الرسل،341/6، المنتظم:226/6.

(6) الطبري: تاريخ الرسل،341/6، المنتظم:231/6.

نحو الشام، وبالتالي القضاء على الخلافة الأموية الظالمة والجائرة في أعين كثير من العراقيين، ويحقق بذلك ابن الأشعث مبادئ برنامجه الكبرى والأساسية التي ثار من أجلها،وما يؤكد قوة المواجهة بين الطرفين وإصرار أنصار ابن الأشعث على التفوق والانتصار،حدوث أكثر من معركة،وقد ذكرها خليفة بن خياط[1] قائلاً:«**أول وقعة كانت بينهم يوم تستر يوم النحر آخر سنة إحدى وثمانين، والوقعة الثانية بالزاوية في المحرم أول سنة اثنتين وثمانين، والوقعة الثالثة بظهر المربد في صفر يوم الأحد سنة اثنتين وثمانين**»،وانهزم ابن الأشعث بعد أن اقتتلوا بالمربد ثلاثة أيام، وتولى أمرهم عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب.ثم تراجع جيش ابن الأشعث وتبعهم الحجاج فالتقوا بدير الجماجم[2]، وكان شعار أصحاب عبد الرحمن يوم الجماجم « **يا ثارات الصلاة،لأن الحجاج ...كان يميت الصلاة ويؤخرها حتى يخرج وقتها**»[3].وبذلك استغل ابن الأشعث وأصحابه الحرب النفسية للتأثير على الحجاج وجيشه، وإضعاف سلطته وزعزعة مكانته في وسط قومه وأتباعه،وإظهار سخط العامة عليه.

كانت معركة دير الجماجم في سنة 83هـ(702م)[4]،الحد الفاصل بين الطرفين،حيث اجتمع إلى ابن الأشعث مائة ألف ممن يأخذ العطاء ومعهم مثلهم من أهل البصرة وأهل الكوفة والقراء وأهل الثغور والمسالح بدير الجماجم وتعاهدوا على حرب الحجاج لبغضه[5]،وتمكن عبد الرحمن من تحقيق أكثر من انتصار وتفوق على الحجاج، حتى كاد أن ينهي سلطته بإقليم العراق،حيث يقول خليفة بن خياط[6] «**كانت بينهم بالجماجم إحدى وثمانين وقيعة، كلها على الحجاج إلا آخر وقعة كانت على ابن الأشعث، فانهزم**».ونتيجة لهذا التفوق الذي حققه ابن الأشعث في الجماجم وأصبح يهدد الشام،ما دفع الخليفة عبد الملك بالاعتراف بسلطته والدخول في مفاوضات غير مباشر مع ابن الأشعث،حيث قال: «**إن كان يرضى أهل العراق بنزع الحجاج عنهم نزعناه، فإن عزله أيسر من حربهم ونحقن بذلك الدماء**»[7]،وعزل الحجاج هو إنقاذا للحكم الأموي من الانهيار وحفاظا على سلطة الخليفة عبد الملك، وإصلاحا لمفاسد الحجاج ،ثم راسل ابن الأشعث في الأمر وعرض ذلك على الحجاج،وأشترط شروط،

---

(1) تاريخه:ص285.

(2) المصدر نفسه:ص282.

(3) الزركلي:الأعلام،17/1.

(4) أنظر ابن عساكر: تاريخ دمشق،154/29.

(5) ابن الأثير: الكامل،495/3، محمد إبراهيم الفيومي:الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي،ص208.

(6) تاريخه:ص282،بينما ابن ثغري بردي: النجوم الزاهرة،262/1 يذكر (أربع وثمانون وقعة ... فكانت منها ثلاث وثمانون على الحجاج وواحدة له).

(7) ابن الأثير: الكامل،495/3.

بأن يعرض«**على أهل العراق عزل الحجاج، وأن يجريا عليهم أعطياتهم كما يجرى على أهل الشام، وأن يتزل عبد الرحمن بن محمد أي بلد شاء من بلد العراق، فإذا نزله كان والياً عليه ما دام حياً وعبد الملك خليفةً**»[1].

يعتبر دخول الخليفة عبد الملك بن مروان في مفاوضات مع ابن الأشعث انتصارا لهذا الأخير ، وإقرارا ببرنامجه ،وشرعية مطالبه،واعترافا بأخطاء الحجاج في معاملته لأهل العراق والموالي، وتأكيداً على فشل سياسة القبضة المتشددة من قبل الحجاج للعراق.وكان نزول هذا الكتاب كالصاعقة على الحجاج، دفعه أن يكتب للخليفة عبد الملك يحذره من مجاراة ابن الأشعث في مطالبه وبرنامجه، قائلاً« **والله لو أعطيت أهل العراق نزعي لم يلبثوا إلاَّ قليلاً حتى يخالفوك ويسيروا إليك ولا يزيدهم ذلك إلا جرأة عليك**»[2].وهذا التحذير جعل الخليفة يتريث في أمر نزع الحجاج.

ورغم التفوق الوقتي فإن ابن الأشعث زعزع وخلخل النظام الأموي في أعين الكثير ،بما في ذلك الولاة ورموز البيت الأموي،دفع بعبد الملك أن يبحث عن مخرج ومنقذ لسلطته حتى إذا أقتضى الأمر التضحية بأكبر وأشجع ولاته وبناة مجده.إلاَّ أن عبد الرحمن بن الأشعث حاول إقناع أتباعه وأصحابه بالقبول بما وصلوا إليه من تنازل في إطار البرنامج الذي رسموه في أول أمرهم، وهو طرد الحجاج عن بلادهم العراق،قائلاً:« **قد أعطيتم أمراً، انتهازكم اليوم إياه فرصة، وإنكم اليوم على النصف، فإن كان اعتدوا عليكم بيوم الزاوية فأنتم تعتدون عليهم بيوم تستر، فاقبلوا ما عرضوا عليكم، وأنتم أعزاء أقوياء لقوم هم لكم هائبون، وأنتم منتقصون، فوالله لا زلتم عليهم جُرآء وعندهم أعزاء أبداً، ما بقيتم إن أنتم قبلتم**»[3].لكن أتباع عبد الرحمن اغتروا بعددهم وانتصاراتهم، ورفضوا شروط الخليفة، فانقلبت عليهم الدائرة ،لأن الحرب خدعة.

---

[1] المصدر نفسه.

[2] المصدر نفسه

[3] ابن ألأثير:الكامل،3/495-496.

## 4-نتائج حركة ابن الأشعث

### أ-النتائج الاجتماعية

لقد نتجت عن ثورة ابن الأشعث نتائج اجتماعية عديدة،منها تمزيق وحدة بعض القبائل وتشتيت صفوفها وإضعاف عصبيتها،إضافة إلى قتل خيرة أبناء الأمة الإسلامية ، خاصة من علمائها وفقهائها وقرائها، وقد أحاط خليفة بن خياط [1] بمن قتل من قرائها مع ابن الأشعث، في وقعة دير الجماجم سنة 82هـ(701م).

وأنتقم الحجاج أشد الانتقام من المشاركين مع عبد الرحمن بن محمد، وبالغ في القتل وأسفر فيه، حيث قتل«**يوم الزاوية أحد عشر ألفا، ما استحيا منهم إلا واحدا، كان ابنه في كتاب الحجاج** »[2]، بينما هناك من بالغ أكثر في عدد قتلى الحجاج،فهذا النضر بن شمير يروي عن هشام بن حسان،أنه قال:« **بلغ ما قتل الحجاج صبرا مائة وعشرين، أو مائة وثلاثين ألفا** »[3].وقد يكون هذا العدد مبالغ فيه،رغم أن الحجاج أسرف في القتل ،و لم يحترم مكانة العلماء والفقهاء ولا الصغير ولا الكبير.وكان يخيرهم بين الكفر أو القتل« **أتشهد أنك كفرت، فإذا قال نعم بايعه وإلا قتله، فجاء رجل من خثعم فقال له: أتشهد أنك كافر؟ فقال: بئس الرجل أنا إن كنت عبدت الله عز وجل ثمانين سنة ثم أشهد على نفسي بالكفر، قال: إذاً أقتلك، قال: وإن قتلتني فوالله ما بقي من عمري ظِمْءُ حمار(أي شَيْءٌ يَسِيْرٌ)، وإني لأنتظر الموت صباحاً ومساء، فقال: اضربوا عنقه، فضربت عنقه**»[4].

وكان الحجاج يكيل بمكيالين في التعامل مع الثائرين ضده مع ابن الأشعث ،فمن أصر على موقفه الصادق المعاند للحجاج والرافض للكفر ولارتداد عن دينه قتله،بينما من صدقه ومدحه ، ورفع من هامة الحجاج ،أعف عنه وتخلى عن قتله، ومثالنا على ذلك الشعبي فقيه العراق[5]

نهاية عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث في سنة 85هـ(704م) ، واختلفوا في أسباب مهلكه، فلما انصرف ابن الأشعث من هراة راجعا إلى رُتْبيل ،ومغادرة أتباعه له ، لرفضهم الدخول معه خشية من ملاحقة الحجاج لهم، وبعد استقرار عبد الرحمن عند رُتْبيل ،راسل الحجاج هذا الأخير وهدده ووعده بضرورة تسليم له ابن الأشعث ، وإلاَّ قاتله،وتتابعت كتب الحجاج إليه ومحذرة ومنذرة في نفس الوقت لرُتْبيل بتسليم عبد الرحمن بن محمد، وبعث رُتْبيل برأس عبد الرحمن بن محمد إلى الحجاج،

---

(1) أنظرتاريخ:ص286-288.

(2) الطبري: تاريخ الرسل،381/6.

(3) الطبري: تاريخ الرسل ،381/6-382، البدء والتاريخ:40/6،وأجمع أغلب المؤرخين على أن العدد بلغ مائة ألفٍ وعشرين ألفاً(أنظر ابن عساكر:تاريخ دمشق،184/12، الذهبي: تاريخ الإسلام،323/6).

(4) المنتظم،246/6.

(5) أنظر ابن كثير: البداية ،390/5، عمر أبو النصر:عبد الملك بن مروان،ص216.

وصالحه على إعفائه من الجزية لمدة سبع سنوات [1]، لكن الروايات في قتل ابن الأشعث، تضاربت ، فهناك من يقول أنه مرض بالسل ومات،والبعض يقول ألقى بنفسه من فوق قصر فمات، بعد أن شعر بالملاحقة له،قصد الذهاب به إلى الحجاج لتنفيذ الحكم ،والتشفي به[2].

وبانتهاء ثورة عبد الرحمن بن محمد،تفرغ الحجاج ل لقضاء على الكثير من المعارضين للسيادة الأموية سواء كان هؤلاء المعارضون أفراداً عاديين أو علماء بارزين ، مثل سعيد بن جبير الذي قتله الحجاج،[3]سنة أربع وتسعين[4]، دون أدنى رحمة أو شفقة لعلمه وفقهه ، ومكانته المفضلة والمحترمة عند خاصة الأمة الإسلامية ،وقد نال الحجاج جزاءه بعد قتل ابن جبير،حيث مرض وأشتد عذابه وتألم من قتله،فلما « **حضرته الوفاة كان يغوص ثم يفيق ويقول: ما لي ولسعيد بن جبير وقيل إنه في مدة مرضه كان إذا نام رأى سعيد بن جبير آخذاً بمجامع ثوبه يقول له: يا عدو الله، فيم قتلتني فيستيقظ مذعوراً ويقول: ما لي ولسعيد بن جبير ! ويقال: إنه رئي الحجاج في النوم بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك فقال: قتلني بكل قتيل قتلته قتلة، وقتلني بسعيد ابن جبير سبعين قتلة**»[5].

**ب–النتائج الاقتصادية**

حدوث تجاوزات على ملكيات الأراضي ، بما فيها أرض الصوافي ،إذ قام أهل الكوفة بحرق سجلات ديوان الخراج لطمس نوعية الأراضي، وأدعى الكثير منهم بعد الثورة ،أن الأراضي عشرية و لم تكن خراجية[6]، الأمر الذي نتج عنه البدء بإنشاء سجلات جديدة للأراضي والمالية باللغة العربية بدلاً عن اللغة الفارسية.

تراجع مداخيل الدولة بعد توفق رُتْبيل عن دفع ما عليه من خراج للدولة الأموية، وانشغال العراق والجبهة الشرقية من الخلافة الإسلامية بحروبها ضد الحجاج.

---

[1] الطبري: تاريخ الرسل،6/389–390،وقد قيل أن مهلك ابن الأشعث ،كان في سنة أربع وثمانين(المصدر نفسه :6/393)

[2] الطبري: تاريخ الرسل،6/391.

[3] كان أجمع لهذه العلوم ،القرآن ، بالحج ، الحلال والحرام ، الطلاق ،وهوجهبذ العلماء (ابن خلكان:وفيات الأعيان،2/372، الذهبي: سير،4/341).

[4] ابن سعد:الطبقات،6/266،ابن الأثير:الكامل،4/54–55، البدء والتاريخ:6/38–39،بينما هناك من يقول سنة خمس وتسعين(ابن عساكر:تاريخ دمشق،12/199،المزي:تهذيب الكمال،21/548).

[5] ابن سعد:الطبقات،6/265،ابن خلكان: وفيات الأعيان،2/374.

[6] عبد العزيز الدوري:مقدمة في التاريخ ،ص33.

### ج- النتائج السياسية

فشل ابن الأشعث في تحقيق مبادئ برنامجه رغم وضوح مطالبه وإقرار السلطة الأموية بشرعية بعضها،نتيجة لرفض أنصاره لشروط الخليفة عبد الملك، بإيقاف القتال وتولية عبد الرحمن ولاية المنطقة التي يختارها...رغم محاولة ابن الأشعث إقناعهم على ضرورة القبول لتحقيق مطالب قتالهم للحجاج.

اهتزاز سلطة الدولة الأموية لدى عامة الناس،وتزايد الكراهية والحقد لهذه الأسرة، خاصة وأن عبد الملك أقر بشرعية مطالب ابن الأشعث ونزول عند رغبته للتخلي عن قائده المبجل -الحجاج- شريطة أن يقبل عبد الرحمن بشروط الخليفة ، إضافة إلى إقرار الخليفة برفع الظلم على أهل العراق ومساواتهم في الحقوق والواجبات مع الشاميين، وهذا يعد انتصاراً كبير لابن الأشعث.

أخذ الحجاج أهل الكوفة بالسيف،والشدة عليهم بالبيعة،بأن يبايعوا وهم كفار انتقاماً منهم لدعمهم لابن الأشعث.« **وكان لا يبايعه أحد إلا قال له: أتشهد أنك قد كفرت؟** »[1]. ومن شك فيه بأنه من اللّذين قتلوا عثمان وخلعوا الأمير، أجهز عليه بالقتل.

قيام الحجاج ببناء مدينة واسط واتخاذها مقراً لإدارته[2]،لكره الإقامة في العراق، وخشية غدرهم بعد ثورة ابن الأشعث وقتله لكبارهم، وتمزيق أوساطهم،وأدمى قلوبهم، فعمد إلى بناء هذه المدينة ،التي تتوسط بين البصرة والكوفة، وتعطي للحجاج المراقبة والسيطرة على العراق دون الإقامة فيه، و لم يسمح الحجاج لغير الشاميين الإقامة فيها[3].

ولا ننسى أن نشير إلى أن انتصار الحجاج في تلك المعركة وقضائه على تلك الحركة قد أعطاه دفعة قوية لتأكيد قدرته وكفاءته الإدارية والسياسية مما جعل الخليفة عبد الملك يوصي ولده الوليد به خيراً.إذ قال له: «**انظر الحجاج بن يوسف فأكرمه ، فإنه هو الذي وطأ لكم المنابر ، وهو سيفك يا وليد،ويدك على من ناوأك،فلا تسمعن فيه قول أحد...وأنت إليه أحوج منه إليك** »[4].

وهكذا خرج الحجاج من هذه الثورة التي كادت أن تطيح به ، وتقضي عليه منتصرا معززا مكرماً، مهاباً لدى الجميع ،مما زاد في سلطته ونفوذه في المنطقة،وعَلت سمعته ومكانته لدى الخليفة عبد الملك.

---

(1) الطبري: تاريخ الرسل،365/6.

(2) ابن الأثير: الكامل،514/3.

(3) عمر أبو النصر:عبد الملك بن مروان،ص217.

(4) المنتظم،275/6،الذهبي:تاريخ الإسلام،144/6.

## ثالثاً: ثورة يزيد بن المهلب وبرنامجها

(101- 102هـ/719 – 720م)

اشتهرت أسرة آل المهلب بخدمة السلطة الأموية والإسلام،ومقاتلة الخوارج والفتوح في بلاد فارس وطبرستان،حيث ولى أبوه خراسان ومات بمرو الروذ سنة ثلاث وثمانين في خلافة عبد الملك بن مروان واستخلف على خُرَاسَان ابنه يزيد بن المُهلب فأقرّه الحجاج بن يوسف [1].

ولد يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الازدي، سنة35هـ[2](673م)يكنى بأبي خالد أمير[3]، من القادة الشجعان الأجواد.« **وكان شريفاً جواداً بطلاً شجاعاً من جلة أمراء زمانه، ولكنه تحرك بحركةٍ ناقصة أفضت إلى استئصال شأفة أهل بيته**»[4]،وكان« **ممدّحاً كثير الغزو والفتوح**»[5]، وأجمع علماء التاريخ على أنه لم يكن في دولة بني أمية أكرم من بني المهلب،يكثرون الإحسان إلى الناس[6]وكان لهم في الشجاعة أيضاً مواقف مشهورة [7].

أهتم يزيد وأبناؤه بالمظاهر التي تعكس مكانتهم وسمعتهم،حيث « **قال يزيد بن المهلب لابنه مخلد يا بني استقر الكاتب واستحدّ الحاجب فإنّ كاتب الرجل لسانه وحاجبه وجهه**»[8]، ولما ولاه ولاية جرجان أوصاه قائلا:« **استطرق كاتبك واستعطر حاجبك**»[9].وبذلك اهتم المهالبة بالانضباط والحيطة في تسيير شؤون إدارتهم وأقاليمهم،ويروي الطبري [10]بعض مواقف يزيد أثناء طلب العفو من الوليد بن عبد الملك،حيث قال:« **يا أمير المؤمنين إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء، فمن ينسى ذلك فلسنا ناسيه، ومن يكفر فلسنا كافريه، وقد كان من بلائنا أهل البيت في طاعتكم والطعن في أعين أعدائكم في المواطن العظام في المشارق والمغارب ما إن المنة علينا فيها عظيمة**».

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق،284/61،ابن الأثير:الكامل،499/3،498.

(2) بينما الذهبي يذكر انه ولد سنة 53هـ(مولده زمن معاوية سنة ثلاث وخمسين)،سيره:503/4.

(3) الذهبي:سير،503/4.

(4) الذهبي: تاريخه،283/7،الزركي:الأعلام،189/8.

(5) الذهبي:العبر،93/1.

(6) ابن خلكان: وفيات الأعيان،109/4.

(7) أنظر ابن الفداء: المختصر في أخبار البشر،251/1،ابن خلكان: وفيات الأعيان،283/6.

(8) ابن عساكر:تاريخ دمشق،166/57.

(9) المصدر نفسه:166/57

(10) تاريخ الرسل: 452/6.

وبعد وفاة المهلب سنة اثنتين وثمانين استخلف ابنه يزيد. وفيها ولاه الحجاج بن يوسف على خراسان بعد موت أبيه[1] وهناك من يقول سنة 83 هـ/702م[2]،وفي سنة 98هـ /717م «**افتتح يزيد بن المهلب بن أبي صفرة جرجان**»[3]،ترسيخا للإسلام وخدمة للنظام الأموي.

## 1-أسباب الثورة

### أ-رفض الظلم وسياسة الإقصاء

تعود أسباب الخلاف الرئيسية بين الحجاج ويزيد إلى تباطئي يزيد في إرسال الغنائم للحجاج ، وما يؤكد ذلك الكتب والمراسلات فيما بينهم ،حيث رفض يزيد غزو خوارزم، لأنها قليلة السلب.فرد عليه الحجاج استخلف وأقدم. لكن يزيد رد عليه بغزوها . فغزاها و لم يطعه، وأصاب سبياً،وهلك ذلك السبي بعد البرد القارص، ثم قدم على الحجاج متباطئا، فكان لا يمر بمنطقة إلا أغدق عليها الأموال والهدايا [4]، لكسب أهلها ،حتى إذا ثار على الحجاج وجدهم سندا له.وبذلك فإن التجاوزات الإدارية والمالية التي قام بها يزيد بن المهلب في جمع الأموال وإنفاقها في غير صالحها بدلاً من إرسالها إلى خزينة الدولة ،ولدت النفور من قبل الحجاج،وأصبح يبغض يزيد والمهالبة ،رغم المصاهرة بينهما ،حيث يقول الذهبي[5]:« **وكان الحجاج مزوجا بأخته، وكان يدعو: اللَّهم إن كان آل المهلب برآء، فلا تسلطني عليهم، ونجهم**»،بيما يعيد البعض أسباب الخلاف إلى تزايد نفوذه، وتعاظم أتباعه وأنصاره، لذا كان يقصده بالمكروه في كل وقت حتى لا يثورعليه، ، فلم يجد لذلك سبباً لعزله ،مما جعله يختلق ذرائع بالتجسس والتحرش عليه،ثم كتب إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك يذم يزيد وآل المهلب، ويخوفه غدرهم وتطاولهم،وأنهم زبيرية،وخاصة وأن الحجاج تمكن من القضاء على ثورة ابن الأشعث وأذل أهل العراق كلهم إلاّ آل المهلب ومن معهم بخراسان، لذلك تخوف أن يتحرك نحو العراق، وكان يبعث إليه ليأتيه فيعتذر بالعدول والحروب، فكتب الحجاج إلى عبد الملك يشير عليه بعزل يزيد ويتهمه بطاعته لآل الزبير [6].

ونتيجة لذلك خشيّ الحجاج أن يتقوى يزيد ومعه عصبيته اليمنية ،ويكثر أتباعه ، وترسخ قدمه في إقليم خراسان وتنمو معارضته، فينتفض على الحجاج والسلطة الأموية مثلما فعل ابن الأشعث،

---

(1) الطبري: تاريخ الرسل،355/6، المنتظم:234/6.

(2) الزركلي: الأعلام،189/8.

(3) الذهبي: العبر،87/1.

(4) أنظر الطبري: تاريخ الرسل ،392/6-396،ابن الأثير: الكامل،522/3، النويري: نهاية الأرب،263/21-265،ابن خلدون: العبر،69/3.

(5) سير:503/4.

(6) أنظر الطبري: تاريخ الرسل،396/6-397،ابن الأثير: الكامل،521/3،ابن خلدون:العبر،69/3.

فاستدعاه ،حيث يقول ابن خلكان [1]:« **فلما أذن عبد الملك للحجاج في عزل يزيد كره أن يكتب بعزله فكتب إليه أن استخلف أخاك المفضل وأقبل**»، وكان ذلك سنة 85هـ[2] (704م)،ثم عزل الحجاج المفضل وولى قتيبة بن مسلم الباهلي الذي كان على الرَّي« **وكتب إليه أن يستوثق من المفضل وبني أبيه، ويشخصهم إليه، فسار قتيبة من الري حتى قدم مرو، فأخذ المفضل بن المهلب وسائر ولد المهلب، فأشخصهم إلى الحجاج، فحبسهم وطالبهم بستة آلاف ألف**»[3]، ويقول البلاذري [4]:فلما تَوافى عنده: يزيد، وأخوته حبسهم ،وحبس أبا عيينة بن المهلب، واتهمه باحتياز الأموال ،ثم عذب الحجاج يزيد أشد العذاب، ويقول المقدسي [5]:«**فقبض الحجاج على يزيد و أكب عليه يعذبه و ينتهب ماله**»،لكن يزيد هرب متخفياً إلى الشام يريد سليمان بن عبد الملك بفلسطين،مع أفراد أهله [6]، ويقول ابن تغري بردي[7]:« **هرب يزيد بن المهلب وإخوته من حبس الحجاج إلى الشأم**»،فلما أدرك الحجاج ذلك اشتد غيضاً ، وكتب يحذر عماله لأنه كان يخشى أن يقدم خراسان . ويحدث نفسه بمثل الذي صنع ابن الأشعث [8]،وما يثبت ذلك الحوار مع موسى بن نصير لما ضمه إليه وافتداه بألف ألف دينار وأبعده من عذاب الخليفة سليمان ، وأشار إلى عدد أهله ومواليه الذين كانوا كثر، فقال له يزيد: وأنت على هذا وتُلْقي بيدك إلى التَّهْلُكة، أفلا بعثت بالتّقادُم،وحافظت على عزك«**قال: لو أردتُ ذلك لصار، ولكنّي آثرتُ اللهَ ولم أر الخروج، قال يزيد: كلّنا ذلك الرجل، أراد بذلك قدومه هو على الحَجَّاج** »[9].

وبعد وفاة الوليد وتولي سليمان بن عبد الملك الخلافة،عزل يزيد بن أبي مسلم على العراق سنة 96هـ/715م، وجمع ليزيد بن المهلب العراقيين سنة سبع وتسعين [10]،«**وجعل صالح بن عبد الرحمن على الخراج وأمره بقتل بني عقيل وبسط العذاب عليهم، وهم أهل الحجاج، فكان يعذبهم ويلي**

---

(1) وفيات الأعيان،290/6.

(2) هناك من يقول أن العزل كان في سنة 86هـ(تغري بردي: النجوم الزاهرة،174/1 ).

(3) تاريخ اليعقوبي:285/2.

(4) أنساب الأشراف:281/8.

(5) البدء والتاريخ:37/6.

(6) تاريخ اليعقوبي 288/2، الطبري: تاريخ الرسل،452/6، المنتظم:295/6-296، ابن خلدون:العبر،81/3 ،ابن الأثير: الكامل،25/4-26،

(7) النجوم الزاهرة:292/1.

(8) ابن خلكان: وفيات الأعيان،292/6.

(9) الذهبي: تاريخ الإسلام،488/6.

(10) المنتظم:18/7، ابن خلكان: وفيات الأعيان،295/6.

**عذابهم عبد الملك بن المهلب**»[1]،إضافة إلى قيام يزيد بن المهلب بنقل خزائن الحجاج بن يوسف وعياله إلى ماله والموجودة بالبلقاء من عمل دمشق[2].أما سَبَبُ إسراف الخليفة سليمان في أمر تعذيب بني عقيل،يعود إلى وقوف الحجاج إلى جانب الوليد بن عبد الملك ونصحه على خلع أخاه سليمان ،ويبايع لولده عبد العزيز،هذا ما دفع الخليفة سليمان أن يولي أمر تعذيبهم ليزيد بن المهلب ،الذي عانى هو الأخر من سياسة الإقصاء لسوء عمله ،والتي مارسها الحجاج ضده،لذلك اعتبر ما يقوم به من تعذيب لأهل الحجاج حق رد الاعتبار.

وبوصول سليمان بن عبد الملك إلى الخلافة، أستعاد بنو المهلب مكانتهم السياسية والإدارية والاجتماعية، وارتقى يزيد إلى إدارة إقليم العراق في سنة 96هـ(715م)،حيث ولاه سليمان على العراق،ودعمه بسفيان بن عبد الله الكندي على البصرة [3]،لكن يزيد بن المهلب رفض إدارة إقليم العراق،وقال في أمر نفسه:«**إن العراق قد أخربها الحجاج، وأنا اليوم رجاء أهل العراق، ومتى قدمتها وأخذت الناس بالخراج وعذبتهم عليه صرت مثل الحجاج أدخل على الناس الحرب، وأعيد عليهم تلك السجون التي قد عافاهم الله منها،ومتى لم آت سليمان بمثل ما جاء به الحجاج لم يقبل مني** »[4]، وهذا الموقف من يزيد تهربا من العراق نحو خراسان حتى يكون بعيد عن أعين السلطة،ويكون أقرب من عصبيته،أو نتيجة لتضييق صالح بن عبد الرحمن عليه، فليس يصل معه إلى شيء من الأموال ، فدعا يزيد عبد الله بن الأهتم أن يتوسط له عند سليمان ليوليه أمر خراسان، فكتب الخليفة عهد يزيد بن المهلب على خراسان[5].وقد يكون سبب رفضه لولاية العراق حتى يكون في معزل عن أي متابعة ومراقبة من قبل سلطة الشام،ثم سار يزيد إلى خراسان وغزا جرجان وطبرستان ودهستان وفتحها في سنة ثمان وتسعين. وقتل من أصحابه في حصار بعض قلاع جرجان خمسة آلاف رجل[6]، وقرب يزيد أهل الشام وقَوْماً من خراسان[7].حتى يثبت للخليفة مكانته ودوره في خدمة بني أمية،ويُطْمس انجازات قتيبة.

---

(1) تاريخ اليعقوبي:،2/294-295،الطبري: تاريخ الرسل،6/506، المنتظم:7/18،ابن الأثير: الكامل،4/72، ابن خلكان: وفيات الأعيان،6/295، ابن خلدون: العبر،3/86.

(2) البلاذري:انساب الأشراف،8/287.

(3) المنتظم:7/20،ابن الأثير: الكامل،4/79، ابن كثير:البداية ،5/502،ابن تغري:النجوم الزاهرة، 1/299.

(4) الطبري:تاريخ الرسل،6/523، المنتظم:7/24،وعند ابن خلكان:وفيات الأعيان،6/296-297(يذكر الشجون).

(5) أنظر ابن خلكان:وفيات الأعيان،6/297-298.

(6) أنظر تاريخ اليعقوبي:2/296،ابن الأثير: الكامل،4/87-92، ابن خلكان:وفيات الأعيان:6/298-299،ابن خلدون:العبر،3/91-92.

(7) الطبري: تاريخ الرسل،6/393، ابن عساكر: تاريخ دمشق،62/320،ابن الأثير:الكامل،4/83، ابن خلدون: العبر، 3/88.

وقد أصاب يزيد أموالاً كثيرة في فتوحاته ،وكتب إلى سليمان بن عبد الملك، «**إني باعث إليك بقطران عليها الأموال والهدايا يكون أولها عندك وآخرها عندي**»[1]،ويذكر البلاذري[2] المبلغ الذي غنمه بعد أداء كامل الحقوق هو ستة آلاف ألف درهم، ويقال أربعة آلاف ألف درهم، أما في كتاب فتوح البلدان[3] فذكر مبلغ هذه الأموال في الفصل المتضمن حديث جرجان وطبرستان، إن معه خمسة وعشرين ألف ألف درهم.

إلاَّ أن موت سليمان بن عبد الملك ، وقيام الخليفة عمر بن عبد العزيز بعزل يزيد بن المهلب عن العراق ، وتولية مكانه عدي بن أرطأة الفزاري سنة 99هـ[4](718م)،أثر على طموحات ونوايا يزيد ابن المهلب، مما جعله يفكر في الثورة على النظام الأموية الذي أقصاه من عمله.وبعد قدوم يزيد من خراسان، قبض عليه عدي بن أرطأة وبعث به إلى عمر بن عبد العزيز، فسجنه[5]، وأتهمه بجمع مال كثير وعدم إرساله لخزينة الدولة ، لكن ردُه على الخليفة عمر بن عبد العزيز:إنما كتبت إلى سليمان لأسمع الناس به، لأن سليمان لا يأخذني في شيء ولا يعذبني [6]،وبذلك استغل يزيد هذه العلاقة الطيبة مع الخليفة لجمع المال العام وإنفاقه على أهله ومقربيه خدمة لمصالحه، ورفض تأدية شيئا منه إلى الخليفة عمر مما دفع الخليفة أن يحاسبه ،حيث« **ألبسه جبة صوف وحمله على جمل وقال: سيروا به إلى دهلك**»[7]، وهي طريق لتعذيب وردع فساق الدولة،وحاول البعض أن يقنع الخليفة بالعدول عن أمره ويُرْدد يزيد إلى محبسه خشية أن يترعه قومه، الذين غضبوا وتعصبوا له[8]. وقد كان الخليفة عمر يبغض يزيد وأهل بيته،ويقول: هؤلاء جبابرة ولا أحب أمثالهم، مثلما كان يزيد يبغض عمر،ويقول: إني لأظنه مرائياً[9].

---

(1) ابن عساكر: تاريخ دمشق،168/57،ابن خلكان: وفيات الأعيان،286/6.

(2) أنظر أنساب الأشراف:290/8.

(3) أنظر البلاذري:ص471،ابن خلكان: وفيات الأعيان،299/6.

(4) ابن الأثير:الكامل،102/4-105،ابن خلكان: وفيات الأعيان،299/6.

(5) ابن خياط: تاريخه،ص320،ابن قتيبة: المعارف،ص400، الطبري:تاريخ الرسل،448/6 ، الذهبي:تاريخ الإسلام، 273/6،ابن خلدون:العبر،94/3،ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،307/1.

(6) ابن الأثير:الكامل،105/4،ابن خلكان:وفيات الأعيان،299/6، ابن خلدون:العبر،95/3.

(7) ابن الأثير: الكامل،105/5.

(8) الطبري:تاريخ الرسل،558/6،ابن الأثير:الكامل،105/4.

(9) ابن الأثير:الكامل،105/4،ابن خلكان:وفيات الأعيان،299/6، ابن خلدون:العبر،95/3.

ورغم وساطة ابنه مخلد لدى عمر بن عبد العزيز، ومحاولة إقناعه لإخراجه من محبسه وتحمل مطالبه المالية لخزينة الدولة إلاً أن الخليفة عمر أصر على بقائه في سجنه[1]،حتى دفع مابفي على ذمته.

وأمام تشدد السلطة الأموية في متابعة يزيد بن المهلب وإذلاله والإنقاص من مكانته وسمعته، وإقصاء أهله،وعزله أكثر من مرة، ومطالبته بالمستحقات المالية العائدة لخزينة الدولة،دون مراعاة لأدنى خدماته وانجازاته العسكرية للدولة،دفعته للثورة على سلطة دمشق، رغم أن عهد الخليفة سليمان بالنسبة للمهالبة وعامة المسلمين مفتاح خبر، أذهب عنهم الحجاج وولي سليمان فأطلق الأسرى وأخلى السجون وأحسن إلى الناس واستخلف عمر بن عبد العزيز [2].

**ب- الخشية من تعذيب الخليفة يزيد بن عبد الملك له**

استمر يزيد بن المهلب في حبسه إلى أن مرض عمر في سنة 101هـ(719م)، فخاف يزيد على حياته من يزيد بن عبد الملك بن مروان أن يلي أمر الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز، لأن يزيد بن المهلب لما ولي العراق عذب آل أبي عقيل، - وهم رهط الحجاج كما سبق ذكره - «**وكانت أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل عند يزيد بن عبد الملك، وهي أم الوليد بن يزيد فاسق بني أمية، وهي بنت أخي الحجاج، وكان يزيد بن عبد الملك قد عاهدها لئن أمكنه الله من يزيد بن المهلب ليقطعن منه طابقاً**»[3]، ما جعله يعمل في المهرب، فأعد له أهله إبلاً، وبعد اشتداد مرض عمر، نزل يزيد من محبسه وخرج إلى المكان الذي فيه إبله، ثم كتب إلى عمر: إني والله لو علمت أنك تبقى ما خرجت من محبسي، ولكني لم آمن يزيد بن عبد الملك[4] «**فقال عمر: اللهم إن كان يريد بهذه الأمة شراً فاكفهم شره واردد كيده في نحره**» [5]،ووجه عمر في أثر يزيد رسلاً لكنه سبقهم وفاتهم[6]،وكان هروب يزيد من محبسه تحديا للسلطة الأموية وللمرة الثانية،ما يؤكد إدراكه لنقاط الضعف في الجهاز الأمني للدولة ،وانتشار عيونه وأتباعه في أجهزة السلطة النافذة، ودور قبيلته اليمنية،وقيامه برشوة حراسه حيث دس إلى عامل حلب مالاً وإلى الحراس، وأمرهم بالإفراج عنه قبل

---

(1) البلاذري: أنساب الأشراف،293/8،ابن الأثير:الكامل،105/4.

(2) ابن الأثير:الكامل،94/4.

(3) ابن خلكان:وفيات الأعيان،301/6،ابن خلدون:العبر،96/3-97.

(4) ابن خلكان:وفيات الأعيان،301/6، المنتظم:64/7،ابن خلدون:العبر،96/3-97.

(5) ابن خلكان:وفيات الأعيان،300/6-301، المنتظم:64/7،ابن خلدون: العبر،96/3-97.

(6) تاريخ اليعقوبي:308/2.

تولي يزيد بن عبد الملك الخلافة ويقتله شرّ قتلة [1]،وبعد مبايعة يزيد بالخلافة ، لم يكن همه إلاّ يزيد بن المهلب.

وما نصل إليه أن السبب المباشر الذي أشعل نار الفتنة والثورة التي قام بها يزيد بن المهلب ضد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، حسب اعتقادي هو سياسة الانتقام التي انتهجها يزيد بن المهلب ضد آل أبي عقيل أصهار يزيد بن عبد الملك يوم أن كان واليا للخليفة سليمان كما ذكرنا سابقا، هذا ما دفع يزيد ابن المهلب لإعلان الثورة على الخليفة يزيد بن عبد الملك سنة 101هـ(719م)، حتى لا يترك فرصة الثأر منه.

## 2-برنامج الثورة

لم يفكر يزيد بن المهلب في الثورة،و لم يخطط لها مسبقا ،لكونه كان من العمال المخلصين للسلطة، وينتمي لأسرة قدمت خدمات جليلة للخلافة الأموية،لهذا ثورته كانت مفاجئة ،وبرنامجها غير واضح المعالم والمحاور، ورغم ذلك يمكن استخلاص بعض جوانبه من مواقفه السياسية المعارضة للسلطة والخليفة يزيد بن عبد الملك بصفة خاصة ومواقف أنصاره وقادة جيشه من السياسة الأموية بصفة عامة، ويمكن تقسيم محتوى البرنامج إلى النقاط التالية:

### أ- رفض سيرة الحجاج وخلع الخليفة يزيد وجهاد بني أمية

كانت بيعة يزيد بن المهلب على كتاب الله وسنة نبيهﷺ،وعلى ألا تطأ جنود الشام أرض العراق «**ولا بيضتنا، ولا يعاد علينا سيرة الفاسق الحجاج**»[2]،وهو كشرط أساسي لقبول البيعة، وإلاّ كان الجهاد لمن عارض ذلك حتى يستكين لسلطة يزيد،ويعتبر هذا الشرط المحور الأساسي الذي اعتمده ابن المهلب في برنامجه،وعمل بقوة السلاح على تنفيذه وتطبيقه على أرض العراق ولو لفترة قصيرة،حتى يثبت لإتباعه وعناصر جيشه،صدق محكه وهدفه.

### ب-خلع الخليفة يزيد بن عبد الملك

وعندما فر يزيد بن المهلب من حبسه نحو البصرة،وجمع قواه،طالب بخلع يزيد بن عبد الملك من الخلافة والخروج عن طاعته [3]،ردا على تشدد الخليفة ضده.و لم يكتف عند هذا الحد ،بل دعا إلى نفسه، وتسمى بالقحطانيّ، وأختار الرايات السوداء كشعار للتعبير عن خروجه عن سلطة يزيد،ثم دعا إلى سيرة

---

[1] البلاذري: انساب الأشراف،294/8.

[2] الطبري:تاريخ الرسل،592/6.

[3] ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة،314/1.

عمر بن الخطاب [1]،وهذا من أجل كسب الشرعية الدينية والسياسية وإجماع الناس حوله ضد بني أمية،خاصة وان سياسة ابن الخطاب هي السياسة المفضلة لدى كثير من المعارضين للبيت الأموي لما امتازت به من عدل وإنصاف بين الحاكم والمحكوم،وقد أكد على ذلك أثناء خروجه على عدي بن أرطأة،حيث خاطب أتباعه وأنصاره،قائلاً: « **يا أيها الناس إنا غضبنا لكم فانظروا لأنفسكم رجلاً يحكم فيكم بالعدل، ويقسم فيكم بالسوية...ويسير بسيرة الخلفاء الراشدين**»[2]. ومن كلامه هذا حاول ابن المهلب أن يعطي لثورته الطابع الشعبي ،بدلاً من ثورة المطالب الشخصية ،حتى ينال رضا الناس من خروجه على السلطة،إضافة إلى التعبير عن غضبه لعامة الناس، وما عانوه من اضطهاد وجور وظلم من بني أمية، وعلى الكل أن يقتنع باختيار من يتولى أمر حكمهم بالعدل، حتى يفوت فرصة من اتهامه بالتفرد بالقرار وإعلان الثورة ،ويشرك الكل في مبايعته ضد بني أمية، وبذلك تكون له شرعية قتال الخليفة يزيد وأعوانه من النظام الفاسد،لكن ذلك لم يجده لترف الناس عليه،بعد أن تخلى أهالي البصرة ، ورفض الحسن البصري لمطالبه وثورته،حيث يقول:« **هذا عدو الله يزيد بن المهلب، كلما نعق بهم ناعق اتبعوه**»[3]،دلالة على رفضه لقتال الناس إلى جانبه.

### ج–جهاد بني أمية

وكان يرى بأن جهاده للسلطة الأموية وعلى رأسها الخليفة يزيد شرعي، ومحق في ذلك، وهو أكثر أهمية من جهاد الكفار وأهل الذمة،ويروي الطبري[4] في ذلك قائلاً:«**وأن جهاد أهل الشأم أعظم ثوابا من جهاد الترك والديلم**»،وقد يكون هذا الموقف المتعصب لابن المهلب ناتج عن تلك المعاملة المذلة له ولأهله، وسياسة الإبعاد التي تعرض لها أيام الحجاج والخليفة عمر بن عبد العزيز ،هذا ما دفعه بالثورة خالعا يزيد بن عبد الملك [5] ،وخشية من امتداد خطر الثورة إلى الشام، والتأثير على سلطة الخليفة،تحرك يزيد بن عبد الملك لتهدئة الأمر وتفويت الفرصة عن برنامج ابن المهلب، وأهدافه السياسية،بإرسال الأمان إلى يزيد بن المهلب ،رغم أنه جاء متأخراً[6]، بعد أن خرج يزيد بن المهلب على الخليفة يزيد معلناً الثورة عليه وعلى ولاته بالبصرة والعراق ،حاثا الناس على الجهاد [7] لبني أمية

---

(1) الذهبي:سير،4/5،507/53،والعبر:93/1،وتاريخه:163/7.

(2) البلاذري:أنساب الأشراف،308/8.

(3) الذهبي::سير،506/4.

(4) تاريخ الرسل:587/6، المنتظم:68/7، ابن الأثير:الكامل،127/4، ابن خلدون:العبر،98/3.

(5) الزركلي: الأعلام،181/8.

(6) أنظر المنتظم:68/7،ابن خلدون:العبر،98/3

(7) الطبري: تاريخ الرسل،587/6.

بالشام،ودعا إلى التبرئة منهم[1]،لخروجهم عن كتاب الله،« **وإن هؤلاء القوم لن يردهم عن غيهم إلا الطعن في عيونهم، والضرب بالمشرفية على هامهم... والله لو جاء أهل الأرض جميعاً وليس إلا أنا، ما برحت العرصة حتى تكون لي أو لهم** »[2]، ويعتبر هذا الموقف المتشدد في قتال بني أمية ،وتحريض الناس على ذلك من قبل يزيد بن الهلب تجسيدا لبرنامجه وطموحاته. دلالة على حب الانتقام والثأر لشرفه وشرف أهله لما ناله من تهويل وتعذيب،دون مراعاة للنتائج والعواقب. و لم يكتف يزيد بن المهلب بالتلاعب بالعواطف والمواقف المتأججة ضد تسلط بني أمية من أجل تمرير مبادئ برنامجه المعادي للخليفة يزيد،بل راح يستغل العاطفة لآل البيت لتجييش الجيوش وكسب الأنصار والأتباع للتصدي لقوات يزيد،فهذا المؤرخ الكبير البلاذري[3] يقول:«**لما كان يوم الفطر خرج يزيد بن المهلب إلى المصلى فخلع يزيد بن عبد الملك، وشتم بني مروان، ودعا إلى الرضا من بني هاشم، وذكر عبد الحميد بن عبد الرحمن فقال: وهذه الضبعة العرجاء مضطجعاً بالكوفة**».وهذا الخطاب من يزيد هدفه إعطاء لحركته بعداً روحياً ودينياً لكسب أهل العراق إلى صفه وتسويف أمر الانتصار عن الخليفة يزيد.

**د- الدعوة إلى كتاب الله وسنة نبيه**

عندما التقى يزيد بالقوة الأموية،قام أنصاره بدعوتهم إلى كتاب الله وسنة نبيهﷺ، وتظاهروا بالقبول، لكن يزيد بن المهلب لم يقبل منهم، وقال :«**ويحكم ! أتصدقون بني أمية! أنهم يعملون بالكتاب والسنة، وقد ضيعوا ذلك منذ كانوا! إنهم يقولون لكم: إنا نقبل منكم، وهم يريدون ألا يعملوا بسلطانهم إلا ما تأمرونهم به، وتدعونهم إليه؛ لكنهم أرادوا أن يكفوكم عنهم؛ حتى يعملوا في المكر، فلا يسبقوكم إلى تلك، إبدءوهم بها، إني قد لقيت بني مروان فو الله ما لقيت رجلا هو أمكر ولا أبعد غوراً من هذه الجرادة الصفراء، يعني مسلمة** »[4]،وهذا تعبير عن حقيقة معايشته لبعض خلفاء بني أمية من عبد الملك حتى عهد الخليفة يزيد، وما امتاز عهدهم من تظلم وتشدد ضد الرعية، وإهدارهم لحقوق ومصالح بعض عمالهم،مما جعل الكل يشك في نواياهم ومصداقيتهم ،وفي أبسط تصرفاتهم.

وهذا الرد تأكيداً على الحقد الدفين الذي يكنه ابن المهلب للخليفة يزيد ،خاصة وأنه كان خادما لبني أمية ،وعايش كثير من الثورات منها ثورة ابن الأشعث، واخمد كثير منها لذلك استهجن هذا

---

(1) ابن سعد: الطبقات(الجزء المتمم)،462/1،الطبري: تاريخ الرسل،587/6،ابن الجوزي: المنتظم،65/7، ابن الأثير: الكامل،127/4،ابن حجر:تهذيب التهذيب،148/7. البدء والتاريخ:47/6.

(2) الطبري:تاريخ الرسل،592/6.

(3) أنساب الأشراف:310/8.

(4) الطبري:تاريخ الرسل،503/6،ابن الأثير:الكامل،130/4-131، المنتظم:79/7،ابن خلدون:العبر،98/3-99.

الموقف المتنكر له ولأهله،لذلك نجد حتى القراء الذين خرجوا مع ابن المهلب سخطوا على بني أمية، فهذا النضر بن أنس ابن مالك يقول: «**يا عباد الله، ما تنقمون من أن تجيبوا إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم**»[1]، وهو يتهم بني أمية بمفارقة الكتاب والسنة، مع استثنائه لعمر بن عبد العزيز، وحتى الحسن بن أبي الحسن البصري الذي كثيراً ما هاجم يزيد بن المهلب على أفعاله وثورته،نجده ينتقد سياسة بني أمية ويتهجم على خلفائها،بعد أن شكك البعض في موقفه من بني أمية،قائلاً له:« **والله لكأنك يا أبا سعيد راض عن أهل الشام، فقال: أنا راض عن أهل الشام قبحهم الله وبرحهم! أليس هم الذين أحلوا حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقتلون أهله ثلاثة أيام وثلاث ليال! قد أباحوهم لأنباطهم وأقباطهم، يحملون الحرائر ذوات الدّين، لا يتناهون عن انتهاك حرمة ثم خرجوا إلى بيت الله الحرام، فهدموا الكعبة، وأوقدوا النيران بين أحجارها**»[2].

وهكذا كان الإجماع على بنود برنامج يزيد بن المهلب لأغلب أنصاره الذين خرجوا معه لقتال يزيد بن الوليد وأذياله من النظام الأموي،مما زاد في تأجج المعارضين الساخطين على الظلم والتجبر للسلطة السياسية والإدارية،في تسيير الأقاليم ومعاملة الرعية من المسلمين.

## 3- سير تنفيذ البرنامج

بعد خروج المهلب طلب أصحابه أن يختار خراسان وبلاد الجبال لقتال بني أمية لكنه رفض رأيهم وأقر على رأيه،حيث قالوا له :« **نرى أن تخرج وتنزل بفارس، فتأخذ بالشعاب وبالعقاب ، وتدنوا من خراسان**»[3]،أين يوجد المقاتلين الأشداء الأقوياء، والعدد الكثير، والحصن المنيع ،لكن أصر على قراره.

في سنة101هـ(719م) خرج يزيد بن المهلب على الخليفة يزيد بعد أن هرب من حبس عمر ابن عبد العزيز، فكتب الخليفة إلى عبد الحميد ابن عبد الرحمن وإلى عدي بن أرطاة ليتحرز من يزيد ، وأمر عدياً أن يأخذ من بالبصرة من أهل المهلب وحبسهم، وأقبل يزيد نحو القُطِقُطَانَةُ[4]،ثم مضى نحو البصرة لقتال عدي بن أرطاة الذي جمع أهل البصرة وخندق عليها، ووجه خيل البصرة أبي عقيل الثقفي على خيل البصرة لمنع ابن المهلب من دخول المدينة، لكن القوم تنحوا عن طريق ابن المهلب حتى نزل داره، فاختلف الناس إليه،وفاوض عدي أن يفرج عن إخوته ويصالحه على ولاية البصرة حتى ينتقم من يزيد بن عبد الملك،إلاّ أن عدي لم يقبل منه،مما جعل يزيد بن المهلب يطلب الأمان من الخليفة

---

(1) الطبري: تاريخ الرسل،587/6.

(2) الطبري: تاريخ الرسل،588/6، المنتظم:68/7،وعند ابن الأثير:الكامل،128/4(... يقتلون أهله ثلاثاً؟ قد أباحوها).

(3) الطبري:تاريخ الرسل،588/6.

(4) موضع بقرب الكوفة(أنظر معجم البلدان:374/4).

ولأهله،قصد التفرغ لعدي وتأمين سلامة أهله،ثم أغرى الناس بالعطايا لاستمالتهم إلى صفه، وفي ذلك يقول المسعودي[1]:«**وحشدت له الأزد وأحلافها، وانحاز إليه أهله وخاصته، وعظم أمره، واشتدت شَوْكته**»،واستحوذ على البصرة، بعد أن حاصرها طويلاً، مع شدة القتال، ثم بسط العدل في أهلها، وبذل الأموال[2]،حتى يظهر للناس مدى حسن المعاملة والصدق في النوايا والبرنامج الذي ضبطه وقاتل من أجل تحقيقه.

وهكذا بداء يزيد يحقق محوراً من برنامجه وهو البيعة والإجماع على قتال يزيد وولاته،وما زاد في صموده وقوة مطلبه،انتصاره السريع على بني عمرو بن تميم أصحاب عدي عندما نزلوا المربد على يد مولى يزيد يقال له دارس، ثم خرج ابن المهلب حتى نزل جبانة بني يشكر، واقتتل مع الشاميين،وتبعهم حتى دنا من القصر، فخرج إليهم عدي بنفسه، الذي انهزم شر هزيمة، فوجد يزيد الطريق مفتوحا نحو القصر لإخراج إخوته من حبس عدي ،بعد أن حبس هذا الأخير رداً على ما قام به ضد أهله وإخوته،ثم هرب رؤوس أهل البصرة من تميم وقيس ومالك بن المنذر فلحقوا بالكوفة، ولحق بعضهم بالشام، مما دفع يزيد بن عبد الملك أن يرسل شيئاً إلى أهل الكوفة ويمنيهم الزيادة، لكسب صفهم ووقوفهم ضد ابن المهلب.

وبهذا الانتصار السريع ليزيد وسجنه لعدي بن أرطأة كما سجن أهله الذين كانوا بالبصرة، أستقر له الأمر على هذه البلدة ،ثم أرسل عماله في سنة 102هـ على الأقاليم تجسيداً لبرنامجه على أرض الواقع ،حيث يذكر البلاذري [3]عماله ،قائلاً::«**وولى شرطته عثمان بن أبي الحكم الهنائي من الأزد، واستعمل محمد بن المهلب على فارس، وهلال بن عياض الهنائي على الأهواز، وزياد بن المهلب على عُمان، والمهلب بن أبي عيينة على جزيرة ابن كاوان، والأشعث بن عبد الله بن الجارود أو مُهْزِم بن القِرْن العَبْدي على البحرين، وولى مُدْرك بن المهلب خراسان، وولى وداع بن حميد اليحمدي من الأزد قندابيل**»، فلما بلغ خبر هذا الانتصار الخليفة يزيد بن عبد الملك جهز ابن أخيه العباس بن الوليد و أخاه مسلمة بن عبد الملك في سبعين ألف مقاتل من أهل الشام والجزيرة، والبعض قال كانوا ثمانين ألفاً، فساروا لقتال يزيد بالعراق [4].فاقتتلوا قتلاً عنيفاً،فحمل عليهم أصحاب عبد الملك

---

[1] مروج:210/3.

[2] ابن كثير:البداية،544/5.

[3] أنساب الأشراف:310/8.

[4] أنظر ابن ألأثير: الكامل،124/4-126،ابن خلدون: العبر،97/3-98.مع الاختلاف الجزئي.

حملة كشوفهم فيها،ثم تراجع الشامين،ووضعوا العيون والمراصد على الكوفة لمنع قوات يزيد من دخولها[1].

وبعد تقاطر الناس على يزيد بن المهلب،قام خطيباً فيهم يشجعهم على القتال ، ويضعف هيبة بني أمية في نفوسهم،قائلاً:« **... قد ذكر لي أن هذه الجرادة الصفراء – يعني مسلمة بن عبد الملك – وعاقر ناقة صالح**[2] **– يعني العباس بن الوليد، وكان العباس أزرق أحمر وكانت أمه رومية – والله لقد كان سليمان أراد أن ينفيه حتى كلمته فأقره على نسبه، بلغني أنه ليس يهمهما إلا التماسي في الأرض، والله لو جاءوا بأهل الأرض جميعاً وليس إلا أنا، ما برحت العرصة حتى تكون لي أولهم**»[3]،وبذلك فإن يزيد أعطى نَفسا جديدا لأتباعه وأنصاره من أجل الثبات والصمود في وجه الجيش الأموي،لإدراكه لبعض نقائص قادة الجيش الأموي،بحكم أنه كان من أشهر قادة وعمال بني أمية المعول عليهم في كل الشدائد، والحرب خُدعة.

وبعد التقاء الجمعان– يزيد بن المهلب ومسلمة بن عبد الملك بن مروان– وصعوبة التفوق لأهل الشام،أمر مسلمة إلى الوضاح أن يحرق الجسر، ففعل،فلما رأى الناس الدخان وقيل لهم أحرق الجسر ، فانهزم أنصار يزيد دون أدنى قتال،وتراجعوا، وأستفسر يزيد بن المهلب عن سبب انهزامهم، فقيل له:« **أحرق الجسر فلم يثبت أحد. فقال: قبحهم الله! بق دخن عليه فطار!**»[4]

فلما رأى يزيد انهزام أصحابه،وأن أخاه حبيباً قتل. قال:لا خير في العيش بعده،فجمع جمعه ومن والاه من أهله ،وأستعد لقتل قادة جيش الشام ،فسار نحو مسلمة بن عبد الملك لا يريد غيره. لكن جند الشام تصدوا له وقتلوه ومن معه ،وأتى برأسه مولى لبني مرة إلى يزيد بن عبد الملك،أما الذي قتله فهو الهذيل بن زفر بن الحارث الكلابي [5]،وبقي المفضل بن المهلب يقاتل ويشجع الناس على الصمود في وجه أهل الشام حتى أتته الأخبار بقتل يزيد وحبيب ومحمد وانهزم الناس ،فتفرق الكل عنه، ومضى إلى

---

(1) ابن الأثير:الكامل،4/130-131، المنتظم:7/79.

(2) الطبري:تاريخ الرسل،6/592 .

(3) المنتظم:7/79.

(4) الطبري:تاريخ الرسل،6/595،ابن الأثير: الكامل،4/131-133،ابن خلكان: وفيات الأعيان،6/305.

(5) ابن الأثير: الكامل،4/131-133.

واسط[1]،تخفيا عن أعين بني أمية، خشية من القتل،ثم فر أتباعه إلى كرمان، لكن مسلمة بن عبد الملك تتبعهم بالقتل حتى كاد أن يفنيهم[2].

وهكذا كانت نهاية حركة يزيد المشبوهةسنة 102هـ/720م بتصفية عائلة المهالبة بكاملها، نتيجة لخلافات شخصية، وأحقاد دفينة،كان وراء إذكاء نارها الحجاج بن يوسف، لسوء ضنه، وبعد تصوره للنتائج الوخيمة عليه وعلى الدولة الإسلامية وعلى عامة المسلمين،والتي أدت في النهاية إلى تعصب اليمنية ضد بني أمية.

## 4-نتائج الثورة

إقالة مسلمة بن عبد الملك عن ولاية العراق والمشرق بعد أن حاول التشديد في عقاب آل المهلب وأنصاره واستبداله بوال آخر هو عمر بن يزيد بن هبيرة الفزاري وهو الذي تشفع فيمن بقي من آل المهلب عند الخليفة يزيد وكان مما كتبه للخليفة في أمرهم: « **ما هم لي بعشيرة ، وما أردتُ إلاَّ النظر لأمير المؤمنين في تألّف عشائرهم لئلا تفسد قلوبهم وطاعتهم** »[3].فكتب إليه الخليفة : «**بارك الله لك في ودّهم إن كنت أردت ذاك** »[4]،وعمل هذا الوالي الجديد على تهدئة الأوضاع في إقليم العراق ،لضمان استقرار الأمن والسلطة ،بعد أن حدث لهما اهتزاز كبير.

انتقد الكثير يزيد بن المهلب على ما صنع من حركته، واعتبروه منافقا، وانتهازيا مستغلا لنفوذه ولتأييد الناس لمسعاه، إضافة إلى انقلاب الخليفة يزيد على تصرفاته ،واتهام بعض القراء لسلوكاته، والتناقض بين أعماله وبرنامجه،وأتهم بالفسق والقتل، فهذا الحسن بن أبي الحسن البصري يقول عن فتنة المهلب:«**كلما نعق بهم ناعق اتبعوه هذا عدو الله ابن المهلب**»[5].

و لم يكتف الحسن عند هذا بل رفض القتال إلى جانبه وثبط الناس على يزيد ودعا ضده حيث خطب الناس وقال:«**اللهم اصرع يزيد بن المهلب صرعة تجعله نكالا، يا عجبا لفاسق غير برهة من دهره، ينتهك المحارم، يأكل معهم ما أكلوا، ويقتل من قتلوا، حتى إذا منع شيئا، قال: إني غضبان فاغضبوا، فنصب قصبا عليها خرق، فاتبعه رجرجة ورعاع، يقول: أطلب بسنة عمر، إن من سنة عمر أن توضع رجلاه في القيد، ثم يوضع حيث وضعه عمر**»[6]،لأن يزيد كان يقاتل من أجل مصلحة

---

(1) ابن الأثير: الكامل،133/4.

(2) أنظر المسعودي:مروج ،211/3،ابن خلكان:وفيات الأعيان،306/6-307.

(3) تاريخ اليعقوبي:312/2.

(4) المصدر نفسه.

(5) الذهبي: تاريخ الإسلام،423/9.

(6) الذهبي:سير،506/4.

ولإبراز شجاعته وإقدامه،« **فما زال يحمِلُ بنفسه في الألوف، لا لِجهاد، بَلْ شَجَاعةً وحمِيَّةً، حتى ذاق حِمَامه**»[1]،وبذلك فإن يزيد قد فتق فتقاً جسيما كلفه حياته وحياة من اتبعه من أهله وأنصاره،وأشغل الدولة والخلافة عن أمورها الإدارية والسياسية.

القضاء على ثورة يزيد و مقتله والعديد ممن كانوا معه ، وأسر حوالي ثلاثمائة من أتباعه [2].
ومطاردة من بقي من آل المهلب على قيد الحياة ، رجالاً ونساءً، والقبض عليهم ومصادرة أموالهم ، ومن نجا منهم ، هرب براً وبحراً إلى كرمان وإلى قندابيل من أرض السند، ومع ذلك فقد استمرت قوات مسلمة بن عبد الملك ووالي السند في مطاردتهم والقبض عليهم وإعادتهم إلى العراق وإلى دمشق لمواجهة مصيرهم [3].

ولما جاءت هزيمة يزيد واسط أنتقم معاوية بن يزيد بن المهلب من الأسرى الذين كانوا تحت قبضته ،وضرب أعناقهم، منهم عدي بن أرطأة[4].

**ومن أهم النتائج العامة لثورات الفقهاء:**

– أنها لم تحقق أهدافها وبرامجها على أرض الواقع لعدم تكافئ القوى بين الطرفين،وتأثير النظام الأموي على إضعاف هذه الثورات من الداخل بالتأثير على تفكيك أنصارها، والتشكيك في نوايا قادة الثورة،مما أضعف وحدة صفها وتفرق الكثير من الأنصار على قادة الثورة، مثلما كان لثورة عبد الله بن الزبير وكذا أخوه مصعب ،ويزيد بن المهلب.

– تعطيلها لحركات الفتح التي كان الأمويون يخططون لإنجازها سواء في جبهة الروم أو بلاد ما وراء النهر،لانشغال الأمويين بإخماد الثورات.

– ألحقت أضراراً كبيرة على اقتصاد الدولة بتعطل الصناعة والزراعة والتجارة ،وتعرض بعض الأراضي للحرق وبعض الورشات الصناعية للتخريب والنهب، مما كان له أثر كبير في تأخير تقدم جوانب حضارية متعددة سواء كانت عمرانية أو ثقافية أو اقتصادية .

---

(1) الذهبي:سير،4/506.
(2) أنظر ابن الأثير: الكامل،4/136.
(3) المصدر نفسه:4/134-135.
(4) ابن خلكان:وفيات الأعيان،6/306.

- تراجع هيبة الخلافة الأموية في أعين كثير من معارضيها في الداخل والخارج،فكثر الثائرين على النظام الأموية،والتطلع للخلافة لغياب شروطها الأساسية في أعين الكثير،إضافة إلى طمع الأعداء في أراضي الدولة مثل الروم ورُتْبيل في عهد عبد الملك.

- فسحت المجال أمام الدعوة العباسية لتنظّم نفسها والتحرك لنشر أفكارها ومبادئها مستغلة انشغال الخلفاء والولاة بالثورات،مما شجع دعاتها على سرعة التحرك والتنقل بين المناطق الأكثر معارضة،استعداد لانتزاع السلطة من الأمويين والاستفادة من أخطاء الثائرين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الفصل الثالث: الثورة العباسية وبرنامجها

أولاً: أسبابها

ثانياً: برنامجها

ثالثاً: سير تنفيذ البرنامج والثورة(المراحل)

رابعاً: نتائجها

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## الفصل الثالث:الثورة العباسية وبرنامجها

### 99هـ -132هـ/718-750م

تُنْتسب الثورة العباسية إلى العباس بن عبد المطلب بن هشام بن عبد مناف القرشي ، وهو عّم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أسنّ من الرسول بثلاث سنين [1]،وكان من أكبر رجال بني هاشم مكانة، وأكثرهم مالاً في الجاهلية[2]، فقلدوه قيادتهم، فكان رئيسهم المُطاع ، المتوليّ لأمورهم[3]، وكانت إليه السِّقاية والرِّفادة وعمارة المسجد الحرام[4].

وانتقلت إمامة الشيعة والدعوة له من البيت العلوي إلى البيت العباسي بالوصية ،حيث يقول الهيثم بن عديّ: حدثني غيرُ واحد ممن أدركت من المَشايخ بعد وفاة عليّ بن أبي طالب صار أمر الخلافة إلى الحَسن، فتنازل عنه إلى مُعاوية، رغم كراهية الحسينُ ومحمد بن الحنفية للتنازل، فلما قُتل الحسينُ بن عليّ صار أمرُ الشَيعة إلى محمد بن الحنفيّة،الذي أوصى إلى ابنه أبي هاشم عبدِ اللّه بن محمد بن الحنفيّة.فقام بأمر الشِّيعة وتوافد عليه الأتباع وأدوا إليه الخراج، حتى استُخلف سليمانُ بن عبد الملك ، فكشف أمر أبي هاشم وشيعته،فسمه وقتله [5]، وعندما شعر بذلك،قال لشيعته ميلوا بي إلى ابن عمي ، حتى أتوا لحُمَيْمَة من أرض الشَراة، وبها محمد بن عليّ ابن عبد الله بن العباس، فنزل عنده وقال له: إني ميّت، وقد صرتُ إليك وأنت صاحبُ هذا الأمر، وولدُك القائم به [6].وبذلك انتقلت زعامة الشيعة من البيت العلوي إلى البيت العباسي.ثم بدأت قيادة العباسيين لحركة آل البيت على يد محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس [7]عام 99هـ/718م عندما عهد إليه عبد الله بن محمد بن عليّ [8] بمواصلة الدعوة

---

(1) طبقات ابن سعد،5/4، نسب قريش ،26/1 ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب :ص556.

(2) الاستيعاب في معرفة الأصحاب :ص557،556،، ابن الجوزي: تهذيب التهذيب،291/2.

(3) طبقات ابن سعد:32/4 ، عطوان حسين:الدعوة العباسية ،ص 87.

(4) الاستيعاب في معرفة الأصحاب:ص556،ابن الجوزي: تهذيب التهذيب،291/2 ،عطوان حسين:الدعوة العباسية ،ص 87.

(5) الذهبي:تاريخ،406/6-407،وهناك من يقول غير ذلك، ليس من الثابت أن سليمان بن عبد الملك راعه ذكاء أبي هاشم فخافه وفزع منه، ولا أنه أنفذ له من سَمَّهُ بعد أن رحل عنه وإنما مات حتف أنفه .أنظر نسب قريش :ص75 ، طبقات ابن سعد:328/5.

(6) ابن عبد ربه:العقد الفريد،219/5،ابن الطقطقي:الفخري،ص143.

(7) محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس ابن عبد المطلب، الهاشمي القرشي: أول من قام بالدعوة العباسية. وهو والد السفاح والمنصور، وليّ إمامة الهاشميين سرا في أواخر أيام الدولة الأموية (بعد سنة 120) وكان مقامه بأرض الشراة، بين الشام والمدينة، ومولده بها في قرية تعرف بالحميمة، وبدء دعوته سنة 100 هـ وعمل على نشر الدعوة وتسيير الرجال إلى الجهات للتنفير من بني أمية والدعوة إلى بني العباس.أنظر ابن عساكر: تاريخ دمشق،368/54،الزركلي: الأعلام،271/6.

(8) عبد الله بن محمد بن عليّ(أبا الهاشم)، أنظر ابن عساكر: تاريخ دمشق،270/32، ابن حجر: تقريب التهذيب،531/1،الزركلي: الأعلام،116/4

وأفضى إليه بإسرارها وأماكن تواجدها [1]،وأرسل إلى شيعته ودعاته بالبيعة لمحمد بن عليّ وطاعة أمره[2]، وذكر أن سبب ذلك هو الصلة الوثيقة التي كانت تجمع بينهما [3]،و لم يكن له ولد يرثه [4]، بالإضافة إلى أن العباسين كانوا أكثر نشاطا وكفاية من الناحية السياسية من العلويين،كما أنه لم يجد بين أفراد البيت العلوي من يستطيع النهوض بأعباء الإمامة بسبب اختلاف اعتقاد الشيعة الكيسانية [5]عن اعتقادات الشيعة الإمامية [6]الذين ظلوا متمسكين بعقائدهم،وقاموا في وجه الأمويين[7].

وبذلك كان محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس مرسِّخاً لقواعد الدعوة لبني العباس، ومشيِّداً لأركانها، ورافع بنيانها، فقد شمَّر لتوطيدها وبثها، فوضع أنظمتها وشعاراتها وأنشأ مجالسها واختار قادتها، ومكّن لها في الكوفة وخراسان، وشحذ عزائم أنصارها وهيَّأهم ليوم إعلان الثورة وتفجيرها، وكان من أجلِّ الناس وأعظمهم قدراً[8]،وترصد الأسباب والظروف لإعلانها.

## 1-أسباب الثورة العباسية

اضطرب أمر الدولة الأموية في أخر أيامها،لاحتدام العصبية القبلية،واستفحال المنافسة السياسة بين أبناء الأسرة الحاكمة وعمالها،مما أدى إلى اشتعال الفتن والحروب الأهلية، وتقارب أفكار الثورات وأهدافها،وتفرق كلمة الأمويين،وتنازعهم في الملك،وقتل بعضهم لبعض . وهذه صورة مظلمة للأحوال التي أصبحت عليها السياسة الأموية،وهي صورة « **إطارها الفساد والانحراف، وزواياها التفرق والانحلال،وخطوطها التدهور والانحطاط، وألوانها الهواجس والوساوس،وظلالها الفزع والذعر.ومن اجل ذلك مل الناس الأمويين،وكرهوا حكمهم،واستثقلوا أيامهم،واستبطئوا زوالهم، واستعجلوا نهايتهم،وغلب عليهم الحزن،وسيطر عليهم التشاؤم،وتمكن منهم القنوط، واعتراهم الوهن،وتعمقهم**

---

[1] تاريخ اليعقوبي:2/297.ابن قتيبة،المعارف،ص217. ابن عبد ربه:العقد الفريد ،5/220،ابن خلكان:وفيات الأعيان، 4/187، الحنبلي:شذرات، 2/106،107.

[2] تاريخ اليعقوبي:2/297ابن قتيبة:المعارف،ص217.

[3] تاريخ اليعقوبي:2/297.

[4] عطوان حسين:الدعوةالعباسية ،ص 166.

[5] الكيسانية ،فرقة شيعية مؤسسها كيسان مولى لعليّ بن أبي طالب وقيل إن مؤسسها هو المختار بن عبد الله الثقفي ، وتقوم على إمامة محمد بن الحنفية انظر :البغدادي:الفرق بين الفرق ،ص46، الشهرستاني:الملل ،1/170، الحور العين:ص236

[6] الإمامية :إحدى مذاهب الشيعة التي انقسمت إلى خمس عشرة فرقة وهي تنادي بإمامة عليّ بعد النبي محمد ﷺ أنظر : البغدادي ، الفرق بين الفرق،ص 56، الشهرستاني:الملل ،1/189، الحور العين:ص206، 211.

[7] حسن إبراهيم :تاريخ الإسلام، 2/ 15.

[8] أخبار الدولة العباسية ص 164.

**الإحساس بالضياع،واستبد بهم الخوف على الإسلام** »[1]، وتطلعوا لمن ينقذ أيامهم، ويرسخ أحلامهم،ويرشد ضالتهم ،فوجدوا في بني العباس أمنياتهم، فالتفوا حول دعوتهم ودعاتهم، الذين استغلوا هذا التذمر والأسباب لإعلائها،ونوجز أسبابها فيما يلي:

**أ-الحالة الاجتماعية للموالي وتَذمُرهم من المعاملة الأموية**

لقد اتبع خلفاء بني أمية وولاتهم سياسة التمييز بين العرب وغير العرب،في المعاملة، وابعدوا العناصر الأجنبية التي اعتنقت الإسلام،ومارسوا بذلك لونا من ألوان التفرقة،وخلقوا طبقتين اجتماعيتين متميزتين،ونظاما اجتماعيا يقوم على أساس التمييز والاضطهاد الاجتماعي.وترفع الأمويون واعتبروا أنفسهم فوق سائر العناصر غير العربية،بل اعتبروا الموالي دخلاء في الدين، ونظروا إلى تزاوج الموالي والعرب على أنه جريمة لا تغتفر، وجعلوا مساجد خاصة بالموالي [2]، رغم أن موالي الكوفة والبصرة دخلوا في الإسلام حتى يتساووا بطبقة الأشراف الحاكمة-العرب-والتخلص من دفع الجزية، وبالتالي تحقيق طموحهم أن تقيد أسماؤهم في ديوان أصحاب الأعطيات،والارتقاء إلى فئة أشراف العرب [3]، ومشاركتهم في وظائفهم ، ومسؤولياتهم.

لكن الأمويون رأوا بأنهم يمثلون سيادة قريش أمام القبائل ،وبالتالي يمثلون السيادة العربية على العجم كما يظهر في الإدارة.وصاروا تدريجيا رؤساء الطبقة الثرية التي تمتلك الأراضي [4]،فنظروا إلى الأعاجم من المسلمين ،بأنهم دون درجاتهم، فلم تسند لهم مناصب القضاء، ولا المناصب السياسية -إلاّ نادرا-، فهذا الحجاج يؤكد ذلك على لسانه عندما جيء بسعيد بن جبير إليه،بعد مشاركته مع ابن الأشعث ، فقال له: «**أما قدمت الكوفة وليس يؤم بها إلا عربي فجعلتك إماماً، قال: بلى. قال: أما وليتك القضاء، فضج أهل الكوفة وقالوا: لا يصلح للقضاء إلاّ عربي**»[5].وهذه النظرة والتصرف هي التي دفعت بالموالي إلى مرتبة دنيا على مستوى المعاملات الاجتماعية، حتى احتقرهم العرب،فكانوا « **لا يَكْنُونهم بالكُنَى، ولا يَدْعُونهم إلاَّ بالأسماء والألْقاب، ولا يَمْشون في الصَّف معهم، ولا يُقَدِّمونهم في المَوْكب...**» [6]، وبذلك كان موقف العرب في العهد الأموي متميزا للعنصر العربي عن غيره من

---

(1) حسن عطوان:الدعوة العباسية،ص137.

(2) انظر ابن عبد ربه: العقد الفريد ،3/362،361،360، الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي:ص218-219..

(3) الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي:ص208.

(4) عبد العزيز الدوري: مقدمة في تاريخ صدر الإسلامية،ص70.

(5) الذهبي: تاريخ الإسلام،6/367.

(6) أنظر ابن عبد ربه: العقد الفريد،3/361.

العناصر، ويبرزه موقف نافعُ بن جُبير هذا إذا مَرَّت به جنازة قال: «**من هذا؟ فإذا قالوا: قُرشي؛ قال: واقَوْماه! وإذا قالوا: عربيّ؛ قال: وابلدَتاه! وإذا قالوا: مَوْلى؛ قال: هو مالُ الله يَأخذ ما شاء، ويَدَع ما شاء..**»[1].وقد لوحظ هذا السلوك حتى عند من عرف بالزهد والتقوى، من ذلك ما يروى من أن أحد الزهاد قال لأحد الموالي« **كثر الله فينا مثلك**»، وكان هذا المولى قد قال له قبل ذلك: « **لا كثر الله أمثالك**»فلما سأل أحدهم ذلك الزاهد وقال له: « **أيدعو عليك وتدعو له؟** »قال: «**نعم، يَكسحون طرقنا ويَخْرزون خِفَافنَا ويَحركُون ثيابنا** »[2]،وقد درس فلهاوزن[3] أحوال الموالي بخراسان دراسة دقيقة،وذكر أن العرب لم يكونوا ينظرون إليهم نظرتهم إلى أنفسهم، فإذا كان الموالي في الجيش فإنهم كانوا يحاربون مترجلين ،لا على الخيل،وكانوا إذا برزوا ينظر إليهم بشيءٍ من الريبة.وهم وإن كانوا يتقاضون رزقا،،يأخذون نصيبا من الغنيمة، فإنهم لم تكن لهم أعطيات ثابتة،فلم يكونوا مقيدين في الديوان،ومع أنهم كانوا قد اندمجوا في القبائل العربية،فإنهم كانوا يسمون"أهل القرى "تمييزا لهم عن "أهل القبائل"،ومع أنهم كانوا مسلمين،فإنهم لم تسقط عنهم الجزية.

وعلى هذا النحو استمرت التفرقة الطبقية القديمة بخراسان،وزاد العرب عليها تفرقة جديدة، فقد رفعوا أنفسهم فوق الموالي،واتهموهم بعض الاتهام،وأبعدوهم عن المناصب الإدارية والسياسية والعسكرية والقيادية،وحرموهم حقوقهم المالية الشرعية،فكان الموالي يضجون من الظلم الاجتماعي،ويتطلعون إلى من ينقذهم ويخلصهم،وينشدون المساواة بين الناس،على اختلاف ألوانهم وأجناسهم،ويترقبون من يتبنى مطالبهم ومطامحهم،حيث كلما ظهر معارض للنظام الأموي إلاّ وانضموا إليه، ولذلك لما قامت الدعوة العباسية ،كانوا من أوائل قوادها ورجالها، خاصة ،أن الكثير منهم من الفئات الفارسية التي لم تؤمن إيمانا تاماً،بل بقي في نفسها شيء من الدين القديم كالراوندية والخُرمية والمانوية [4] ، وهي تكره الأمويين وتحقد عليهم أشد الحقد، وتتمنى زوال سلطانهم لبعث السلطان الفارسي،لذا اندمجوا اندماجا قويا في صفوف الدعوة الهاشمية العباسية.

---

(1) ابن عبد ربه: العقد الفريد،33/360-361.

(2) المصدر نفسه:3/361-362..

(3) أنظر تاريخ الدولة العربية،ص471.

(4) يوسف العش:تاريخ عصر الخلافة العباسية،ص16.

## ب–تدهور الوضع المالي للموالي في خراسان والعراق

و لم تكن أحوال أهل خراسان المالية أحسن من أحوالهم الاجتماعية،بل كانت أسوا منها،فان العرب اتبعوا نظام الضرائب الساساني،وتشددوا في تطبيقه تشددا ظاهرا،فقد فرضوا الخراج على ملاك الأرض منهم،وهو يقابل ضريبة التاج التي كانوا يدفعونها إلى الفرس،وفرضوا الجزية على أهل الذمة منهم،وهي تقابل ضريبة الرأس التي كانوا يدفعونها إلى الفرس أيضا[1].

وكان لعمال خراسان يد في ذلك أيضا،فان الدهاقين أسرفوا في استخراج الجزية ممن اسلم من العجم،ويقدمون الهدايا النفيسة لأمرائهم، من أجل الاقتناع بدورهم ومهامهم،وحارب العمال من امتنع عن أداء الجزية ممن اسلم من العجم،ويقتلونهم قتلا ذريعاً، حتى يجمعوا اكبر مقدار من الأموال،فيرسلوا قسما منها إلى الخليفة بدمشق،حتى ينالوا حمده ورضاه،ولا يتهمهم بالتقصير، ويستأثرون بالقسم الأخر[2].

ومن بعض الأمثلة على ذلك والتي ميزت أغلب فترات الحكم الأموي ،أن الحجاج حول الأراضي العشرية إلى خراجية بالعراق وخراسان ،أثناء ولاية أمية بن عبد الله الأموي– كما ذكرنا في ثورة ابن الأشعث–،فضاق الموالي بها ذعراً وتذمرا ،لأنها حرمتهم كثيرا من دخلهم،لأن الفرق بين ضريبة الأرض العشرية وضريبة الأرض الخراجية كبير،فضريبة الأرض العشرية تساوي عشر المحصول،وضريبة الأرض الخارجية لا تقل عن ربع المحصول،وقد تصل إلى أربعة أعشاره أو خمسة أعشاره [3]،قال المدائني:«**اخذ أمية الناس بالخراج،واشتد عليهم فيه،فجلس بكير[بن وشاحٍ التميمي]يوما في المسجد، وعنده ناس من بني تميم،فذكروا شدة أمية على الناس،فذموه وقالوا: سلط علينا الدهاقين في الجباية**»[4]، وبهذه السياسة نفر الحجاج أهل خراسان من السلطة الأموية، وأصبحوا يتطلعون إلى من يحررهم من جور الحجاج وظلم عماله،حتى وجدوا ضآلتهم في الدعاة العباسيين.

وفي سنة 96هـ/715م قُتل قتيبة،وقام وكيع بن أبي سود التميمي بأمر خراسان،ثم عزله سليمان بن عبد الملك،واستعمل يزيد بن المهلب،فوجه ابنه مخلدا إلى خراسان،فسجن وكيعا، وعاقبه، وطالبه بما احتاز من مال،قال البلاذري [5]:«**مكث تسعة أشهر حتى قدم عليه يزيد بن المهلب، وكان**

---

(1) الدوري:مقدمة في تاريخ صدر: ص73،74،والعصر العباسي الأول :ص10،11.

(2) أنظر فلوتن:السيطرة العربية، ص50،51، 52،فلهاوزن :تاريخ الدولة العربية،ص455.

(3) عبد العزيز الدوري: مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي،ص27.

(4) الطبري: تاريخ الرسل،316/6،ابن الأثير:الكامل،474/3،النويري:نهاية الأرب،129/21.

(5) فتوح البلدان:597، الطبري:تاريخ الرسل،527/6،528،ابن الأثير:الكامل ،83/4،ابن كثير:البداية ،503/5.

**بالعراق،فكتب إليه سليمان أن يأتي خراسان،وبعث إليه بعده،فقدم يزيد مخلدا ابنه،فحاسب وكيعا وحبسه،وقال له:أدِّ مال الله،فقال:أو خازنا لله كنت».**

وهذا سعيد بن عبد العزيز الأموي أخذ ثمانية من اليمانية من عمال يزيد بن المهلب، فسجنهم ثم أمر بضربهم حتى يعيدوا ما سرقوا من أموال،فمات بعضهم في العذاب،ومكث بعضهم في السجن إلى حين،ثم أطلقوا ،قال المدائني [1]:«**أن سعيدا رفع إليه أن جهم بن زحر الجعفي وعبد العزيز بن عمرو ابن الحجاج والزبيدي، والمنتج بن عبد الرحمن الازدي، والقعقاع الازدي ولوا ليزيد بن المهلب،وهم ثمانية،وعندهم أموال قد اختانوها من فيئ المسلمين**»،مما يؤكد تزايد النهب الدائم للأموال بخراسان من قبل العمال والدهاقين،مع إرسال خراجها إلى دمشق في كل عام دون نقص فيه أو تأخير له مصدره،أن العمال كانوا يزيدون الوظائف المقررة على أهل خراسان [2]، ويستخلصون الجزية ممن دخل منهم في الإسلام،ويحرمون مقاتلتهم العطاء، ويبخسونهم حقوقهم، فنفروهم من الحكم الأموي ،ودفعوهم بطريقة أو أخر لدعم من ينصفهم ويقف إلى جانبهم من الناقمين على بني أمية كالعباسيين.

وبذلك تصرف الولاة في أموال خراسان،واحتجنوا بعضها لأنفسهم،كأنهم الخلفاء الأمرين بالأمر والناهين عنه،وهذا ما يفسر تلاعب الولاة بالقدرات المالية للمسلمين وللدولة الأموية، جعل السخط يعم الأعاجم المسلمين منهم وغير المسلمين، وينتقل إلى العرب.

وسبب ذلك أن مفاسد السياسة المالية تراكمت واستفحلت بخراسان في آخر القرن الأول الهجري،فلما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة،استعمل عليها الجراح بن عبد الله الحكمي، وكانت أحوال أهلها من الموالى المسلمين سيئة متردية،فكانوا ينتظرون أن ينصفهم،فيسقط الجزية عنهم ، ويزيل الظلم الذي نزل بهم،فلم يصنع لهم شيئا،وعزم أن يأخذ الجزية منهم، لكنه أحجم عن ذلك حتى يستشير عمر،فلما استشاره أنَّبَهُ وكفه،قال المدائني: «**كان الجراح لما قدم خراسان كتب إلى عمر :أني قد قدمت خراسان،فوجدت قوما قد أبطرتهم الفتنة،فهم يترون فيها نزوا،أحب الأمور إليهم أن تعود ليمنعوا حق الله عليهم،فليس يكفهم إلا السيف والسوط ،وكرهت الأقدام على ذلك إلاَّ بإذنك،فكتب إليه عمر:يا ابن أم الجراح،أنت احرص على الفتنة منهم،لا تضربن مؤمنا ولا معاهدا سوطا إلاَّ في حق،واحذر القصاص، فانك صائر إلى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور،وتقرا كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها** »[3].ثم أوفد الجراح وفدا رجلين من العرب،ورجلا من

---

[1] الطبري:تاريخ الرسل،606/6، ابن الأثير:الكامل ،138/4-139.

[2] انظر الدوري: مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص45.

[3] الطبري:تاريخ الرسل،560/6 ،ابن الأثير:الكامل ،107/4.

الموالي من بني ضبة،كنيته أبو الصيداء،واسمه صالح بن طريف،وكان فاضلا في دينه، فقدموا على عمر،قال الطبري[1]:فتكلم العربيان، والأخر جالس،ثم تكلم غير العربي قال:« **يا أمير المؤمنين،عشرون ألفا من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق،ومثلهم قد اسلموا من أهل الذمة يؤخذون بالخراج (الجزية)،وأميرنا عصبي جاف يقوم على منبرنا فيقول :أتيتكم حفيا،وأنا اليوم عصبي والله لرجل من قومي أحب إليّ من مائة من غيرهم وبلغ من جفائه، أن كم درعه يبلغ نصف درعه،وهو بعد سيف من سيوف الحجاج قد عمل بالظلم والعدوان، فقال عمر:أذن مثلك فليوفد وكتب عمر إلى الجراح: انظر من صلّى قبلك إلى القبلة،فضع عنه الجزية.فسارع الناس إلى الإسلام،فقيل للجراح:أن الناس قد سارعوا إلى الإسلام ،وإنما ذلك نفورا من الجزية،فامتحنهم بالختان فكتب الجراح بذلك إلى عمر،فكتب إليه عمر:أن الله بعث محمدا صلى الله عليه داعيا ولم يبعثه خاتنا** ».ولكن الجراح لم ينفذ أوامر عمر،و لم يتقيد بها،بل خرج عليها،فقد كان أعرابيا جافيا في الدين،فكان ينكر المساواة بين العرب والموالي،وكان يقدم العرب ويتعصب لهم،ويؤخر الموالي ويتحزب عليهم.فكان يود أن يجمع الجزية ممن اسلم من العجم،ليحتجن الأموال لنفسه،ويؤثر ببعضها أهله وخاصته،ويفرق بعضها على غيرهم من المؤيدين لسياسته[2]،وفي ذلك يقول البلاذري [3]: «**كان الجراح ابن عبد الله يتخذ نقرا من فضة وذهب،ويصيرها تحت بساط في مجلسه،على أوزان مختلفة،فإذا دخل عليه الداخل من إخوته والمعتزين به،رمى إلى كل امرئ منهم مقدار ما يؤهل له** ».وقال الطبري[4]:لما شخص من خراسان إلى عمر بن عبد العزيز أخذ عشرين ألفاً، والبعض قال عشرة آلاف من بيت المال ، وأعتبرها سلفاً حتى يؤديها للخليفة عمر، وهذا يثبت ما ذكرناه سابقا في مبالغة العمال في جمع المال لإرضاء الخلفاء والحفاظ على مناصبهم.

ويبدو أن الجراح أسرف في الانحياز إلى العرب والمحاباة لهم،وبذلك ولج في الظلم للموالي والتحامل عليهم،وأكثر في جمع الجزية ممن اسلم من العجم،وأبى أن يفرض العطاء لمقاتلتهم ، فصرفه عمر عن خراسان،قال البلاذري[5] : «**بلغ عمر عن الجراح عصبيَّة،وكتب إليه انَّه لا يُصلح أهل خراسان إلاَّ السيف،فأنكر ذلك وعزله**».وقال اليعقوبي[6]:«**بلغ عمر الجراح أمور يكرهها من انَّه يأخذ الجزية**

---

(1) تاريخ الرسل:559/6،ابن الأثير:الكامل،106/4.

(2) حسين عطوان:الدعوة العباسية،ص31.

(3) فتوح البلدان:ص600.

(4) تاريخ الرسل:560/6.

(5) فتوح البلدان:ص600.

(6) تاريخه: 302/2.

**من قوم قد اسلموا .وانَّه يغزي موالي بلا عطاء،وانَّه يظهر العصبية،فكتب إليه أن أقدم** ».وقال ابن كثير[1]:«**عزل عمر بن عبد العزيز الجراح بن عبد الله الحكمي عن إمرة خراسان،بعد سنة وخمسة أشهر،وإنما عزله لأنه كان يأخذ الجزية ممن اسلم من الكفار ويقول:انتم إنما تسلمون فرار منها، فامتنعوا من الإسلام،وثبتوا على دينهم، وأدوا الجزية ،فكتب إليه عمر:أن الله إنما بعث محمدا داعيا،ولم يبعثه جابيا**».وذكر ابن جرير الطبري أن ولاة عبد الرحمن بن عبد الله القشيري اختنوا أموالا، فلما ولي سعيد ابن عبد العزيز الأموي خراسان،قبض عليهم وسجنهم،فاستشفع لهم عبد الرحمن بن عبد الله القشيري،وتعهد بقضاء الأموال عنهم،فخلى سبيلهم،إذ يقول [2]:«**قدم سعيد فاخذ عمال عبد الرحمن ابن عبد الله القشيري الذين ولوا أيام عمر بن عبد العزيز،فحبسهم،فكلمه فيهم عبد الرحمن بن عبد الله القشيري،فقال له سعيد:قد رفع عليهم أن عندهم أموالا من الخراج، قال:فانا اضمنه،فضمن عنهم سبعمائة ألف،ثم لم يأخذه بها**».

ونتيجة لهذه المظالم وكثرة الجباية للأموال ، وما تعرض له الموالي من إرهاق وجور، أقصى عمر عبد الرحمن بن عبد الله القشيري عن خراج خراسان،واستعمل عقبة بن زرعة الطائي، وأمره أن يسوس الناس بالرفق،ويجبي الخراج والجزية بالحق،ووعده أن يرسل إليه الأموال أن كانت ضرائب خراسان لا تفي بأرزاق جنودها،قال المدائني: «**كتب إلى عقبة بن زرعة الطائي،وكان قد ولاه الخراج بعد القشيري،إن للسلطان أركاناً لا يثبت إلا بها،فالوالي ركن،والقاضي ركن،وصاحب بيت المال ركن، والركن الرابع أنا.وليس من ثغور المسلمين ثغر أهمَّ إليّ ولا أعظم عندي من ثغر خراسان،فاستوعِب الخراج وأحرِزْه في غير ظلم،فان يك كفَافاً لأعطياتهم فسبيل ذلك،وألا فاكتب إليّ حتى احمل إليك الأموال،فتوفر لهم أعطياتهم ...فقدم عُقْبَة فوجد خراجهم يفضُل عن أعطياتهم،فكتب إلى عمر فاعلمه،فكتب إليه عمر:أن اقسم الفضل في أهل الحاجة**»[3].

وهكذا كانت خراسان مطمح أنظار العرب في تكوين الثروة،فقد كان المقيمون بها من قادتهم وولاتهم عليها يختانون الأموال،ويستأثرون بها،بينما غيرهم من أهل الأمصار الأخرى يفيدون إليها،طمعا في احتياز الأموال منها،والاغتناء بها.فتنافس المقيمون بها على النهب والسلب،والبعض يرى من حقهم أن يستولوا على بعض الأموال،فإنهم هم الذين كانوا يجاهدون الأعداء، ويتعرضون للشدائد والأهوال[4]

---

[1] البداية:5/521.

[2] تاريخ الرسل:6/606،ابن الأثير:الكامل،4/138،139.

[3] الطبري:تاريخ الرسل،6/568.

[4] أنظر عطوان حسين: الدعوة العباسية،ص41.

وما مِن شك في أَن جمع الأموالَ كان أحَدَ الأسباب التي حملتْ عمال خراسان على استيفاء الجِزْيَة ممن أسْلَم من العَجَم مِنْ أهل ما وراء النهر ،واستعمال الشدة في أخذها إذا امتنعوا من أدائها ، فامْتَعَض السُّغْدُ عن ذلك ،وتمردوا وقاتلوا العرب ، لأنهم قد دَخلوا في الإسلام على أنْ تُوضع عنهم الجِزية.

وهكذا شهد الربع الأول من القرن الثاني للهجري التحول من سياسة العدل التي انتهجها عمرُ ابن عبد العزيز إلى سياسة الظُلم والعنف التي كانت متبعة قبله، وظلّ ذلك قائماً حتى آخر أيام الدولة الأموية ،وقد زادت هذه السياسة الجائرة المشكلة تعقيداً ، وضاعفت نقمة الموالي بما وراء النهر على العرب ، وخاصة أن بذور الدعوة العلوية العباسية أصبحت تلوح في الأفق ،دفع الكثير من أبناء خراسان والأقاليم الشرقية للخلافة الإسلامية إلى التطلع لها ،رغبة في التخلص من الحيف الذي سلط عليهم من ولاة وعمال الدولة الأموية،وهذا بعد أن أعاد أسد الجزية على من أسلم من السُغْدِ وأهل خراسان واستخلصها منهم بالقوة [1] وكان أسد محبباً إلى الدّهاقين، لأنه كان يصون منازلهم، ويحافظ على مصالحهم فكانوا يوادّونه ويتقربون إليه بالهدايا الطريفة ، وقد وصف ابن جرير الطّبري زيارة عامل خراسان ،ودِهْقَانَ هراةَ لأسد ، وما حمل إليه من هدايا عجيبة، يومَ المهرجان ببلخ سنة 120هـ/738م ،إذ يقول[2]:« **حضرَ المهرجان، وهو ببلخَ، فقدمَ عليه الأمراءُ والدَّهاقين ، فكان ممن قدم عليه إبراهيم بن عبد الرحمان الحنفيُّ ،عامِله على هراة وخراسان، ودهقان هراةَ، فقدما بهدية قوِّمت بألفِ ألفٍ ، فكان فيما قدِمَا بهِ قصران : قصرُ من فضة ،وقصر من ذهب وأباريق من ذهب وأباريق من فضة وصحافٍ من ذهب وفضة ،فأقبلا وأسدٌ جالس على السرير ، وأشراف خراسان على الكراسي، فوضعا القصرين، ثم وضعا خلفهما الأباريق والصحاف ، والديباجَ المرويَّ، والقوهيَّ ، والهرويّ وغير ذلك ، حتى امتلأَ السَّماط ،وكان فيما جاء به الدهقان أسداً كُرَة من ذهبٍ** ».وكان الدهاقين يزَينون له استخراجَ الجزية ممن أسلم من أهل بُلدانهم ،لأن إلغاءها عنهم كان يضر بهم، إذ كان يقللُ فوائدهم ، ويعطّلُ مكاسبهم ، كما كان يَضُر بيت المال ، إذ كان ينقص المبالغ التي تَرِد إليه ، ويخفضها خفضاً شديداً [3] ،فحكمهم في رقاب العَجم المسلمين ، وسلّطهم عليهم ،وأباح لهم قتل من امتنع منهم عن أداء الجزية، وليس أدل على ذلك مما ذكره **النّرشخي**[4] من أنه أذن لملك بُخارى في سفك دماء المسلمين من أهل بلده ، لأنهم أبوا أنْ يدفعوا الجزية وأعانه على ذلك، فلاذوا بالمسجد ،

---

[1] انظر فلوتن:السيطرة العربية، ص: 54

[2] تاريخ الرسل:139/7 ،ابن الأثير: الكامل، 245/4،ابن كثير:البداية ،583/5.

[3] فلوتن:السيطرة العربية، ، ص56.

[4] تاريخ بخاري: ترجمة الدكتور أمين عبد المجيد بدوي، ص91-92.

فأخذهم منه وهم يرْفعون أصواتهم بالشهادتين ، ويستغيثون ويسترحمون ، فقتلهم ، ونصَب أجسادهم و لم يسلم من القتل إلاّ عدد ضئيل منهم ، فاستعبدهم، وساقهم إلى أسدٍ فلم يزالوا على إسلامهم ،فلما توفي ملكهم ،ورجعوا إلى بلدهم ، فقد روى أنه في أيام أسد بن عبد الله خرج رجلٌ ودعا أهل بخارى إلى الإيمان ، رغم أن غالبيتهم أهل ذمةٍ ، يدفعون الجزية ،فأجابه قومٌ وأسلموا ، فغضب ملك بخارى طغشادة ، لأنه كان في السرِ كافراً ، فكتب إلى أميرِ خراسان أسد بن عبد الله القشري كتاباً جاء فيه: إنه ظهر رجلٌ يثير علينا الولاية، وخرج علينا قوماً ،يقولون : إننا أسلمنا ، وهم كاذبون ، أسلموا بلسانهم، وهم مشغولون بأمرهم ذاك (أي الكفر) في سِرِهم ويُثيرون بخارى بهذه الحجة، ولا يؤدون الخراج ،فكتب أسد بن عبد الله إلى عامله شريك بن حريث، يأمره بأن يقبض على هؤلاء القوم ، ويسلمهم لملك بخارى ليعاقبهم، رغم أن هؤلاء القوم كانوا في المسجد ، يقولون جميعاً بصوت عالٍ: «**أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله ،ويصيحون : وَامُحمداَ ،ووا أحمداَ ،وكان بخارا خداة طَغْشادة يضرب أعناقهم ،ولم يكن أحدٌ يجرؤ على الكلام فيشفع لهم ، حتى ضَرَبَ أعناقهم أربعمائة شخصٍ ،وصلبهم ، وستَرَقَّ الباقين باسم أسدِ بن عبد الله، وأرسلهم إليه بخراسان، ولم يرتدَّ أحدٌ قطٌ من هؤلاء القوم عن الإسلام ، ولم يثْنِ أسدُ بنُ عبد الله هؤلاء القومَ عن الإسلام، ولمّا مات طغشادة بخاراخداة ، عاد هؤلاء القومُ إلى بخارى**» [1]. وبعد تولى أمر خراسان نصر بن سيار حاول تدارك الفساد المالي الذي أصبح يحرج المسلمين من العجم ويقلق الخلفاء خاصة وأن نصراً كان خبيراً بمشكلات خراسان وأدْوائِها ، وكان بصيراً بعُيوب السياسة المالية وأسبابها ، فإنه قضى أكثر عمره بخراسان ، وتقلَّب في أعمالها،وتنقَّل من منصبٍ عسكري إلى منصبٍ إداري فيها [2] فلم يلبث أن أصلح النظام المالي في آخر السنة الثانية من ولايته ،فقد عدّل النظام القديم ، واحتكم في تعديله إلى روح الإسلام ، وضَبَط الخراج والجزية ،وأحسن الولاية والجبايَة [3]حتى أزال الظلم ، «**وعمرت خراسان عمارةً لم تُعمرْ قبل ذلك مثلها** » [4].وحاول نصر بن سيار إصلاح الفساد وتداركه ،لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، معتمداً على ثلاثة أمور: الأول انه اسقط الجزية عن العجم المسلمين،وفرضها على الذميين وحدهم ،وتوثق من أخذها منهم. والثاني انه جبى الخراج من ملاك الأرض جميعا بحسب ما يملكونه.

---

(1) ربما حررّهم أسد. أنظر الطبري:تاريخ الرسل،7 /124 ،ابن كثير:البداية،571/5، فلوتن:السيطرة العربية، ص55، 56،57.

(2) حسين عطوان: الدعوة العباسية،ص57.

(3) الطبري:تاريخ الرسل158/7،ابن الأثير:الكامل ،253/4.

(4) الطبري:تاريخ الرسل158/7،ابن الأثير:الكامل ،253/4.

ويبدو انه مسح الأرض،لأنه أعاد تصنيف الخراج، فوضعه بالحق،وجمعه بالعدل،والثالث انه ضبط الوظائف المقررة على المدن والنواحي في الصلح، واستوفاها، و لم يفرط في شيء منها[1].

وهكذا رفع نصر الظلم الذي أجحف بالعجم المسلمين ،فأعفاهم من الجزية،وأزال التفرقة في أداء ضريبة الأرض بينهم وبين العرب ،« **إذ قرَّر الخراج عليهم جميعا.ولكن وطأة الجور عليهم امتدت وثقلت،ومعاناتهم له اتصلت وطالت،فقد قهروا ما يقرب من قرن من الزمان، وصب عليهم الظلم في العقدين الأولين من القرن الثاني صبا،وأصابهم فيهما من الاضطهاد والعذاب والقتل ما لم يصبهم قبل ذلك مثله،فكانوا يتشوقون فيها إلى من يمنيهم بالانتصار لهم،ويبحثون عمن يعدهم برفع الظلم عنهم**»[2]،وهذا ما دفع بالكثير منهم إلى الانضمام للدعوة العباسية،رغبة في الثورة ولانتقام والتحرر.

### ج–التنافس بين العصبيات في تولي المناصب

إن سياسة ضرب العصبيات القبلية بعضها ببعض من قبل السلطة الأموية وعمالها خلقت للدولة مشاكل وأعداء جدد ،فمثلا ثورة المهالبة التي كانت ضد سياسة الحجاج كما ذكرنا سابقا، بعد القضاء عليها ،استمر عمال الخليفة يزيد في محاربة المهالبة وتتبعوهم،حتى كادوا أن يَفْنُهَوهم من الوجود ،مما فتح على السلطة الأموية أعداء جدد من اليمانيين [3].فتعصب اليمانيون إلى جانب أزد عمان مع المهالبة ضد السلطة الأموية ،وبذلك فإن بداية الدعوة العباسية كان بعد نهاية هذه الثورة التي أمدتها بعصبية كبيرة وهي اليمانية[4]، خاصة وأن الخليفة يزيد الثاني كان له دور كبير في اشتداد العصبية في العراق ،بإثارة واليه عمر بن هبيرة اليمانية على الأمويين بسياسته القيسية المتعصبة، وأعاد إليهم سيرة الحجاج، وبعد تولي هشام الخلافة أدرك ذلك الضعف،وأسند إدارة العراق إلى خالد بن عبد الله القسري [5]سنة 106هـ[6] /724م ،لكن الأمر كان أصعب مما يتصور الخليفة وخالد، لتذمر القيسيون من التفاف اليمانيين حول خالد الذي رأوا فيه منقذاً لهم،مما أدى بخالد أن ينساق بعض الشيء في تيار اليمنيين، فأزال عن القيسيين كثير من الأعمال التي أسندها لهم عمر بن هبيرة، وبذلك لم يقضي على العصبية،لأن العراق لايحكم بالشدة فحسب،بل باليقظة والدهاء والسياسة،وما ينطبق على العراق ينطبق على خراسان

---

(1) ابن الأثير: الكامل ،261/4،فلهاوزن:تاريخ الدولة العربية، ص272، 455.

(2) حسين عطوان: الدعوة العباسية،ص64.

(3) يوسف العش:تاريخ عصر الخلافة العباسية،ص16.

(4) أنظر يوسف العش:الدولة الأموية،ص281.

(5) هو أبو يزيد وأبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثم القسري، أمير العراقين من جهة هشام بن عبد الملك الأموي، ولي مكة سنة تسع وثمانين للهجرة، وكان جواداً كثير العطاء.(أنظر ابن خلكان: وفيات ألأعيان،226/2-227).

(6) الذهبي:العبر،98/1.

ونتيجة لذلك عاد العراق إلى الخصومات بين اليمنيين والقيسيين،فكان ابن هبيرة قيسياً فأجج الخصومات والعصبيات[1]، التي كانت في صالح الدعوة العباسية التي أمدتها بالرجال والقادة والدعاة المعارضين للسلطة الأموية.

ولم يكتف ولاة السلطة الأموية بالتقرب من عصبياتهم والاعتماد عليهم ،بل دبروا مكائد وتهم لَفَّقُوهَا لمن يُعادونه من الولاة،فهذا كلثوم بن عياض القسري المعادي لخالد بن عبد الله،استغل تعرض أحد أسواق دمشق للحرق من قبل جماعة من اللصوص،ليدخل على الخليفة هشام، ويوجه التهمة لمحمد ابن خالد بن عبد الله القسري وغلمانه[2]،تَشَفياً فيه وحقدا على ولايته.

وعندما وليّ يوسف بن عمر الثقفي العراق لهشام سنة 120هـ/738م،طمع في أن ترد خراسان إلى والي العراق،حتى يستعمل عليها رجلا من قيس،فيشمل سلطان قيس العراق وجميع المشرق. فكتب إلى هشام بأسماء من يصلحون لولاية خراسان،« **وأطرى القيسية،وجعل آخر من كتب اسمه نصر بن سيار الكناني،فقال هشام:ما بال الكناني أخرهم !وكان في كتاب يوسف إليه:يا أمير المؤمنين،نصر بخراسان قليل العشيرة.فكتب إليه هشام:قد فهمت كتابك، وإطراءك القيسية، وذكرت نصرا وقلة عشيرته،فكيف يقل من أنا عشيرته !ولكنك تقيست عليَّ،وأنا متخندق عليك ، ابعث بعهد نصر على خراسان،فلم يقل من عشيرته أمير المؤمنين** »[3].فحقد يوسف على نصر،وجعل يقع فيه،ويسعى في خلعه،وكتب إلى هشام بذلك سنة ثلاث وعشرين ومائة،وقال المدائني« **لما كانت ولاية نصر بن سيار،ودانت له خراسان،كتب يوسف بن عمر إلى هشام،حسدا له:أن خراسان دَبَرةٌ دبرةٌ[4]!افان رأى أمير المؤمنين أن يضمها إلى العراق،فأسرّح إليها الحكم بن الصَّلْت ،فإنه كان مع الجُنيد،وولى جسيم أعمالها،فأعمر بلاد أمير المؤمنين بالحُكم.وأنا باعث بالحكم بن الصَّلْت إلى أمير المؤمنين،فإنه أديب أريب، ونصيحته لأمير المؤمنين مثل نصيحتنا ومودتنا آهل البيت**»[5].

وظل يوسف يكيد لنصر بعد ذلك،ففي السنة نفسها وجه نصر مغراء بن احمر النميري – رأس أهل قنسرين– إلى هشام،فمر بيوسف،فقال له:«**يغلبكم ابن الأقطع يا معشر قيس على سلطانكم**»[6]!

---

(1) أنظر يوسف العش:الدولة الأموية،ص286،287،289..

(2) أنظر الدينوري: الأخبار الطوال،ص316،317.

(3) تاريخ اليعقوبي:326/2، الدينوري:الأخبار الطوال ، ص313،314،الطبري:تاريخ الرسل،156/7، 154،ابن الأثير: الكامل،252/4،253.

(4) الدبرة بالتحريك قرحة الدابة ودبرت فهي دبرة كفرحة أي أنها موطن القلافل(أنظر هامش تاريخ دمشق:10/15).

(5) الطبري:تاريخ الرسل،193/7،ابن عساكر:تاريخ دمشق،9/15–10،ابن الأثير:الكامل،275/4.

(6) الطبري:تاريخ الرسل،193/7،ابن الأثير:الكامل،275/4.

وأوحى إليه أن يذمه بالشيخوخة والهرم،وأطمعه أن هو تنقصه أن يوليه السند. فلما قدم مغراء على هشام، وسأله عن خراسان،ذكر نصرا بالكِبر والضعف،وقال:« **ما يعرف الرجل إلا من قريب،ولا يعرفه إلا بصوته** ،**وقد ضعف عن الغزو والركوب**»[1]!فكذبه حمله بن نعيم الكلبي،وكان من وفد أهل خراسان،وأثنى على نصر،فقال هشام:«**هذا أمر يوسف حسد لنصر**»[2].

ثم صرف يزيد بن الوليد يوسف عن العراق،واستعمل عليها منصور بن جمهور الكلبي،فعزم على توليت أخيه منظور خراسان،وأشاع اليمانية انه قادم،فامتنع نصر عليه،وهدد بقتله[3]. فلما صفت الخلافة لمروان بن محمد ولى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري العراق،فبعث إلى نصر بعهده على خراسان.ولكنه كان قيسي الهوى،فجعل يطعن في نصر،ويتأتى لخلعه ،قال البلاذري [4]: « **كان مبغضا له،مستثقلا لولايته خراسان**».و لم يزل يمكر بنصر ويتوسل إلى تنحيته بأسباب مختلفة، ويرميه بالتقصير والتفريط[5]، وحينا يطوي رسائله عن مروان،ويكتم عنه ما فيها من أخبار دعاة العباسيين، والسكوت عن الأمر بخراسان ،ليضع منه ، ويوغر صدر مروان عليه، ويغريه بإقصائه، فهذا ابن عبد ربه [6]يقول أنه كان يَكتب لمروان بخَبره،لكن«**تمضي كتبه إلى ابن هُبيرة صاحب العراق ليُنفذها إلى أمير المؤمنين، فكان يَحْبسها ولا يُنْفذها لئلا يقوم لنَصر بن سيّار قائمة عند الخليفة**».وأمام هذا التعصب للولاة ، وما انجر من صراعات ووشايات وتصفيات بينهم،أثر على ضعف إدارة الأقاليم خاصة في خراسان وما وراء النهر، لانشغال العمال بالنزاعات الشخصية دون التركيز على ما يخطط للدولة من قبل دعاة بني العباس ونقبائها،هذا ما دفع بالساخطين والرافضين للحكم الأموية أن يَنْدسُوا في صفوف الدعوة ويعملون ضد عمالهم ولصالح أعدائهم من العباسيين والهاشميين.

### د–الصراع على السلطة بين أفراد البيت الأموي

ومن العوامل التي ساعدت على نجاح الدعوة العباسية،ما أورده مصنف أخبار العباس،إذ يقول[7]:لما قتل الوليد استخلف يزيد بن الوليد،ثم هلك ،ووثب على أمرهم مروان بن محمد ، فابتزهم غصبا واقتسارا،فضعف أمر بني أمية،وانتقض الكل عليهم،وتشتت أمرهم،وبغى بعضهم على بعض،

---

(1) البلاذري:أنساب الأشراف،178/4.

(2) الطبري:تاريخ الرسل،193/7، 194، 195،ابن الأثير:الكامل،275/4.

(3) الطبري:تاريخ الرسل،280/7،ابن الأثير،الكامل ،312/4،313.

(4) انساب الأشراف: 178/4.

(5) أخبار الدولة العباسية:ص251.

(6) العقد الفريد:220/5.

(7) أخبار الدولة العباسية:ص250–251.

فأذلهم الله وأستصغرهم في أعين أعدائهم .وبلغ الأمر خراسان ،واختلاف بني أمية،فاشتدت اليمانية والربيعية على نصر بن سيار،وقاتلوه نحوا من عشرين شهرا،حتى ظهرت الدعوة.فكتب ابن هبيرة إلى مروان :«**إن كنت تريد خراسان،فعالجها برجل عام الرأي،يجمع أهلها،فان نصرا ليست همته فيما هو فيه إلا شعرا يمدح قومه ويهجو به غيرهم،فقد أوقع ذلك في صدور الناس قبله ما إن ثبت كان داعية البلاء من الاستئصال، وقد نجم بين أظهرهم قوم يدعونا لي بني هاشم** ».وهذا الموقف من ابن هبيرة يؤكد على تعمق الخلاف والتنافس بين العمال،ورسوخ العصبيات في خراسان، يستعصى على الولاة معالجتها بالشدة والقوة،بل بالحكمة والموعظة الحسنة،وانتهز أبو مسلم استغراقهم في الحرب،وما نشأ عنه من تمزقهم ،وضعف قوة نصر بن سيّار عن السيطرة عليهم، فمكّن لنفسه ولأتباعه ،قال البلاذري[1]«**كان مما زاد أمر أبي مسلم بخراسان قوة العصبية التي وقعت بين مضَر وربيعة واليمن ، بسبب تقديم نصر بن سيار الكناني بني تميم ، وتوليتهم إياهم ، وتعصبه على ربيعة واليمن، حتى غضب جديع بن سعيد –الكرماني–...فاجتمعت إليه اليمن وربيعة،فلم يزل نصر يحاربه...وكان تشاغل نصر فرصة لأبي مسلم،فقوى أمره حتى اظهر دعوته،وكتب إلى دعاته في الكور بإظهارها**».وأتاح ذلك لأبي مسلم أن يجتذب قوما من العرب إلى الدعوة ، وكان أكثر من اجذبهم من اليمانية والربعية، بعد قتل خالد بن عبد الله القَسْريُّ ،وكان اقلهم من المضرية،لأن اليمانية والربعية كانوا ألد أعداء بني أمية في هذه الحقبة من حكمهم ،ولأن المضرية كانوا اشد أنصارهم[2].

ويبدو انَّه كان فيهم بعض من العرب الذين كرهوا العصبية،وتخلوا عن الفتنة،فلما يئسوا من صلاح الأمر،وتيقنوا من سقوط الدولة الأموية،انضموا إلى الدعوة العباسية،ملتمسين فيها النجاة والخلاص ،ومبتغين من أهلها العدل والفضل.ومما يشير إلى ذلك قول مصنف العباس [3]:«**لما رأى الناس قوة أبي مسلم وإقدامه وجرأته،وأن الناس قد جاءوه من كل صوب طائعين قاصدين للبيعة،وأن شيعة بني مروان قد وقع بينهم الخلاف،وبعضهم يقتل بعضا،وأن جديعا الكرماني قد قتل الحارث بن سريح،وتسلم مرو،ثم إن نصر بن سيار قتل جديعا،وأن عليًّا وعثمان ابني جديع الكرماني مالا إلى أبي مسلم وصادقاه وحلفا له،دخل أكثر الناس في طاعته،وقوي أمره،وضعف أمر نصر بن سيَّار**».

---

[1] أنساب الأشراف، 174/4 ، الطبري:تاريخ الرسل،7/330-344، 363-371، البدء والتاريخ 62/6 – 65 ،ابن الأثير:الكامل،4/347 - 351 ،368-375.

[2] انظر حسين عطوان:الدعوة العباسية،ص246.

[3] أخبار الدولة العباسية،ص307.

يضاف إلى ما سبق ،نشاط الشيعة العدو القوي والمشاكس للأمويين ،فالشيعة العلوية،كانت من أشد الناقمين على الخلافة الأموية،بتعدد ثوراتها التي تنتهي بتصفية قادتها والانتقام شر الانتقام منهم، فتزداد الكراهية وتشتد العداوة[1]،وهذا منذ مقتل الحسين بن عليّ في كربلاء، وزاد في تأجج نشاطها وحقدها مقتل زيد بن عليّ في العراق وابنه يحي،مما أثار سخطا على الجميع حتى الصبيان الذين ولدوا في تلك السنة بخراسان سُموا باسم يحي ،وأستغل أبو مسلم ذلك ليظهر بمظهر المطالب بثأر يحي ،لعلمه بتأثير ذلك في النفوس،وأعطى دعاة العباسيين فرصة قوية للدعوة لآل البيت والأخذ بالثأر في خراسان لهما، خاصة وأن النظام الإداري لم يعرف استقراراً بخراسان،لأن العمال يتغيرون بين الحين والأخرى، وبشكل سريع ومفاجئ ،فتتغير السياسة والعصبيات ،فلا يسير الولاة على خطة موحدة،بل يَنْقُض أحدهم عمل الوالي السابق، وينتقم من أصحابه،وقد نجد الكثير من هؤلاء الولاة تنقصهم الخبرة في شؤون الحكم والإدارة، مما يدفع بهم الأمر إلى الانكباب على تجميع المال إرضاءً للخليفة،كما ذكرنا سابقاً[2].

ونتيجة لذلك حدثت فجوات وخروقات في الجانب الإداري،وظفها دعاة العباسيين أحسن توظيف ضد السلطة الأموية في خراسان وشرق العراق،لتبرير عدائهم ودعوتهم للإطاحة بسلطانهم. و لم يوظف دعاة العباسيين ضعف الولاة وخلافاتهم العصبية فقط،بل استغلوا تسامح خلفاء بني أمية لنشر برنامجهم ومبادئ دعوتهم والتضييق على الإدارة الأموية،وذلك لأن بعض الخلفاء استخفوا بالدعوة العباسية،فتساهلوا في مراقبة دعاتها ومحاصرتهم،وتسامحوا في ملاحقتهم ومحاسبتهم،ونهوا عن مراقبتهم وتَتَبُعهم،فتمكنوا من نشرها وترسيخها.وقد نشط الدعاة في بثها بخراسان في أيام هشام بن عبد الملك[3]، لأن هشام كان رفيقا رحيما،ميالا إلى الاستتابة والاستصلاح،مبغضا للقمع والفتك، ويروي ذلك ابن سعد،حيث يقول:« **ما رأيت أحدا من الخلفاء، أكره إليه الدماء، ولا أشد عليه من هشام، ولقد دخله من مقتل زيد بن عليّ وابنه يحيى أمر شديد، حتى قال: وددت لو كنت افتديتهما**»[4]. فأمر عماله أن يسيروا في الناس سيرة حسنة،وأن يتغافلوا عن خصومه،وألزمهم أن لا يحولوا بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بينه وبين ملكه،وأن يغتفروا كل ذنوبهم ما لم تبلغ أن تكون نصب راية أو صعود منبر[5].

---

(1) يوسف العش:تاريخ عصر الخلافة العباسية،ص16.

(2) أنظر يوسف العش:الدولة الأموية،ص290،291،292

(3) حسين عطوان :الدعوة العباسية،256.

(4) انظر طبقات ابن سعد:420/5،الذهبي :سير،352/5.

(5) الطبري:تاريخ الرسل،53/7، 169،ابن الأثير:الكامل،130/5،ابن كثير:البداية ،234/9.

وأستغل دعاة العباسيين سكوت الخليفة وعماله عنهم لنشر برنامج حركتهم ،والتوسع في رقعة تواجدهم، وأخطأ «**في تقدير خطرهم،وفرط في استئصال دعوتهم،وهي حديثة الميلاد،صغيرة السن، ضعيفة العود فانه كان واثقا بقوة جنده،وثبات سلطانه،مطمئنا إلى سداد مذهبه، وسلامة سياسته،فلم يكترث لدعوتهم،ولم يبال بما كان ينقل إليه من إخبار سعيهم إلى الخلافة.وأشار على ولاته بخراسان أن يلطفوا بدعاتهم،ولا يعنفوا بهم،وان يقتصروا على إخراج من يقبضون عليهم خراسان،ولا يجاوزوا ذلك إلى قتله ولا إلى حبسه،ونصحهم أن يسكنوا أهل خراسان من العرب والموالي بمباشرتهم لأمورهم،وحلهم لمشكلاتهم،وان يستعطفوهم برعايتهم لمرافقهم،وعنايتهم بمصالحهم،وان يستخلصوا طاعتهم بعدلهم فيهم،وتحقيقهم الخير لهم**»[1].فكان لحلم الخليفة هشام وصفحه عن دعاة العباسيين سبباً رئيسياً في انتشار الدعوة العباسية في ربوع خراسان وما وراء النهر، وتهديدها للسلطة الأموية أشر تهديد،أصطدم بواقعها وخطورتها من جاء من الخلفاء بعد هشام،رغم أن بعض العمال خالفوا هشام ولاحقوا الدعاة العباسيين على رأسهم الجنيد بن عبد الرحيم المري، وأسد بن عبد الله القسري[2].

وبعد وفاة الخليفة هشام ،بدأت ملامح الانهيار للخلافة الأموية باعتلاء الوليد بن يزيد المستهتر الماجن الخليع دفة الخلافة،فأجمع حوله رجال السوء،فأتى على ما ادخر هشام من الأموال، وانقلبت سياسة الدولة على عاقبيها،فساد الانتقام من الناقمين عليه، واشتدت العصبيات ودخلت في صراع وتصفيات،انتهت بمقتل الوليد،فكان إيذانا بنهاية الدولة الأموية [3]،إذ يروي المسعودي [4] : « **وكان الوليد بن يزيد صاحب شراب ولهو وطرب وسماع للغناء، وهو أول من حَمَلَ المغنين من البلدان إليه، وجالس الملهين، وأظهر الشرب والملاهي وَالعَزْف**»،«**فرماه بنو هاشم وبنو الوليد بالكفر وغشيان أمهات أولاد أبيه ،وقالوا: قد اتخذ مائة جامعة لبني أمية** »[5]، وأطلقوا عليه خليع بني مروان[6] ، وعذب خالد بن عبد الله القسري وسلمه لعدوه يوسف بن عمر والي العراق الذي أنزل به أقسى العذاب حتى مات في المحرم سنة 126هـ / 744م[7]،وتسليط يوسف بن عمر على خالد القسري معناه إغراء قبائل قيس بقبائل اليمن، فنتج عن ذلك تذمر سياسي في العراق والشام بين اليمن

---

(1) حسين عطوان:الدعوة العباسية،ص256.

(2) تاريخ اليعقوبي:319/2، الطبري:تاريخ الرسل،40/7، 50، 88، 109.

(3) أنظر يوسف العش:الدولة الأموية،ص301،302،304.

(4) مروج:225/3-226.

(5) ابن الأثير:الكامل،299/4.

(6) المسعودي:مروج،228/3.

(7) أنظر الدينوري:الأخبار الطوال،ص319،320،321،الطبري:تاريخ الرسل،258/7،259،260، ابن الأثير:الكامل،4/296، 297، 299.

هنا وهناك، وتحركت اليمانية برئاسة قضاعة ،وهم أكثر جند الشام ، وحرضوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك على البيعة لنفسه، واستولى يزيد على دمشق ، وقاتل الوليد الذي كان يقيم بقصر البخراء من تدمر بالبادية هروبا من الطاعون،حتى قتل سنة 126هـ/744م[1]،وهذا الخلاف والصراع بين أفراد البيت الأموي،هو الذي أدى إلى كثرة الطامعين فيهم والمنشقين عليهم ، على رأسهم دعاة العلويين العباسيين الذين ترصدوا الوضع.

وقد زاد في هذا التدهور انتقال مركز ثقل الدولة إلى خارج دمشق منذ عهد الخليفة هشام، حيث انتقلت العاصمة إلى البادية هروبا من الطاعون،وعَقَّد الوضع،انتقال الخلافة من فرع آل عبد الملك ابن مروان إلى آل محمد بن مروان،وما عقب ذلك من صراع ،ثم انتقال الحكم إلى حران في الجزيرة والاستقرار بالموصل ،فكان ذلك بمثابة انقلاب على التقاليد الأموية في الحكم، لانتقال العصبية من الكلبية اليمنية إلى القيسية،ومن المجتمع المدني إلى المجتمع البدوي العسكري، مما دفع بالمجتمع الدمشقي أن يدافع عن نفسه وعن حقه المغتصب،فكان الخرق والفتق في أسس الحكم الأموي وأركانه [2] ،فخرج الفرع الجديد عن وصية معاوية بن سفيان ودهائه، وبالتالي التخلي عن العصبية اليمانية ،وعن بناة الدولة،وعن العاصمة دمشق، فكان الزوال لسلطان الأمويين بعد تكالب العباسيين المدعمين من قبل كل العصبيات الساخطة والحاقدة عليهم.

## 2-برنامج الثورة العباسية

لقد ركز العباسيون في برنامج دعوتهم على شرائح من المجتمع عانت من ظلم الأمويين مع الأخذ بالجانب الأمني والاهتمام بالبعد الاقتصادي والإعلامي للدعوة،لأن لكل دعوة أو مذهب منظومة فكرية وشعارات خاصة تنادي بها وتجعلها رمزاً يؤمن بضرورة تحقيقه ومن أهم مطالب برنامج الدعوة العباسية التي رفعتها ونادت بها هي:

### أ- الإمامة للرضا من آل محمد

اتخذ دعاة العباسيين من هذا المبدأ شعاراً ومطلباً عاماً ،يرضي الشيعة ويرضى أهل السنة تقريبا، هو أن المبايعة للرضا من آل محمد ﷺ بدون تعيين اسم ولا تعيين هل هو من البيت العباسي أم من

---

[1] أنظر مصطفى أبو ضيف:دراسات في تاريخ الدولة العربية،497-499.

[2] أنظر يوسف العش:الدولة الأموية،ص324،325،326،327.

الطالبيين،رغم أن الشيعة انتبهت إلى أن العباسيين كانوا يخططون لأنفسهم ولكن بعد فوات الأوان[1].
وأعتمد العباسيون في برنامج دعوتهم على التستر وإخفاء اسم الشخص الذي يبايع له، و لم يأخذوا البيعة لأنفسهم ،وباسمهم[2]،بل كانوا يدعون إلى «**الرضا من آل محمد**»،ويقصد به أي شخص من آل البيت النبوي يتفق عليه في الوقت المناسب [3]،درءا وتقية لما قد يصيب الدعوة من أخطار إذا ما اكتشفت السلطات الأموية سرها، وفي نفس الوقت كسبا لأنصار جدد من شيعة فارس الذين كانوا يميلون–سواء عن إيمان عقائدي راسخ أو بدافع من الشعور القومي –للعلويين[4]، لذا كان العباسيون يخفون ما استطاعوا على الناس ،أنهم كانوا يريدون تنحية أبناء فاطمة،بل يظهرون أنهم يعملون من أجل أبناء فاطمة،ويتظاهرون بأنهم يريدون أن يَثْأَرُوا لشهداء أبناء فاطمة ،لذلك لم يَتنكرُوا للشيعة ومبادئها،لأن هَمُهم الأول تلقي الشيعة بهم،رغم بعض التخوف على تنظيم الشيعة في خراسان وخاصة من قبل خداش، وانفلات أمر خراسان نوعا ما من رقابة محمد بن عليّ ،مما أدى بإبراهيم بن محمد بن عليّ الإمام التركيز على قيادة خاصة ومنفصلة بخراسان من أجل التحكم في زمام الدعوة في المنطقة [5] وفصلها عن العراق ، لهذا كانت البيعة التي يدعوا لها أبو مسلم على النحو التالية:« **أبا يعكم على كتاب الله وسنة رسوله محمد، صلى الله عليه وسلم ، والطاعة للرضا من أهل بيت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وعليكم بذلك عهد الله وميثاقه والطلاق والعَتاق والمشي إلى بيت الله الحرام، وعلى أن لا تسألوا رزقاً ولا طعماً حتى يبتدئكم به ولا تكم**»[6]،وزيادة في تعمية الأمر على الأمويين والعلويين، وتجنبا لإثارة الشبهات في نواياه الحقيقية [7]،لذلك أسرّ العباسيون شخصية الإمام ، وبالغوا في كتمها مبالغة شديدة ،فلم يكن يعرف اسمه ونسبه إلا كبير دعاتهم ،أما سائر دعاتهم وشيعتهم فكانوا يجهلون الإمام ولا يعلمون من أمره شيئاً ، و لم تكن البيعة تؤخذ لهم ، بل كانت تؤخذ لرجلٍ مجهول من أهل البيت ، يتفق عليه بعد ذلك [8] وقد دأب دعاتهم على الدعوة للرضا من آل محمد في المرحلة السرية من

---

[1] حركة النفس الزكية ص 44.

[2] فلهاوزن،الدولة العربية، ص489.

[3] يوسف العش:تاريخ عصر الخلافة العباسية،ص20.

[4] لان الحسين بن عليّ كان قد تزوج من شهر بانوه بنت كسرى يزد جرد الثالث أخر أكاسرة الدولة الساسانية البائدة،ولهذا السبب أيدوا أئمة الشيعة لأنهم يجمعون بين اشرف دم عربي واشرف دم فارسي،وان كانوا قد وجدوا في هذا التأييد سبيلا إلى التسلل ضد العرب وانتزاع السلطان عنهم( أنظر هامش عبد العزيز سالم:العصر العباسي الأول،ص22).

[5] أنظر فلهاوزن،الدولة العربية، ص489،491،491.

[6] الطبري:تاريخ الرسل،380/7،ابن الأثير:الكامل،378/4،النويري:نهاية الأرب،12/22،ابن خلدون:العبر،153/3.

[7] عبد العزيز سالم:العصر العباسي الأول،22/3.

[8] فلهاوزن:تاريخ الدولة العربية ،ص 489

دعوتهم[1] كما دأبوا عليها بعد إعلان الثورة بمَرْو الشاهجان سنة ثلاثين ومائة. فإن البيعة كانت تؤخذ على الجند من الهاشمية للرضا من أهل البيت [2] ولزمها قادتهم و لم يفارقوها حين بدأت الحرب بين الجيوش العباسية والجيوش الأموية، فإنهم كانوا إذا بلغوا مدينة وحاصروها، يسألون أهلها البيعة للرضا من آل محمد، دون تسميةٍ له، فإن أجابوه إلى ذلك أمَّنوهم ،ودخلوا مدينتهم صُلْحاً ، وإن أَبَوْا قاتلوهم، وفتحوا مدينتهم عنْوةً[3].

ورغم أن بعض الدعاة اختلفوا حول الدعوة،فهناك من يدعون إلى أهل البيت ،وكان منهم من يدعو للعلويين،ومنهم من يدعو للعباسيين قال أبو الفرج الأصفهاني [4]:«**خرجت دُعاةُ بني هاشم إلى النواحي عند مَقْتَلِ الوليد بن يزيد ، واختلاف كلمة بني مروان ، فكان أوَّل ما يُظْهِرُونَهُ فضلَ عليّ ابن أبي طالبِ وَوَلَدهِ وما لَحِقَهم من القتل والخوف والتشريد ، فإذا اسْتَتَبَّ لهم الأمر ومَلَكُوا، ادَّعى كل فريقٍ منهم الوَصيَّةَ لمن يَدْعُو إليه** »،إلاَّ أن الدعوة في مجملها ضد بني أمية، ومعادية لخلافتهم وسلطانهم، وتعمل على الإطاحة بهم،بل بالغ في تشددهم،حتّى أبطلوا خلافة الخلفاء الراشدين ورفضوها، إلاَّ خلافة عليّ،كما أنكر خلافة خلفاء بني أمية، وذكر فيها أن العباسيين ثاروا على الأمويين وحاربوهم لينتزعوا الخلافة منهم، وثأروا لأبناء عمومتهم العلويين، إذ يقول داود بن عليّ: «**إنما أخرجنا الأنفة من ابتزازهم حقَّنا، والغَضَب لبني عمنا**»[5]،والتركيز على ابتزاز بني أمية لحق آل البيت يؤدي في النهاية إلى تعاطف المعارضين مع الدعاة العباسيين لنصرة حق آل البيت. وقد صنع العباسيون ذلك بالعلويين مُخادعةً ومُداراةً لهم، وكَسْباً لمودتهم، وطمعاً في مُساندتهم، ودعماً بشيعتهم ، وتضليلاً واستهواءً لأفْئِدتهم ، وأملاً في مؤازرتهم ،لأنهم كانوا يخشون إذا صَرّحوا بطلبهم للخلافة أن يستاءَ العلويون منهم ، ويثورون عليهم ، ويَنَدِدوا بهم، وينقطعوا عنهم ،و ينفَرَوا شيعتهم عن موالاتهم، ويجهروا بمُعاداتهم ، ويكفوا عن معاونتهم ، فيدبَّ الخلاف والشِّقاقُ بين أهل البيت ، ويَضْعَف أمرهم ، وتفشل دعوتهم[6].

---

[1] تاريخ اليعقوبي:333/2، البلاذري:أنساب الأشراف،177/4 ، الطبري:تاريخ الرسل، 384/7، البدء والتاريخ، 95/6، ابن الأثير:الكامل،378/4.

[2] الطبري:تاريخ الرسل،380/7 ، ابن خلدون:العبر،147/3.

[3] أنظرأخبار الدولة العباسية: ص317 ، 327 ، 329، 335، 340، 352 ،365.

[4] مقاتل الطالبين ص: 233.

[5] الطبري:تاريخ الرسل، 426/7 ،ابن ألأثير:الكامل(دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان) ،67/5 ،ابن كثير:البداية ، 651/5.

[6] حسين عطوان:الدعوة العباسية،ص98.

وهذا أبو مسلم الخراساني يكشف لنصر بن سيار والكرماني وشيبان عن دعوته لآل البيت بعد أن انفرد بقيادة عسكره ،استعدادا لمواجهة خصومه،قائلاً لهما: «**إني رجل أدعو إلى الرضا من آل محمد ولست أعرض لكم، ولا أعين منكم أحدا على صاحبه**»[1].ويضيف يوسف العش[2] مطلبا آخر اتخذه العباسيون، وهو الإشهار بأن العمل سيتم ثأراً لأهل البيت ،وهو هدف يثير الانتقام عند الأتباع المتحمسين خاصة الشيعة.

وكان من سعة أفق الإمام محمد بن عليّ العباسي وثاقب نظره أن رأى أن نقل السلطان من بيت إلى بيت لا بد أن يسبقه إعداد للأفكار وتهيئة النفوس لهذا التغيير. وأن كل محاولة فجائية قد تكون عاقبتها الإخفاق ، فرأى بعد نظره أن الأمر يحتاج إلى شدة الحيطة فطلب من شيعته أن يدعوا الناس إلى ولاية آل البيت والرضا من آل محمد دون تسمية أحد [3].وكان هذا المطلب غير محدد بتحديد آخر بالنسبة لعامة الناس ،أما الخاصة فهم يعرفون رياستهم ولمن يدعون من آل البيت . والعامة والخاصة معا يريدون ألاَّ تبقي الإمامة في بني أمية ،والشعار ينادي بضرورة نقل الخلافة عنهم واعتبارهم مغتصبين[4].

ويواصل محمد بن عليّ العباسي تأكيداً لقادة الدعوة، عدم ذكر اسمه، وأن تكون دعوتهم غاية في السرية، فهو يقول لأبي عكرمة السراج عندما أرسله إلى خراسان: «**فلتكن دعوتك إلى الرضا من آل محمد، فإذا وثقت بالرجل في عقله وبصيرته فاشرح له أمركم، وقل بحجتك التي لا يعقلها إلاَّ أولو الألباب، وليكن اسمي مستورا عن كل أحد إلاَّ عن رجل عدلك في نفسك في ثقتك به وقد وكّدتَ عليه وتوثقتَ منه وأخذت بيعته...فإن سئلتم عن اسمي فقولوا: نحن في تقية، وقد أمرنا بكتمان اسم إمامنا** »[5]،كما حذر محمد بن عليّ دعاته من أهل الكوفة قائلاً : «**ولا تستكثروا من أهل الكوفة، ولا تقبلوا منهم إلاَّ أهل النيات الصحيحة** »[6] ،خوفاً من كشف أمر الدعوة، وأوصى محمد بن عليّ الدعاة أن يقضوا حوائجهم بالكتمان، وأن يكون ظاهر عملهم التجارة وغايتهم الدعوة إلى آل البيت قائلاً:« **انطلقوا أيها النفر فادعوا الناس في رفق وستر، فإني أرجو أن يتم الله أمركم، ويظهر دعوتكم ولا قوة إلا بالله** »[7]،ثم قال لهم: « **فإن سئلتم عن اسمي فقولوا نحن في تقيه وقد أمرنا بكتمان اسم**

---

(1) البلاذري: أنساب الأشراف،4/174-175.

(2) تاريخ عصر الخلافة العباسية ص 20.

(3) البلاذري : انساب الأشراف، 4/ 110، أخبار الدولة العباسية،ص194، الذهبي:سير،6/58.

(4) حسن محمود : العالم الإسلامي في العصر العباسي ،ص 21.

(5) أخبار الدولة العباسية:ص204.

(6) المصدر نفسه:ص193-194.

(7) الدينوري: الأخبار الطوال،ص305.

**إمامنا**»[1].وأرسل محمد بن عليّ دعاته في الآفاق، يدعون الناس سراً، ظاهر أمرهم الاشتغال بالتجارة وباطنه الدعوة للرضا من آل البيت، واصفين إياه بالتقى والصلاح والزهد والورع.

وهذه المبالغة في السرية من أجل ابعاد الشكوك التي تحوم حول الحميمة، جعل دعاة خراسان يتصلون بالكوفة بدل الحميمة، حتى لا يلفت أنظار الأمويين فينكشف أمره. ولضمان السرية التامة لدعوته، فقد أمر كبار دعاته بأن يسلكوا في طريقهم إليه الطرق الرئيسية وأن يحاولوا التستر بزي التجار، كما يقللون التردد على الحميمة ما أمكن[2].

وهكذا تستر الدعاة العباسيون تحت هذه الواجهة الفضفاضة –واجهة الرضا لآل البيت- لكي يسكنوا أمر العلويين إلي حين يتمكنوا ويشتد عودهم .

ويبدو أن هذا الغموض في المبادئ خدمت السياسية العباسية في مدة الدعوة السرية وكان له أثر بالغ في نجاحها فشعار «**الرضا من آل محمد**»يضيق دائرة الخلاف فيحصرها في أهل البيت من قريش، ويخرج الأمويين منها ويبطل حقهم فيها، وفي الوقت نفسه يجعل للعباسيين نصيباً منها على أساس أنهم أحد فرعي أهل البيت، ويتيح لهم كسب أعداد كبيرة من أنصار أهل البيت ومؤيديهم، وهو من الناحية الأخرى يوقف النزاع بينهم وبين العلويين ولو مؤقتاً ويجمعهم تحت راية واحدة.

### ب-قلب النظام الأموي الجائر

عندما وجه الإمام محمد بن عليّ دعاته إلى العراق وخراسان لم يظهر لهم في أول أمره أهدافه الحقيقية،بل اظهر أمامهم سعيه لقلب نظام الحكم الأموي وإعادة الحق إلى أصحابه الشرعيين حتى يجتذب إليه الأنصار والمؤيدين[3]، وبذلك يستغلون فرق الشيعة ضد بني أمية، أي كان لون مذهبهم، وكانت الغاية الأولى للعباسيين التركيز على الجانب السلبي،و لم يظهروا أمام أتباعهم أنهم طلاب الخلافة، بقدر ما كانوا يدّعون أنهم الأداة التي أراد بها الله قلب الحكم الأموي، ومن ذلك لم يقدموا أشخاصاً،بل قدموا القضية التي يدافعون عنها« **وهي الكفاح لنصر الحق والعدل على الباطل والظلم** »[4]، بدليل أن أبا سلمة الخلال الذي تلقب بلقب وزير آل محمد،حاول أن يقيم خلافة علوية،ورشح لذلك ثلاثة من أئمة الشيعة هم جعفر الصادق وعبد الله المحض وعمر بن زين العابدين، ولكنه فشل في ذلك[5].ومن هنا

---

(1) أخبار الدولة العباسية:ص204.

(2) الدوري:العصر العباسي الأول،ص24.

(3) أنظر فلهاوزن: تاريخ الدولة العربية، ص477.

(4) المرجع نفسه: ص489.

(5) المسعودي:مروج،268/3،ابن قتيبة:الإمامة والسياسة،118/2.

تجنب العباسيون في هذه المدة –الدعوة السرية– كل ما يبين أنهم قاموا لأخذ محل العلويين، فأظهروا أن غايتهم قلب الدولة الأموية، وأخفوا سعيهم لأخذ الخلافة، وحاولوا أن يبينوا للناس [1]أن دعوتهم لآل البيت لاسترجاع حقهم في الخلافة وتجنباً لأي تأويل ، لهذا نجد محمد بن عليّ أوصى بكير بن ماهان أن يذكر جور بني أمية، وأن آل محمد أولى منهم بالأمر، وأوصاه أن يُحذر شيعة بني العباس التحرك في شيء مما يتحرك فيه بنو عمِّهم من آل أبي طالب، فإنَّ خارجهم مقتول، وقائمهم مخذول وليس لهم في الأمر نصيب، وخوّفه جماعة أهل الكوفة وأمره أن لا يقبل منهم أحداً إلاَّ ذوي البصائر، فإنهم لا يُعزُّ به من نصروه ولا يوهنون بخذلانهم من خذلوه [2].

و لم يكتف زعماء الدعوة العباسية ببرنامج إسقاط النظام الأموي ،بل مخالفة الأمويين في كل شيء،باتخاذ الدعاة شعار معادي لشعار الدولة الأموية وهو اللون الأسود،وتعداد مساوئ النظام الأموي،الأمر الذي أفاد منه الدعاة العباسيين أتم فائدة .مما جمع طاقات عظيمة من السخط في نفوس الخراسانيين على الحكم الأموي ومساوئه.وقدر لهذه الطاقات أن تبلغ أقصاها في الفترة الأخيرة من العصر الأموي ،أي منذ عام 100 هـ/718م على وجه التحديد[3].

أن الدعاة العباسيين لبسوا السواد هم ومن أجابهم من أهل سفيذنج [4]وأوقدوا النيران لليلتهم، فبث أبو مسلم دعاته في الناس واظهروا أمره فاتاه في ليلة واحدة أهل ستين قرية،فلما كانت ليلة الخميس لخمس بقين من رمضان من السنة عقد اللواء الذي بعث به الإمام الذي يدعي الظل علي رمح طوله ثلاث عشرة ذراعا وعقد الراية التي بعث إليه وهي التي تدعي السحاب علي رمح طوله ثلاث عشرة ذراعا وهو﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾ [5]. وقدم على أبو مسلم الدعاة بمن أجاب الدعوة فكان أول من قدم عليه أهل التقادم مع أبي الوضاح في 900 راجل وأربعة فرسان و 1300 راجل وستة عشر فارسا مع أبي القاسم محرز بن إبراهيم الجوباني،فجعلوا يكبرون ودخلوا حصن أبي مسلم بسفيذنج بعد ظهوره بيومين وحصن أبو مسلم حصن سفيذنج ورمه وسدد دروبها. وتأولوا الظل والسحاب بان السحاب يطبق الأرض وان الأرض كما لا تخلوا الأرض من الظل فكذلك لا تخلو من خليفة عباسي إلي آخر الدهر[6].

---

[1] الدوري:العصر العباسي الأول ،ص 24.

[2] أخبار الدولة العباسية: ص 200.

[3] حسن محمود : العالم الإسلامي في العصر العباسي ،ص 36

[4] سفيذنج: قرية بينها وبين مرو أربعة فراسخ (الحموي 339/3).

[5] سورة الحج –الآية:39.

[6] الطبري:تاريخ الرسل،356/7–357،ابن الأثير:الكامل، 360/4،ابن كثير:البداية،639/5–640.

وتختلف الروايات حول السبب الذي حدا بالعباسيين إلي اتخاذ السواد شعارا لهم .فمنها ما يرجع ذلك إلي لون عمامة عبد الله بن عباس السوداء ،ومنها ما يرجعه إلي لون سهم عبد المطلب جد النبيﷺ حين تنازع مع قريش لما أعاد حفر بئر زمزم،أو لأن بني هاشم كانوا يتفاءلون بالسواد [1] .وقال إبراهيم: إذا شارفتم الثلاثين والمئة نجم حقكم،وظهور دعوتكم في البلاد كلها، ويكون السواد لباسنا ولباس أنصارنا وفيه عزنا،«**وهو جند أيدنا الله به،ولأن راية رسول الله ﷺسوداء... وكانت راية عليّ ابن أبي طالب سوداء، فعليكم بالسواد فليكن لباسكم، وليكن شعاركم: يا محمد يا منصور...وبعث أبا سلمه إلى خراسان، ودفع له ثلاث رايات سود، وأمره أن يدفع واحدة إلى من بمرو من الشيعة، ويدفع واحدة إلى من بجرجان من الشيعة، ويبعث بواحدة إلى ما وراء النهر.فشخص أبو سلمه إلى خراسان فكان أول من قدمها بالرايات السود**»[2]،ويقول ابن كثير [3]:أن العباسيين تأولوا إحدى الروايتين بالسحاب لان السحاب كما يطبق على جميع الأرض كذلك بنو العباس تطبق دعوتهم على أهل الأرض،وهو ما أكسب الأنصار وأججهم ضد بني أمية.

## ج-الدعوة إلى الإصلاح

ومن برنامج العباسيين الدعوة للإصلاح، أو الدعوة إلى الكتاب والسنة وهو مطلب عام، وهو أشمل مبادئ الدعوة العباسية ،لذا نجد البيعة تكون على النحو التالي: «**أبايعكم على كتاب الله وسنة رسوله محمد،ﷺ**»[4]،تأكيداً على التمسك بكتاب الله وسنة نبيه،وعدم مخالفتهم ذلك، وبالتالي مخالفة بني أمية في الحكم لأنهم تخلوا عن الكتاب والسنة ،خاصة الخلفاء المتأخرين.

لهذا نجد أبا مسلم ركز نشاطه على كسب الأتباع ، ونشر مبادئ البرنامج على حساب أتباع نصر بن سيار،فكتب له كتاب يدعوه فيه إلى الطاعة والدخول إلى الدعوة، و يعلمه أن هذه الرايات السود التي أظهرها هي التي ستنتصر في النهاية،وأوفد لذلك وفداً إلى نصر بن سيار وأصحابه يدعوهم « **إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وإحياء ما أحيا القرآن وإماتة ما أمات القرآن...﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ،وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ﴾**[5]، **فإن فعلتم فحظكم أصبتم، لكم**

---

[1] أنظرأخبار الدولة العباسية ،ص245-247.

[2] المصدر نفسه:ص245.

[3] البداية :5/639-640.

[4] الطبري:تاريخ الرسل،7/380،ابن الأثير:الكامل،4/378،النويري:نهاية الأرب،22/12،ابن خلدون:العبر،3/153.

[5] سورة الأحقاف- الآية:31،32.

**ما لنا وعليكم ما علينا، وإن أبيتم وغلب عليكم الشقاء فنحن ندعوكم إلى الموادعة، فلا نبدؤكم بحرب حتى نؤذنكم ولا تبدأونا بحرب حتى تؤذنوننا**»[1].وهذه الدعوة تحييداً لنصر وأتباعه من الوقوف في وجه برنامج الدعاة، وتحذيراً له،وَدفْعاً لعامة الناس نحو الثورة على مظالم بني أمية والاندماج في صفوف أبي مسلم ودعاته،لأن قضيتهم هي قضية جهاد الحق ضد الباطل [2].

والواقع أن أحداثاً كثيرة تركت في النفوس آثاراً مريرة، مثل حصار الكعبة وانتهاك حرمة المدينة المنورة يوم الحرة، وسفك دماء أهل البيت وسياسة القهر واضطهاد المعارضة، والابتعاد عن سيرة السلف الصالح، وحب الترف واللّهو وكثرة مظاهره وكثرة المذاهب وتصارعها وظهور أقوال كثيرة غير مألوفة من قبل، والاعتماد على العصبية في الحكم،وكثير منها ذكرناها في الأسباب الخاصة بالثورات سابقاً.

وأمام هذا الفساد الذي أصبحت عليه السلطة الأموية ،طالب الكثير بإصلاحها والعودة بالسلطة إلى ما كانت عليه في العهد الراشدي،لذلك كانت وصية إبراهيم الإمام إلى العباس،عليك« **بتقوى الله وطاعته في قولك وفعلك، وإصلاح نيتك ليصلح لك عملك**»[3]،وهي توضح مجالات الإصلاح التي تسعى إليها الدعوة العباسية في إطار برنامجها الشامل، لمحاربة مفاسد السياسة الأموية في شتى مجالاتها الدينية والسياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية.

فكان الإصلاح مطلب الأجيال علي اختلاف مذاهبهم وأجناسهم .طالما أن مفاسد السياسة الأموية أثرت على الجميع عرب كانوا أم غير عرب.

### د–تحقيق مبدأ المساواة

وكانت مهمة الدعاة والنقباء في خراسان تقوم على ترديد بعض مبادئ البرنامج التي ينادي بها العباسيون،كتحقيق مبدأ المساواة الذي كانت تتستر وراءه نزاعات متباينة،والذي أيده جماعة كبيرة من الشعوبيين العجم لأنه يحقق لهم مكاسب تهدف إلى إحياء المجد الفارسي القديم وإدانة دولة بني أمية كما أيده آخرون من العرب على أساس تسوية الموالي بالعرب استنادا على مبدأ الفقهاء في الإصلاح ،ومحاربة الظلم والعسف[4].

---

[1] أخبار الدولة العباسية،ص287.

[2] الدوري:العصر العباسي الأول ،ص 24.

[3] البلاذري:أنساب الأشراف،4/166-167.

[4] حسين عطوان:الدعوة العباسية،ص28.

وتُعتبر"المساواة"من أهم محاور البرنامج التي رفعها العباسيون لاستقطاب الجماهير ، والواقع أن هذا البرنامج قد ساهم إلي حد بعيد في إنجاح الثورة العباسية.وإنصاف الشعوب التي أسلمت واستعربت واندمجت في ظل دولة عربية إسلامية ،وصارت تتطلع إلي المساواة .وهذا المطلب في حد ذاته مبدأ إنساني جليل لا تزال الأجيال تتعلق به منذ القدم وتتخذه مثلاً أعلى. وهو مطلب له معني خاص في حضارتنا الإسلامية .لأنه يؤكد على عدم التفرقة بين الناس بحسب ألوانهم أو دمائهم أو تاريخهم ،وإلغاء هذا التقسيم والتمييز بين الشعوب ،لأن تعدد الشعوب ليس إلاّ ضرورة من ضرورات التعرف بين الناس، وعلي أساس أن الشعوب قد عمها الاستعراب واندمجت في الحضارة العربية في ظل دولة إسلامية واحدة عزيزة الجانب[1].

وأن غايتي برنامج الدعوة العباسية هوتطبيق شرع الله، شعاره العدل والمساواة، ويحق الحق ويبطل الباطل، وسيملأ الدنيا صلاحاً وعدلاً،كما ملأها بنو أمية فسقاً وجوراً – كما يدعون [2]، لهذا بايع الناس محمد بن عليّ على طلب السلطان« **لعل الله أن يحيي بك العدل، ويميت بك الجور، فإن هذا وقت ذلك**»[3]،واستخدم الدعاة مهنة التجارة يستخفون وراءها لنشر الدعوة التي أسندت إليهم، وأخذوا يجوبون البلاد طولاً وعرضاً لاستقطاب أكبر عدد من الناس فكانت مهمتهم أسهل، ومراقبتهم أصعب، ثم إن هؤلاء الدعاة لم يكونوا من عامة الناس، بل تسلحوا بسلاح الثقافة والمعرفة والإخلاص للدعوة والتفاني في سبيلها، فبذلوا الأموال ولاقوا السجن والقتل والتمثيل، وكانت لديهم الحنكة لاجتذاب الأنصار [4].

ومطلب المساواة بين الشعوب، مطلب أساسي، ساهم في إنجاح الثورة العباسية ،لأن أكرم الناس عند الله أتقاهم وقد تستر خلف هذا المبدأ دعاة العباسيين وشنعوا به على بني أمية وزعموا أنهم انحرفوا عن هذا المبدأ الإسلامي الأصيل.

---

(1) حسن محمد : العالم الإسلامي ،ص 23

(2) أخبار الدولة العباسية،ص292.

(3) الدينوري:الأخبار الطوال،ص305.

(4) أخبار الدولة العباسية:ص204،203.

## 3- سير تنفيذ برنامج الثورة العباسية

بعد أن اخذ محمد بن عليّ البيعة من الدعاة،وشيعة عبد الله بن محمد،بدأ بتنظيم أمور الدعوة من حيث اختيار أماكنها ودعاتها[1]،فقد تم اختيار الكوفة وخراسان مركزا لنشر الدعوة وخاصة أن خراسان بعيدة عن مركز الخلافة وحاضرتها،بينما الكوفة اتخذ فيها مركزا للدعوة ، لأنها مهد التشيع لآل البيت منذ زمن طويل،ينطلق منها الدعاة خفية نحو خراسان،وتَجَنب أن تكون مركزا للدعوة ، أما هو فكان مقيم بالحميمة،وهو المكان المناسب لوقوعها على طريق الحج ، وليست قريبة من الحجاز، وبذلك فهي بعيدة عن أعين آل عليّ وبعيدة عن نظر الخلفاء الأمويين،هذا ما يُسهل الاتصال بدعاته أثناء ذهابهم للحج فيمرون على الحميمة ويجتمعون بإمامهم، ويتبادلون الآراء والأخبار [2].أما خراسان فأهلها يفهمون فكرة التشيع بسهولة،ويعتقدون بنظرية الحق الملكي المقدس التي كانت سائدة في بلاد الفرس منذ أيام آل ساسان،بالإضافة إلى شعور الفرس بالظلم والقهر من الأمويين [3]، لذلك وصف محمد بن عليّ الأهواء والميول التي كانت سائدة بين أهالي الولايات الإسلامية عندما وجه أبي عكرمة السراج إلى خراسان،قائلاً:«**أما الكوفة وسوادهم فهناك شيعة عليّ بن أبي طالب. وأما البصرة فعثمانية تدين بالكفّ وتقول كن عبد اللّه المقتول ولا تكن عبد الله القاتل. وأما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب كأعلاج ومسلمون في أخلاق النصارى. وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان، عداوة لنا راسخة وجهلًا متراكماً. وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وصدوراً سليمة وقلوبًا فارغة لم تتقسمهم الأهواء ولم تتوزّعهم النّحل ولم تشغلهم ديانة ولم يتقدّم فيهم فساد ... وهم جند لهم أجسام وأبدان ومناكب وكواهل ... ولحىً وشوارب وأصوات...وبعد فكأني أتفأّل إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق** »[4]، فكان خراسان المكان الذي يمكن أن تنمو فيه الدعوة وتحقق أكبر النجاح للقضاء على الحكم الأموي بعد أن بين الموانع القائمة بكل إقليم على حده، ثم ذكر المؤهلات التي تجعل إقليم خراسان هو المكان المناسب لاحتضان الدعوة العباسية ،ووضح ابن طباطبا [5] أسباب ذلك ،قائلاً:أن أهل الحجاز قليلون، ولأن أهل الكوفة والبصرة سبق وأن فشلوا حين اعتمد عليهم عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين، أما أهل الشام ومصر فهواهم مع بني أمية،ورغم ذلك ظل

---

[1] عمر فاروق : الثورة العباسية، ص 149.

[2] يوسف العش:تاريخ عصر الخلافة العباسية،ص18.

[3] حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام، 2/ 14-15..

[4] ابن قتيبة: عيون الأخبار،1/204-205،أخبار الدولة العباسية:ص206،207، المنتظم:7/56.

[5] الفخري:ص144.

محمد بن عليّ يتخذ من الحميمة [1] مترلاً ومستقرا له،لوقوعها في طريق التجارة الرئيسي،والرابط بين الحجاز والشام.

## أ–مراحل الثورة

في أوائل القرن الثاني للهجرة بدأت الدعوة السرية للعباسيين بعد أن عين محمد بن عليّ من السبعين الذين استجابوا للدعوة اثني عشر نقيباً أغلبهم عرب، وهم: سليمان بن كثير الخزاعي،مالك بن الهيثم الخزاعي أبو عيينة ،طلحة بن رزيق الخزاعي ،عيسى بن أعين الخزاعي مولى لخزاعة ،عمرو بن أعين أبو الحكم، مولى لخزاعة،لا هز بن قُرَيْظ التميمي، موسى ابن كعب التميمي أبو علي ،عيسى بن كعب التميمي، القاسم بن مجاشع التميمي أبو نصر ،خالد ابن إبراهيم، أبو داود، من بني عمرو بن شيبان بن ذهل، شبل بن طهمان الرُّبَعي أبو علي الهروي الشيباني،وقحطبة بن شبيب الطائي، أبو حمزة[2]،وأمرهم أن تكون الدعوى:«للرضا من آل محمد»[3].

وبدأ الدعاة بالانتشار في القرى والمدن والبلدات الخراسانية بالدعوة لآل البيت، وكان فكر الدعوة يقوم من الناحية السياسية على التذكير بظلم بني أمية وطغيانهم [4]،وعدم مساواتهم بين الناس[5]،أما الناحية الدينية فكانت الدعوة لآل البيت من خلال التركيز على اغتصاب الأمويين لحق الهاشميين في الحكم وقيادة الأمة [6].وقد نجح الدعاة بشكل كبير في نشر الدعوة وكسب المؤيدين لها، وازدياد أعدادها مع مرور الأيام[7]،وذلك بالرغم من كشف أمرهم في بعض المراحل إلا أن الدعاة كانوا يستغلون الصراع القبلي من اجل الخلاص مما يقعون فيه كما حصل عام 117هـ/735م في ولاية عبد الله القسري عندما قبض على عدد من الدعاة ،إلاَّ أنهم تمكنوا من الإفلات بسبب توسط القبائل لهم

---

[1] الحميمة : بلد صغير جنوب الأردن في أطراف الشام وكانت مترل بني العباس حتى إعلان دولتهم بالكوفة ، أنظر:الحموي: معجم ، 307/2.

[2] البلاذري:أنساب الأشراف،158/4،الطبري:تاريخ الرسل،379/7-380، أخبار الدولة العباسية:ص216-217،ابن كثير: البداية،522/5.

[3] البلاذري: أنساب الأشراف،177/4،الطبري:تاريخ الرسل،384/7.

[4] عمر فاروق :الثورة ،ص 140.

[5] المرجع نفسه.

[6] السيوطي ،تاريخ ،ص 233.

[7] تاريخ اليعقوبي: 2/ 308 ،الدينوري :الأخبار الطوال ،ص 305.

واستغلال العصبية القبلية[1]،ومما ساعد الدعوة العباسية أيضا عودة الشيعة إلى الثورة ضد الأمويين ،كما ذكرنا سابقاً،وثورة عبد الله ابن معاوية عام 127هـ/745م مما شغل الأمويين عن الدعوة العباسية[2].

وهكذا استطاع دعاة الدولة العباسية الحفاظ على سرية دعوتهم على الرغم مما تعرضوا له من تعذيب وتنكيل،وكانوا على تواصل مستمر مع إمامهم محمد بن عليّ،فقد كانوا يلتقون به في مواسم الحج من اجل إعطائه الأموال وتوزيعها واطلاعه على آخر أخبار المراحل التي وصلوا إليها [3]،وعلى هذا النحو تمت دعوة بني العباس،وتطورت وتشكلت منظماتها ومؤسساتها في عهد محمد بن عليّ حتى توفي عام125هـ/743م[4]،وقيل إنه توفي عام 124هـ /742م[5]،وتولى أمر الدعوة من بعده ابنه إبراهيم ابن محمد[6]،فبايعه الدعاة ورضوا به [7].وكان ابرز ما قام به إبراهيم بادئ ذي بدء هو اختيار اللون الأسود شعارا للعباسيين،كما ذكرنا.

## ب–دور أبي مسلم الخراساني في الثورة العباسية

استغل القائمون على الدعوة انبعاث العصبيات القبلية خاصة في خراسان،وانشغال الخلافة الأموية بالقضاء على التمردات التي كثرت في الشام والعراق في تدعيم وترسيخ الدعوة العباسية،وفي سنة 127هـ/745م قدم إلى الكوفة من خراسان ثلاثة كبار النقباء، وهم سليمان بن كثير [8]ولاهز بن قريظ [9]وقحطبة بن شبيب[1]،وساروا من الكوفة إلى مكة للقاء الإمام إبراهيم من اجل إعطائه الأموال،

---

[1] الدينوري: الأخبار الطوال،ص309، البدء والتاريخ،60/6.

[2] الطبري : تاريخ الرسل،302/7وما بعدها.

[3] تاريخ اليعقوبي : 2/ 332،ابن الأثير: الكامل،359/4.

[4] تاريخ اليعقوبي: 332/2.

[5] خليفة ، تاريخه ،ص356،الدينوري، ألأخبار الطوال،ص311،ابن حجر :تهذيب التهذيب، 316/9.

[6] إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس ، أرفع إخوته مكانةً ، تقياً ورعاً عهد إليه أبوه بالإمامة فسعى في بث الدعوة ونشرها وجد في تقويتها وترسيخها حتى استطاعت أن ترى النور عام 129هـ/ 746م. قتل في سجنه في حران عام 132هـ أنظر ترجمته : ابن قتيبة ، المعارف ، ص 376، الزركلي: الأعلام،59/1.

[7] الدينوري: ألأخبار الطوال ،ص311،الطبري: تاريخ الرسل ،294/7،295،ابن عساكر:تاريخ دمشق،202/7،ابن الأثير: الكامل، 320/4،ابن كثير:البداية،613/5.

[8] سليمان بن كثير الخزاعي ، كبير الدعاة في خراسان ونقيبهم حتى عام 127هـ ،له الفضل الأكبر في نشر الدعوة العباسية في خراسان قتل على يد أبي مسلم الخراساني بعد أن أسر سليمان بن كثير إلى عبيد الله بن الحسين الطالبي بأنه يود أن تكون الخلافة من نصيب العلويين .أنظر : ابن عساكر: تاريخ دمشق،357/22، الذهبي: تاريخ الإسلام،446/8، أخبار الدولة العباسية:ص 271–272،ابن خلكان: وفيات،145/3.

[9] لاهز بن قربظ بن سري بن الكاهن من قبيلة تميم ،أحد نقباء بني العباس وقادتهم قبل قيام الدولة قتل عام مئة وثلاثين هجري بعدما عرف عنه أبو مسلم ما قاله لنصر بن سيار . انظر:ابن حزم:جمهرة ، ص 214، ابن عساكر:تاريخ دمشق،34/64،35.

وإخباره بمراحل الدعوة،وما يحدث بخراسان في ذلك الوقت [2]،ومن اجل الإسراع في تنفيذ برنامج الدعوة،والانتقال بها من مرحلة التركيز إلى المرحلة العلنية،قرر إبراهيم الإمام اختيار قائد جريء وقوي، فوقع ذلك الاختيار على رجلاً يدعى أبو مسلم الخراساني [3] لقيادة الدعوة في خراسان [4]. وكان أبو مسلم مولى لإبراهيم بن محمد ورسولاً له بين شيعته في الكوفة وخراسان [5] ولعل سبب اختيار إبراهيم لأبي مسلم كان نتيجة الصراع القبلي الدائر في خراسان،لان أبا مسلم لا ينتمي إلى هذه القبائل[6]،وحتى يجتذب العديد من الموالي للمشاركة في الثورة العباسية [7]،وقد يكون السبب في أن الإمام إبراهيم أحس بالشباب الخراساني عنفاً وحقداً على بني أمية،كما أدرك أنه له الأثر في حيويته الخارقة، وذكائه المتوقد في صفوف الموالى، وأنهم له مطبعين، وأسند له أمر تمثيله في خراسان والقيام بالدعوة العباسية هناك، سنة 127هـ /745م ، وهي السنة التي قتل فيها الحارث بن سريج ،بعد أن مزق شمل القبائل العربية، وغرس في نفوسهم العداوة والبغضاء، فجاء أبو مسلم ليكمل تمزيق الصف العربي، ويضاف إلى سبب الاختيار له من دون سليمان بن كثير لدفع الموالي إلى النشاط والعمل على إسقاط الدولة الأموية، وذلك أن الموالي وجدوا في أبي مسلم الزعيم والقائد الأعلى لهم الذي يُمكنهم من تحقيق حقدهم الدفين، وتمزيق شمل القبائل العربية في خراسان أمر لا يمكن أن يقوم به أي قائد عربي مثل سليمان بن كثير مهما كان ولاؤه للبيت العباسي، ومن ثم كان أبو مسلم الأداة التي تتحقق بها أطماع الدعوة العباسية في خراسان، من حيث تنظيم الموالي للعمل، وإضعاف الجبهة العربية التي قد تكون سندا للأمويين[8].

نزل أبو مسلم خراسان سنة 128هـ/746م،إلاّ أنه واجه معضلة كبيرة في عدم تقبل النقباء له، وخاصة سليمان بن كثير مسؤول الدعوة في خراسان الذي رفض أن يسلم القيادة لأبي مسلم

---

[1] قحطبة بن شبيب الطائي ، قائد عسكري من ذوي الرأي والشأن في الدعوة العباسية ، كان أحد النقباء الإثني عشر الذين اختارهم محمد بن عليّ حقق انتصارات كبيرة في جميع معاركه مع الأمويين حتى غرق عام 132هـ أنظر : ابن عساكر:تارسخ دمشق،49 /297، الزركلي: الأعلام ، 191/5.

[2] الطبري :تاريخ الرسل،295/7 . ابن الأثير:الكامل ،4/ 320 ،ابن كثير:البداية ،5/ 627.

[3] أبو مسلم الخراساني هو عبد الرحمان بن مسلم ، الاسم الذي كناه به إبراهيم بن محمد وذكر أن اسمه الحقيقي إبراهيم بن حيكان أو ختكان ، قتله أبو جعفر المنصور عام 136هـ أنظر : الطبري ، تاريخ الرسل،198/7-199،تاريخ بغداد،465/11،467،ابن عساكر: تاريخ دمشق،408/35،ابن الأثير: الكامل ،277/4،الذهبي: سير،48/6،ابن خلكان:وفيات الأعيان،145/3.

[4] تاريخ اليعقوبي:2/ 332، الدينوري:الأخبار الطوال ،ص310،311،الطبري:تاريخ الرسل،344/7، الذهبي: سير،48/6، ابن خلكان: وفيات الأعيان ،147/3.

[5] ابن الأثير ، الكامل،279/4، 280،الذهبي:سير،52/6، ابن خلكان:وفيات الأعيان،146/3.

[6] البدء والتاريخ،62/6.

[7] أنظر أبو مسلم الخراساني:ص112.

[8] المرجع نفسه:ص111-113.

الخراساني مدعيا أن أبا مسلم صغير السن قليل التجربة [1]، فعاد أبو مسلم إلى الإمام مرة أخرى واخبره بما حدث فأرسل الإمام إبراهيم إلى سليمان بالالتزام والطاعة [2] وأوصى أبا مسلم بعد أن وافق الدعاة على ولايته بقوله «**يا عبد الرحمن إنك رجل منّا أهل البيت؛ فاحتفظ وصيّتي، وانظر هذا الحيّ من اليمن فأكرمهم، وحلّ بين أظهرهم؛ فإن الله لا يسمّ هذا الأمر إلا بهم؛ وانظر هذا الحيّ من ربيعة فاتّهمهم في أمرهم، وانظر هذا الحيّ من مضر؛ فإنهم العدوّ القريب الدار، فاقتل من شككت في أمره ومن كان في أمره شبهة ومن وقع في نفسك منه شيء؛ وإن استطعت ألاّ تدع بخراسان لساناً عربياً فافعل، فأيّما غلام بلغ خمسة أشبار تتّهمه فاقتله، ولا تخالف هذا الشيخ – يعني سليمان بن كثير – ولا تعصه، وإذا أشكل عليك أمر فاكتف به مني** »[3].لكن هذه الوصية وجدت انتقاداً من عدد من المؤرخين خاصة العرب منهم ،لوقوع تصحيف في العبارات[4].

ونجح أبو مسلم بشكل كبير في نشر الدعوة وأقام عند سليمان بن كثير في قرية سفيذنج على مقربة من مرو الشاهجان واتخذ منها مركزا له [5]،فقد وجه الدعاة إلى كل ناحية من خراسان،فكانوا يدورون بها قرية قرية،وبلدا بلدا في زي التجار فاتبعه كثير من الناس، وولي على كل من بايعه رجلا من أهلهم[6]،حتى بلغ عدد أتباعه ما لم يصله أحد من قبله، فاستطاع إيجاد أنصار له في كل أنحاء خراسان،فدخل الناس أفواجا مع دعاته [7]وأشار بعض المؤرخين إلى كثرة الأعاجم من الفلاحين الذين انضموا تحت لواء أبي مسلم[8]،أما العرب الذين انضموا إليه فكان جلهم من اليمانية والربعية،أما المضرية

---

(1) الطبري:تاريخ الرسل،344/7،النويري:نهاية الأرب،9/22،أبو مسلم الخراساني:ص114،115،116، 117.

(2) الطبري:تاريخ الرسل،344/7، النويري:نهاية الأرب،10/22، أبو مسلم الخراساني:ص116.

(3) الطبري:تاريخ الرسل،344/7،النويري: نهاية الأرب،10/22.

(4) حيث أخذت معنى جديدا غير المعنى الأساسي الذي هو التهمة التي أكدت عليها أجزاء الوصية،إلى جانب التناقض في نصوصها ،فمن جانب الإحسان في معاملة أهل اليمن ، وهم عرب ، ومن جهة أخرى ،فإن استطعت ألاَّ تبقي بخراسان لسانا عربياً فأفعل،إنه =واضع في الحض على قتل العرب ،ومن بينهم اليمانيون، وهذا تناقض في الوصية ،لأن ليس من المعقول أن يؤكد إبراهيم الإمام على العناية ببعض العرب ،وفي نفس الوقت قتل كل العرب،لاسيما وأن كبار القادة والدعاة جلهم من العرب على رأسهم سليمان بن كثير الذي أمر أبو مسلم بطاعته، وعدم الخروج عن رأيه،لذلك رأى يوسف العش أن هناك تصحيف في كتابة كلمات الوصية من«لساناً عربياً» تقابلها «إنساناً مريباً»، وتصحيف ذلك الشكل ،يكون نص العبارة :«وإن استطعت ألاَّ تدع بخراسان إنساناً مريباً فأفعل»، وهذا يتناسب وسياق الوصية، ويجري مع العبارات السابقة واللاحقة، فهو بمعنى الريبة والشك والتهمة، وهذا التفسير يرفع التناقض ويعيد الوصية إلى سابق عهدها.(أنظر يوسف العش: الدولة الأموية،ص330-332)

(5) الطبري:تاريخ الرسل،355/7، ابن الأثير:الكامل،359/4، النويري: نهاية الأرب،10/22، 11.

(6) الدينوري: الأخبار الطوال،ص315،

(7) الدينوري: الأخبار الطوال،ص315،الطبري:تاريخ الرسل،362/7.

(8) عبد العزيز الدوري:العصر العباسي الأول،ص27،فلهاوزن: الدولة العربية،ص503.

فكان عددهم قليل[1]، وكان عدد من الداخلين في دعوته إما طامع بثأر يرجو أن يدرك ثأره، أو مؤمن بدعوته وكاره ظلم بني أمية[2].

### ج-إظهار الثورة العباسية بخراسان وموقف مروان بن محمد منها

كتب إبراهيم بن محمد في سنة 129هـ/747م إلى أبي مسلم الخراساني بالقدوم إليه في موسم الحج وان يحمل إليه ما اجتمع إليه من أموال،وان يجلب معه قحطبة بن شبيب الطائي[3]، وفي أثناء طريقه إليه أرسل إليه إبراهيم بن محمد كتابا أمره فيه بالرجوع إلى خراسان وان يعطي ما أتى به إلى قحطبة[4]وكان في الكتاب إظهار الدعوة «**اظهر دعوتك ولا تربص**»فرجع أبو مسلم واخبر سليمان بن كثير بكتاب الإمام واخذ يرتب لإعلان الدعوة والسيطرة على خراسان [5]،فجمع الدعاة والنقباء واخبرهم للتأهب لإظهار الدعوة في أخر شهر رمضان من عام 129هـ/747م[6]،وما أن انتصف شهر رمضان من عام 129هـ/747م حتى حمل أبو مسلم اللواء الذي بعثه إليه الإمام، وأعلن الثورة ضد الأمويين.

أما نصر بن سيار الذي كان متورطا في الحرب القبلية التي تدور في خراسان فقد أرسل إلى يزيد ابن هبيرة يخبره بخروج أبي مسلم،وكثرة عدد من معه وخطرهم على الدولة الأموية [7]،وكان يزيد مشغولاً بحرب الخوارج[8]،فأرسل له «**لا غلبة إلا بكثرة وليس عندي رجل**»[9]علما أن يزيد بن هبيرة كان كارها لنصر بن سيار مبغضا له [10]لان نصرا ليس تابعا له وكان يود أن يكون مكانه رجل من

---

(1) الطبري:تاريخ الرسل،377/7، ابن الأثير: الكامل،376/4،377،النويري:نهاية الأرب،12/22، حسين عطوان :الدعوة العباسية،ص328.

(2) حسين عطوان :الدعوة العباسية،ص328.

(3) الطبري:تاريخ الرسل،354/7،355، ابن الأثير:الكامل،363/4،ابن كثير:البداية ،639/5، البدء والتاريخ،63/6.

(4) الطبري:تاريخ الرسل،354/7،355، ابن الأثير:الكامل،363/4،ابن كثير:البداية ،639/5، البدء والتاريخ،63/6.

(5) الطبري:تاريخ الرسل،355/7، ابن الأثير:الكامل،359/4

(6) تاريخ اليعقوبي:341/2.

(7) الجاحظ: الرسائل،265/2،266، الطبري: تاريخ الرسل،369/7،370.

(8) الطبري:تاريخ الرسل،347/7،350،ابن الأثير:الكامل،354/4،356،أبو الفداء: مختصر تاريخ البشر،ص260.

(9) الطبري: تاريخ الرسل،370/7،

(10) تاريخ اليعقوبي:341/2،ابن قتيبة: عيون الأخبار،128/1،الدينوري: الأخبار الطوال،ص 329،330،البلاذري:أنساب الأشراف،178/4، ابن عبد ربه :العقد ،220/5.

أتباعه[1].وكتب نصر بن سيار إلى مروان بن محمد يستنجده ويعلمه بما آلت إليه أحوال خراسان وصور له في أبيات من شعره سوء الأمر بخراسان وخوفه من انهيار دولة بني أمية وزوال سلطانهم:

أرى بين الرماد وميض جمر فيوشك أن يكون له ضرام

فان النار بالعـــودين تذكى وان الحرب مبـــــدؤها كلام

فان لم تطفئوها تجـــن حربا مشمرة يشيب لها الغـــلام[2]

فذكر أن مروان بن محمد نصح له أن يعتمد على من عنده من الجنود إذ كتب له «**الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فاحسم الثؤلول قبلك**»[3]،وقيل انه كتب إلى يزيد بن هبيرة يأمره بإعداد جيش من اجل إرساله إلى خراسان [4]،فاعتذر له،وكتب إليه:« **إن من معه من الجنود لا يفون باثني عشر ألفا، ويعلمه أن جند الشام أفضل من جند العراق،فليست لهم نصيحة الخلفاء من بني أمية**»[5]،ومع ازدياد خطر العباسيين على نصر بن سيار كتب نصر إلى مروان ابن محمد مرة أخر: «**أن ما ظهر قبلنا لو كانت همتهم خراسان وحدها لهانت شوكتهم، ولكنهم يريدون الغاية الكبرى من التملك على الأفاق في جميع بلاد المسلمين، وإن أكثر ما يحضون عليه الطلب بثأر آل محمد من بني أمية، يتذاكرون ذلك في أحاديثهم، ويدعون به إذا قضوا صلاتهم** »[6]،تأكيداً له بخطورة الدعوة والموقف، فرد عليه مروان بن محمد أنه أرسل عامر بن ضبارة،وحنظلة الكلبي لنصرته، وقال:« **فكأنك بخيول أمير المؤمنين قد وردت عليك بأحسن عدة وأكثر عدد.فثق بالله وتوقع الإمداد والقوة** »[7]، ولعل مروان استجاب لطلب نصر بسبب معرفته بنوايا الشيعة في القضاء على بني أمية، والاستيلاء على أرجاء الدولة[8]،تطبيقا لمبادئ برنامجهم ، لكن ملاحقة عامر بن ضبارة لفلول عبد الله بن معاوية وشيبان اليشكري أخرته عن الوصول إلى خراسان حتى عام 130هـ /748م[9]،وكان في هذه الفترة جيش

---

(1) ابن عبد ربه :العقد الفريد ،220/5.

(2) تاريخ اليعقوبي:341/2،الدينوري: الأخبار الطوال،ص327، الطبري:تاريخ الرسل،369/7، ابن كثير:البداية ،642/5، الفخري:ص144.

(3) البلاذري:أنساب الأشراف،313/9،الطبري:تاريخ الرسل،396/7، البدء والتاريخ،64/6.

(4) الذينوري: الأخبار الطوال،ص329.

(5) تاريخ اليعقوبي:341/2.

(6) أخبار الدولة العباسية:ص305.

(7) المصدر نفسه.

(8) المصدر نفسه.

(9) الطبري: تاريخ الرسل،304/7-306.

الدعوة العباسية قد انطلق من خراسان إلى العراق بقيادة قحطبة شبيب الطائي ،فبلغ عامر بن ضبارة فتصدى له ، فقتل عامر وقتل حنظلة، وتفرق شمل جيشه[1]،وظل نصر ينتظر الإمداد أن يأتيه،وفي الوقت نفسه زاد قتال اليمانية والربعية لنصر بن سيار ،وقويت شوكة أبي مسلم،وعظم جيشه،فأزداد نصر بن سيار ضعفاً وعجزاً في مواجهة الأمور[2].

وفي ظل عجز نصر المتزايد أخذ يخاطب العرب بشعره للتأثير على عواطفهم القومية والدينية، داعياً إياهم إلى التضامن والتكاتف في وجه الخطر الذي يواجههم [3]،كما دعا الربيعة أن يتركوا اليمانية، ويكفوا عن محاربة المضرية ، وأن تتحد كلمتهم من أجل محاربة أبي مسلم وأتباعه [4] ، واتفقوا على من يولوه أمرهم [5] وكتبوا على أنفسهم بذلك كتاباً وثيقاً واحتشد الفريقان نصر والمضرية واليمانية والربيعية من جهة ، وأبو مسلم وشيعته من جهة أخرى [6] والتقى الفريقان في عام 130هـ/ 748/م ، وكان سليمان بن كثير يقف في مقابل عليّ بن جديع الكرماني [7]،لكن دهاء أبو مسلم فرق التحالف وقضى على نصر وأتباعه، رغم أن نصر أرسل إلى ابن هبيرة ومروان بن محمد قبل خروجه من خراسان يستنصره وينذره بالهلاك ويغلط له القول لتأخره عن نجدته[8]، ودخل أبو مسلم مرو الشاهجان سنة 130هـ/748م [9].واستمر في السيطرة على مدن خراسان والاستيلاء عليها[10]،كما انتهج أبو مسلم سياسة القتل مع من لم يبايعه ويعطي الطاعة والولاء [11]،فقد ذكرت بعض المصادر قتل أبي مسلم المضرية من شيعة بني أمية،وقتل الحرورية من الربعية من أتباع شيب بن سلمة،أما سائر اليمانية والربيعية الذي بايعوه وانتظموا في دعوته فانه لم يمسهم بسوء [12]،كما ذكرت بعض المصادر أن من قتل على يد أبي مسلم الخراساني من العرب في خراسان حوالي مئة ألف من شيعة بني أمية [13]،وقيل ستمائة ألف[1]،

---

(1) تاريخ اليعقوبي:343/2،ابن كثير،البداية،644/5.

(2) أنظر الطبري: تاريخ الرسل،364/7،365، ابن الأثير:الكامل،376/4-378.

(3) ابن عبد ربه : العقد الفريد ،5/ 221.

(4) الدينوري: الأخبار ،ص326.

(5) الطبري: تاريخ الرسل ، 365/7، ابن الأثير :الكامل ، 368/4.

(6) الطبري: تاريخ الرسل ،378/7، أخبار الدولة العباسية، ص 288.

(7) الطبري : تاريخ الرسل ، 378/7 ،ابن الأثير ، الكامل 376/4،377.

(8) أخبار الدولة العباسية،ص 360.

(9) الطبري : تاريخ الرسل ،381/7، أخبار الدولة العباسية:ص315 ابن الأثير :الكامل ، 377/4.

(10) أخبار الدولة العباسية:ص 316.

(11) البدء والتاريخ،64/6،65.

(12) أنظرالطبري ، تاريخ الرسل،385/7،386،ابن الأثير:الكامل ، 379/4،ابن كثير:البداية،644/5.

(13) تاريخ اليعقوبي:365/2.

وعندما استطاع تطهير خراسان من كل من ينافسه على الحكم من القبائل وأهل خراسان بسط أبو مسلم سيطرته على جزء كبير منها [2]،تطبيقا لبرنامج الدعوة الداعي إلى إسقاط الخلافة الأموية.

وفي عام 130هـ/748م ولي إبراهيم بن محمد قيادة الجيوش العباسية إلى قحطبة ابن شبيب وأرسل إبراهيم إلى أبي مسلم كتابا يبلغه فيه تسليم قحطبة القيادة،فسلم أبو مسلم الكتاب إبراهيم وضم إليه الجنود،وجعل له العزل والاستعمال وأمر الجنود بالسمع والطاعة له[3].

واندفع قحطبة كالنار في الهشيم ففتح المدن،واكتسح الحصون،فاستولى على سد حسن ونيسابور واصبهان وهمذان وغيرها من المواقع[4]،وبلغ الفرات فعسكر على ضفته الشرقية وكان يزيد بن هبيرة قد عسكر على ضفته الغربية[5]،وقرر أن يعبر النهر واستطاع عبوره وجيشه حتى وصلوا جيش ابن هبيرة، وجرت المعركة بينهم عام 132هـ/750م هزم فيها ابن هبيرة [6]، وهرب بجنوده ومن تبقى معه إلى واسط[7]،وبعد هذا الانتصار ازداد جيش العباسيين قوة وحماسا،وتضاعف أملهم في السيطرة على الدولة ،فقد أصبحت الكوفة قريبة منهم [8] وتضافرت جهود قادة الدولة العباسية من أجل الوصول إلى هدف برنامجهم ، فقد قام أبو مسلم بضبط الأمور في خراسان بجند الجيوش ،ويبعث بالأموال والرجال والسلاح إلى الجيش العباسي [9]،وكان ينشر العيون في أنحاء الدولة فينبه الجيش العباسي من تحركات الأمويين وعددهم،ويدل لهم الطريق،ويكشف عن أسرار الأمويين[10].

وهكذا بدأت نهاية الدولة الأموية ، فقد رفض ابن هبيرة الانضمام إلى مروان في تشكيل الجيش الذي يؤلفه لقتال الدولة العباسية خوفاً منه بسبب عدم تنفيذ أوامره [11] بالإضافة إلى تبعثر الجيش

---

(1) الطبري ،تاريخ الرسل،491/7. ابن الأثير :الكامل(دار الكتب العلمية ،بيروت)،110/5. ابن خلكان :وفيات الأعيان،3/ 148، الزركلي:الأعلام،337/3،338.

(2) أخبار الدولة العباسية: ص 322.

(3) تاريخ اليعقوبي :343/2،ابن قتيبة: المعارف ، ص370،ابن الأثير:الكامل،381/4.

(4) أخبار الدولة العباسية:ص 321-370.

(5) الطبري : تاريخ الرسل، 388/7. ابن الأثير ،الكامل ،382/4.

(6) تاريخ اليعقوبي:354/2،الدينوري: الأخبار الطوال، ص 333،334.

(7) تاريخ اليعقوبي:354/2، ابن عساكر:تاريخ دمشق،332/65 ،ابن خلكان:وفيات الأعيان،313/6،الذهبي:سير،56/6،57.

(8) الدينوري: الأخبار الطوال ،ص 337.

(9) أخبار الدولة العباسية:ص 337 .

(10) المصدر نفسه ص363.

(11) الطبري : تاريخ الرسل، 451/7، ابن الأثير :الكامل(دار الكتب العلمية ،بيروت) ،82/5-83.

الأموي الذي أصبح خائفاً مذعوراً بعد أن سمع عن قوة الجيوش العباسية [1] وسرعة تحركها وتعاظم انتصاراتها.

### د- اعتقال إبراهيم بن محمد ومقتله وإظهار الخلافة العباسية

في أوج انتصارات الجيش العباسي وخطواته الثابتة تم القبض على رأس الحركة العباسية إبراهيم ابن محمد [2] ، في محرم من العام 132هـ/ 750م، وحبسة في حران، وقتله في صفر سنة 132هـ /750م[3]،وعلى الرغم من الاختلاف في سبب وتاريخ وفاة إبراهيم بن محمد إلا أن له فضلاً كبيراً في توسيع قواعد الدعوة العباسية ، والإمساك بزمام الأمور، و لم تشأ الأقدار لإبراهيم بن محمد أن يرى ثمار جهوده ، بعد أن انتصرت الجيوش العباسية ودخلت الكوفة ، وتولى إمارة الكوفة أبو سلمة الخلال [4] الذي هيأ دخول القوات العباسية إلى الكوفة [5] ، وذكر أن إبراهيم بن محمد قتل خنقاً في السجن على أيدي موالي لمروان بن محمد من العجم [6]،وكان إبراهيم بن محمد قد أوصى بخلافته لأخيه العباس قبل أن يأخذه مروان بن محمد [7] وقيل أن إبراهيم أوصى بالخلافة لأخيه العباس عن طريق احد الموالي وهو في سجنه بحران[8].

وبعد مقتل إبراهيم بن محمد كادت أن تعصف الثورة الجديدة بنفسها بسبب نزاع أصحابها، فبعد سماع أبي سلمة الخلال خبر مقتل إبراهيم بن محمد كبير الدعاة اختلط عليه الأمر وبدا بالتخبط [9]، فقيل انه قرر أن يجعل الخلافة شورى بين ولد عليّ بن أبي طالب وولد العباس ابن عبد المطلب حتى يختاروا من أرادوا منهم[10] ،وما هي إلاّ أيام بسيطة حتى حضر أبو العباس السفاح وإخوته إلى الكوفة ،

---

(1) أخبار الدولة العباسية :ص361، 362.

(2) تاريخ اليعقوبي:342/2،الدينوري: الأخبار الطوال،ص328،الطبري :تاريخ الرسل، 370/7.

(3) ابن عساكر :تاريخ دمشق ،202/7 ،ابن الأثير:الكامل،82/5،83،ابن كثير:البداية،649/5.

(4) أبو سلمة الخلال : هو سليمان بن حفص تولى كبيراً للدعاة في الكوفة عام 127هـ بعد موت باكير بن ماهان الذي أوصى به إبراهيم بن محمد قبل وفاته لرضاه عن مذهبه ونصيحته قتل في رجب من عام 132هـ قتل على يد رجل من جماعة أبي مسلم بعد أن طلب أبو العباس منه ذلك . أنظر ابن خلكان:وفيات الأعيان،195/2-196،الذهبي:تاريخ،400/8-401، الفخري:153،154.

(5) الطبري:تاريخ الرسل ، 416/7.

(6) المسعودي :مروج ، 259/3 .

(7) المسعودي:مروج،267/3،الطبري:تاريخ الرسل،423/7.

(8) المسعودي:مروج،267/3،ابن كثير :البداية،649/5.

(9) المسعودي:مروج،268/3.

(10) تاريخ اليعقوبي:349/2، الفخري:ص154.

و أنزلهم أبا سلمة في مترل مولى لبني هاشم،وعين الحرس عليهم ومنعهم من الخروج [1]، وظلوا في هذه الدار مدة أربعين يوما[2]،وقيل شهرين،و لم يعلن أبو سلمة عن الإمام ويظهره للناس حتى شعر أبو العباس وعائلته أن أبا سلمة يحيك أمرا ضد العباسيين [3]وكان أبو سلمة يؤخر ظهور أبي العباس لأنه أرسل إلى ثلاثة من أولاد الحسن والحسين وهم عمر بن عليّ بن الحسين بن عليّ،وعبد الله بن الحسين،وجعفر بن محمد بن عليّ وطالبهم في كتابه باختيار أمير علوي لقيادة الدولة الجديدة التي بدأت بإرساء أركانها[4].

وظل أبو سلمة ينتظر ردا من احد العلويين الذين كتب لهم فلم يجبه احد [5]،لكن أبو العباس أرسل أبو حميد مولى له يلتقط الأخبار من أسواق المدينة [6]،وجاء أبو حميد إلى أبي العباس وقابله فسلم عليه وعزاه بالإمام إبراهيم ،واخبره بأنه الخليفة[7]،ثم خرج واخبر الدعاة وكبار الشيعة[8]،وبلغ أبو سلمة وصول كبار الدعاة إلى أبي العباس فأسرع إلى أبي العباس ،فدخل وبايع، وقال « **إنما أردت إظهار أمير المؤمنين بعد أن احكم له الأمور** »[9]فقال له أبو العباس« **عذرناك غير معتذر حقك لدينا معظم و سالفتك في دولتنا مشكورة و زلتك مغفورة فارجع إلى معسكرك لا يدخله خلل** »[10].

وكان ظهور أبي العباس بالكوفة يوم الخميس من شهر ربيع الأخر سنة 132هـ /750م[11] فدخل المسجد في قصر الإمارة،فخطب في الناس،واخذ البيعة عليهم،وبدأ بإعداد العدة للقضاء على دولة بني أمية[12]،وكان مروان بن محمد في تلك الأوقات يعد في حران جيشا عظيما لملاقاة الجيوش العباسية من اجل القضاء عليها[13].

---

(1) ابن الأثير:الكامل(دار الكتب العلمية ،بيروت)،64/5.

(2) الطبري:تاريخ الرسل،424/7،ابن الأثير:الكامل(دار الكتب العلمية ،بيروت)،64/5.

(3) الطبري:تاريخ الرسل ،425/7.

(4) المسعودي:مروج،268/3..

(5) المصدر نفسه:268/3،269.

(6) محمد بن إبراهيم الحميري:أبو حميد احد الدعاة السبعين الذين قاموا بالدعوة لبني العباس (أنظر أخبار الدولة العباسية:ص221).

(7) تاريخ اليعقوبي:345/2.

(8) ابن الأثير:الكامل(دار الكتب العلمية ،بيروت)،64/5.

(9) البلاذري:انساب الأشراف،185/4.

(10) البدء والتاريخ:69/6.

(11) الدينوري:الأخبار الطوال،ص339،ابن عبد ربه:العقد،224/5.

(12) تاريخ اليعقوبي:349/2.

(13) ابن الأثير: الكامل(دار الكتب العلمية ،بيروت)،69/5، الزركلي:الأعلام،209/7.

## هـــ–معركة الزاب 132هـــ/750م ونهاية الدولة الأموية

بدأ الأمويون والعباسيون بتنظيم الجيوش وإعداد العتاد والعدة من اجل المواجهة الحاسمة التي ستنهي احد الطرفين[1]،فقد خرج مروان بن محمد من حران [2]،وبلغ ذلك أبو العباس، وطلب من أفراد أسرته أن يخرج احدهم لمواجهة مروان فعرض عبد الله بن عليّ نفسه، فوافق العباس،وأمره بالتحرك [3] فجمع صالح بن عليّ الجند وأعطاهم أرزاقهم فخرج في اثني عشر ألفاً مقاتل أو يزيد [4]، وفي الوقت نفسه خرج عبد الملك بن يزيد الازدي [5]في أربعة ألاف مقاتل مساندا لعبد الله بن علي [6]،كما جاءت بعض الفرق من الجيوش العباسية بعد استنفار أبي العباس الدعاة من اجل خروج الناس لحرب الأمويين ، وكان مروان بن محمد قد نزل على شاطئ يقال له الزاب.فنصب جسرا على نهر الزاب من اجل مرور الجنود عنه،وحفر الخنادق ونظم جنوده في كراديس استعدادا لحسم المعركة،وكان ذلك في أول جمادى الأخيرة سنة132هـــ/750م[7]ودارت المعركة بين الطرفين،وكانت النتيجة لصالح مروان في الأول، حيث يقول الطبري [8]:عن أبي الجارود السُّلمي، فمالوا عنا كأنهم سحابة، وحملوا علينا كأنهم جبال حديد،فتعب الجيشان،فنادي عبد الله بن عليّ جنده بالثارات لإبراهيم وبالشعار يا محمد يا منصور،فهب الجيش العباسي كأنه رجل واحد [9] ،أما مروان بن محمد فاخذ يحث القبائل على القتال،فطلب من كل قبيلة باسمها حمل اللواء للقتال،إلاّ أن كل قبيلة كانت تحثه على طلب القبيلة الأخرى فقال أولاً« لليمانية: انزلوا فقالوا: قل لقيس فليتزلوا»،وهكذا عندها أحس مروان بن محمد بالخذلان[10]،وليس غريبا أن تتخلى عنه القبائل اليمانية بسبب ما تحدثنا عنه من نزاعات وصراعات معها،ولكن الغريب أن العديد من القبائل القيسية تخلت عنه،وذلك لتقريب مروان عددا منها على الأخرى،فثارت العصبية فيما

---

(1) حسن إبراهيم:تاريخ الإسلام،22/2.

(2) فلهاوزن:الدولة العربية ،ص 518.

(3) أنظر الطبري:تاريخ الرسل،439،440،ابن الأثير: الكامل(دار الكتب العلمية ،بيروت)،69/5،70،71،الفخري:ص146.

(4) البلاذري:انساب الأشراف،317/9 وما بعدها

(5) عبد الملك بن يزيد الازدي(ابو عون)احد قادة جيش العباسين من نظراء النقباء السبعين في الدعوة العباسية،كان مع محمد بن عليّ ....انظر:الطبري:تاريخ الرسل،389/7 ،أخبار الدولة العباسية:ص220.

(6) الطبري:تاريخ الرسل،432/7، المنتظم:301/7،ابن الأثير: الكامل(دار الكتب العلمية ،بيروت)،69/5.

(7) المسعودي:مروج،260/3.

(8) تاريخ الرسل:7./435.

(9) البلاذري:انساب الأشراف،317/9،الطبري:تاريخ الرسل،434/7،ابن الأثير: الكامل(دار الكتب العلمية ،بيروت)،70/5.

(10) انظر البلاذري:أنساب الأشراف،317/9،الطبري:تاريخ الرسل،434/7،ابن الأثير: الكامل(دار الكتب العلمية ،بيروت) ،70/5.

بينهم[1]،كما أن مروان لجأ إلى أسلوب بذل المال، فقد حمل معه الأموال،وخاطب الجند أنه لكم إذا هزمنا هذا العدد.فما كان من جنده إلاَّ أن نهبوا الأموال وهربوا من المعركة [2]،وترجع أسباب هزيمة مروان في هذه المعركة إلى قوة العناصر الخراسانية في الجيش العباسي،وعزيمتهم القوية إضافة إلى عدتهم الحديثة التي دخلت تلك المعركة مما ساهم في إضعاف الجيش الأموي.

وبعد تفرق جمع مروان انتهت المعركة لصالح العباسيين،وهرب مروان على الجسر الذي بناه،ثم قام بقطع الجسر فغرق عدد كبير من جيشه،وقيل أن من غرق في النهر أكثر ممن قتل في ارض المعركة [3] ،وعندما رأى عبد الله بن عليّ غرق جيش مروان قال قوله تعالى ﴿ **وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**﴾[4]،وكتب عبد الله بن عليّ إلى العباس بهزيمة مروان فأمره بمتابعته وقتله .

أما مروان فقد اتجه إلى حران فحمل حريمه وأولاده وحاشيته وأمواله من أجل الهروب [5] ، لكن قبل هروبه استشار إسماعيل بن عبد الله القشري[6] في نيته التوجه إلى مدن الروم وطلب العون والمدد من ملكها،ويعيد من هناك جمع جنده وأصحابه، فأشار عليه إسماعيل القشري بعدم فعل ذلك لما في ذلك من إهانة لملوك وخلفاء بني أمية،وبدلاً من فعل ذلك أشار عليه أن يستنفر الشام وما تبعها حتى يصبح إلى مصر ويعيد المعركة على العباسيين فوافق مروان على ذلك.

وسار مروان بن محمد نحو قنسرين فثار عليه أهلها فهاجموه وقتلوا جزءا من مؤخرة عسكره ثم ارتحل إلى حمص فثار عليه أهلها وانهبوا أمواله[7]،ثم سار إلى دمشق فدخلها واستراح بها عدة أيام، وكان صالح بن عليّ في أثره حتى جاء إلى دمشق فهرب مروان منها وأبقى فيها واليه عليها الوليد بن معاوية بن مروان[8]،وذكر أن عبد الله بن عليّ أعطى أهلها الأمان ففتحوا أبوابها،فلما دخلها هدم سورها،وفتك

---

(1) البلاذري:انساب الأشراف،317/9.

(2) الطبري:تاريخ الرسل،435/7،ابن الأثير: الكامل(دار الكتب العلمية ،بيروت)،71/5،ابن خلدون:العبر،164/3.

(3) المسعودي:مروج،260/3، البلاذري :انساب الأشراف،318/9،ابن الأثير: الكامل(دار الكتب العلمية ،بيروت)،71/5،ابن خلدون:العبر،164/3.

(4) سورة البقرة – الآية: 50.

(5) البلاذري ، أنساب الأشراف،319/9،ابن الأثير: الكامل(دار الكتب العلمية ،بيروت)،71/5.

(6) إسماعيل بن عبد الله : القشري أبا هاشم قحطاني النسب اتهمه مروان بن محمد بخديعته بسبب نصحه له بتجميع أهل الشام وعودة الحرب مع العباسيين على فراره على أرض الروم ، وذلك بسبب انتمائه القحطاني ضد نزار . أنظر المسعودي :مروج، 264/3، 265.

(7) أنظر البلاذري،انساب الأشراف،319/9.

(8) أنظر تاريخ اليعقوبي:345/2،346، ابن الأثير: الكامل(دار الكتب العلمية ،بيروت)،73/5،74.

جنوده بأهلها ونهبوها [1]،إلاَّ أن العديد من المصادر تؤكد وقوع القتال بين أهل دمشق والعباسيين، فانشقت اليمانية عن المضرية،وأعلنوا موالاتهم لبني العباس،وأرسلوا إلى عبد الله بن عليّ فصالحوه وانضموا إلى جيشه في قتال الأمويين [2]، وهزم الأمويين في عاصمتهم التاريخية،وهرب مروان بن محمد، من دمشق قاصداً الأردن وفلسطين فثار عليه أهلها من قبيلة جذام،ففر نحو مصر، فاتبعه عبد الله بن عليّ بأخيه صالح بن عليّ الذي وجهه أبو العباس لنصرة الجيش العباسي عند دخول دمشق [3] فأقام عبد الله ابن عليّ على نهر أبي فُطْرُس [4]،ووجه دعاته في البلاد بالدعوة للأمويين بالأمان فتجمع عدد كبير من الأمويين قيل أن عددهم ثمانون رجلا [5]،والبعض قال بضعة وثمانين [6]، وقيل كانوا اثنين وتسعين [7]، فغدر بهم عبد الله بن عليّ وقتلهم،وذكر في سبب قتله لهم أن احد موالي بني هاشم قد أثار الثأر في نفسه بشعر انشده أمامه فأمر بحز رؤوسهم جميعا[8] وذكر أن مروان سمع بما جرى بنهر أبي فطرس فبكى حتى كاد يموت[9].

جَدَّ صالح بن عليّ في طلب مروان بن محمد،فخرج في ثمانية آلاف فارس وزعهم في مناطق مصر للتفتيش على مروان[10]،وكان مروان بن محمد في هذه الفترة يقيم ببلد تدعى الفرما [11] ، وعندما علم مروان بوصول صالح بن عليّ إليها أحرق ما كان حوله من علف وطعام وذلك من أجل إعاقة تقدم القوات العباسية وهرب مروان بعدها إلى الضفة الغربية من نهر النيل،وأقام مروان في قرية (أبو صير) [12] مع عدد من جنوده ومواليه [13] ،واختلفت المصادر في طريقة وصول القوات العباسية إلى مروان ، فذكر أن القوات العباسية أمسكت عدداً من العيون التي كانت تراقب تحرك العباسيين ، فاعترفوا عن مكان

---

[1] الطبري:تاريخ الرسل،438/7، ابن الأثير: الكامل(دار الكتب العلمية ،بيروت)،74/5.

[2] أنظر الطبري:تاريخ الرسل،438/7،ابن الاثير: الكامل(دار الكتب العلمية ،بيروت)،74/5.

[3] البلاذري:أنساب الأشراف،320/9،الطبري:تاريخ الرسل،439/7،440، الفخري:ص148.

[4] نهر ابي فطرس:هو نهر قرب الرملة من ارض فلسطين.انظر:الحمودي،معجم،315/5.

[5] تاريخ اليعقوبي:355/2،البلاذري:أنساب الأشراف،333/9.

[6] ابن قتيبة:المعارف،ص372.

[7] ابن عساكر:تاريخ دمشق،127/53.

[8] البلاذري:انساب الأشراف،333/9.

[9] المصدر نفسه:327/9.

[10] ابن كثير: البداية،654/5،ابن خلدون:العبر،164/3.

[11] الفرما : مدينة ساحلية تطل على البحر الأبيض المتوسط في مصر .أنظر الحموي:معجم ،255/4،هامش سير أعلام النبلاء: 289/9.

[12] بوصير : إحدى قرى مصر وهناك أربع قرى تسمى بوصير في مصر إلا أن بوصير التي قتل بها مروان تسمى بوصير قوريدس. أنظر الحموي:معجم ،509/1.

[13] المسعودي : مروج ،261/3،262،البلاذري: أنساب الأشراف،221/9،222،الطبري:تاريخ الرسل،441/7.

مروان [1]،وقيل إن أحد غلمانه أبلغ العباسيين عن مكان وجوده ،وقيل إن المسودة وجدت خيلاً لمروان مع أصحابها فسألوهم عن مروان فأخبروهم أنه في كنيسة ببوصير[2].

وتوجه الجيش العباسي إلى الكنيسة فخرج مروان ومن معه فقاتل حتى قتل ،وكان ذلك في ذي الحجة من سنة 132هـ/750م ،ثم أرسل رأسه إلى أبي العباس ، فصلبه في الكوفة [3] ، وقيل إنه أرسله إلى أبي مسلم الخراساني في خراسان وأمر أن يطاف به فيها [4]. وذكر في بعض الروايات أن أبا العباس عندما وصله رأس مروان سجد فأطال السجود ثم رفع رأسه فقال « **الحمد لله الذي لم يبق ثأري...وقتلت مروان بأخي إبراهيم**» [5].

وهكذا انتهت حياة مروان بن محمد،وزال ملك بني أمية،وانتهت حقبة تاريخية، ودانت كافة الأمصار وخضعت للعباسيين، و لم يبق إلاَّ يزيد بن عمر بن هبيرة محاصراً في واسط ،عندما علم بمقتل مروان طلب الأمان من أبي جعفر،فأمنه مقابل أداء الطاعة والبيعة للعباسيين [6] ثم تخلصوا منه بعد أن لمسوا أنه يعمل مع بعض العلويين لنقل الخلافة لهم [7]، كما بقي ولاة الدعوة العباسة يطاردون الأمويين أينما وجدوا حتى استقرت دولتهم [8].

وهكذا قامت الدولة العباسية على أنقاض الدولة الأموية نتيجة للإختلاف الذي وقع بين خلفائها وعمالها، واجتماع المختلفين على إسقاطها والقضاء عليها [9]،وتحققت أهم محاور البرنامج العباسي على أرض الواقع.

## 4- نتائج الثورة العباسية

لقد تمكنت الدعوة العباسية من تحقيق بعض محاور برنامجها، التي تبنتها ودعت إليها –كما رأينا- منها العامة كاالدعوة إلى«**الرضا من آل البيت**»والعمل بموجب«**كتاب الله وسنة نبيه**» وكذلك

---

(1) البلاذري:أنساب الأشراف ،221/9.

(2) البلاذري:أنساب الأشراف ،322/9،النويري:نهاية الأرب،31/22.ابن كثير :البداية،655/5،ابن خلدون:العبر،164/3.

(3) الطبري :تاريخ الرسل،442/7، ابن كثير :البداية،655/5.

(4) البدء والتاريخ ،73/6.

(5) المسعودي:مروج،271/3، ابن الطقطقي: الفخري ،ص 148.

(6) ابن قتيبة :المعارف ،ص 372. الطبري:تاريخ الرسل،454/7، النويري:نهاية الأرب،37/22،المنتظم:314/7،ابن خلكان:وفيات الأعيان،315/6.

(7) الطبري ، تاريخ الرسل ،454/7، 456، المنتظم:314/7،315،

(8) البلاذري:أنساب الأشراف،329/9 وما بعدها،ابن تغري: النجوم ، 1/ 408.

(9) ابن عبد ربه:العقد الفريد،218/5.

«**القضاء على أهل الجور** »ثم «**الثأر لآل البيت** »[1]،مستندة إلى الآية الكريمة ﴿ **قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّالْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ [2].إلى جانب الادعاء بأنها تعمل من اجل المظلومين في المجتمع مستندة إلى الآية﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ** ﴾[3].و تظهر للمستائين من العرب بوجه وللمتذمرين من الموالي بوجه آخر،واستغلت الدعوة كل العناصر المستاءة من الحكم الأموي بالترحيب بأية فكرة وأية كتلة معارضة وإثارة الاضطرابات ضد الأمويين في أي منطقة استطاعوا ، خاصة خراسان وما وراء النهر [4]، وجمعت أعداء الأمويين من كل الأطياف والمذاهب، شيعة كانوا أم خوارج،أو عصبيات أخرى عربية كانت أم عجمية، وتوحيد صفها ومواقفها لإسقاط الدولة الأموية،مما ساعد على تحسن وضع الموالي مثل الفرس والترك وشغلوا بعض المناصب كالوزارة وقيادة الجيوش وحكم الولايات ،وتجلّى ذلك أكثر بع د قيام الدولة العباسية، مما جعل بعض المؤرخين يرون في قيام الخلافة العباسية نهاية للحكم العربي،وبداية لحكم الأعاجم [5]. وهذا القول مبالغ فيه، لأن الخلافة في أيدي العرب.

الإعلان عن قيام الدولة العباسية بعد مبايعة أبو العباس عبد الله بن الحارثية، وسلموا عليه بالخلافة في 13 ربيع الأول 132هـ /750م ،ثم أخرجوه إلى منبر المسجد لإعلان خلافته، وتسمى أبو العباس بأمير المؤمنين بينما اتخذ أبو سلمة الخلال لقب وزير آل محمد[6].

اعتمد العباسيون في تأسيس دولتهم على أسس إسلامية خالصة، ورغم ذلك سمحوا لبعض الغلاة بالدخول فيها مثل الروندية التي تقول بتناسخ الأرواح،إضافة إلى استمالة دعاتهم لأرباب الديانات الفارسية،ليزيدوا من عدد أتباعهم وأنصارهم، واستهوى أبو مسلم الغلاة من الخُرَّمية والمجوسيَّة وقبلهم في الدعوة و لم يبالي بمخالفتهم للإسلام[7]،هذا ما فتح مجال الصراع من جديد بعد قيام الخلافة العباسية.

---

(1) فاروق عمر :الثورة العباسية،ص144.

(2) سورة الشورى- الآية:23.

(3) سورة الحج- الآية:22.

(4) فاروق عمر :الثورة العباسية،ص144.

(5) أمينة بيطار:تاريخ العصر العباسي،ص54.

(6) ابن عبد ربه:العقد الفريد،224/5،الذهبي:سير،59/6،، الفخري:ص146، أمينة بيطار:تاريخ العصر العباسي،ص47.

(7) حسين عطوان:الدعوة العباسية،ص323،324.

استعمل العباسيون الشيعة وسيلة للوصول للهدف المنشود وبعدها تخلوا عنهم وقاتلوهم، واعتبروا أنفسهم صفوة أهل البيت، وأنهم الممثلون الحقيقيون لهم،والوارثون الشرعيون للخلافة[1].

انهزام الجيوش الأموية أمام القوة العباسية، وأكبر هزيمة تلك التي تلقاها الخليفة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية في معركة الزاب 132هـ/750م ،ثم ملاحقته وقتله ، والانتقام من بني أمية، وملاحقتهم بالقتل ونبش قبور الخلفاء الأمويين وحتى قبر معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان وهشام [2].

انتقال عاصمة الخلافة من مدينة دمشق إلى الهاشمية أولاً ،ثم بغداد[3]، وبالتالي انتقال ثقل الدولة المركزي من بلاد الشام إلى بلاد العراق ،وعادت العاصمة إلى ما كانت عليه في عهد الإمام عليّ بن أبي طالب،وبذلك استعاد العلويون مطلبهم ،في إعادة عاصمة الخلافة إلى العراق.

إن قوة التركيز والسرية للدعوة العباسية، والانتشار والانتصار السريع ،أدى بها أن تأكل رجالها بعد أن حدثت تصفيات أثناءها كقتل خداش[4] وسليمان بن كثير ،ثم وزير آل محمد أبا سلمة الخلال، وصولا إلى تصفية مهندس الثورة العباسية أبو مسلم الخراساني الذي كان أبو جعفر المنصور يحقد عليه ويخاف تعاظم أمره وشعبيته في خراسان وكان المنصور قد اخبر صاحب حرسه وأمرهم إذا حضر أبو مسلم ،فليظهروا وليضربوا عنقه، وبعد قتله وزع المال على أنصاره لينشغلوا[5]. ومن أسباب قتله أن أبو مسلم كان يطمع بالسلطة.

وفي النهاية يمكن القول أن الثورة العباسية كانت ثورة مركبة في بنيتها البشرية، والسياسية والفكرية،قامت بها عصبيات ناقمة على الحكم الأموي ، من موالي وعرب بقيادة آل محمد ، الذين تبنوا السير بالمسلمين في الطريق السوي، وتأسيس دولة على أنقاض الخلافة الأموية، واكبتها دعاية قوية واسعة،استنكرت تماما تصرفات بني أمية،الذين وقعت عليهم تبعة جميع مظاهر الإفساد المادي والروحي، المنتشرة في العالم الإسلامي عامة ،وبالتالي فإن السؤال الذي يطرح نفسه بعد نجاح الثورة مباشرة

---

(1) حسين عطوان:الدعوة العباسية،ص321.

(2) أنظر ابن الأثير:الكامل(دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان)،5/77،78.

(3) أمينة بيطار:تاريخ العصر العباسي،ص48.

(4) أنظر أخبار الدولة العباسية:ص17.

(5) الخطيب:تاريخ بغداد:11/468،467، ابن عساكر:تاريخ دمشق،35/427.

هو:كيف يمكن للعهد الجديد الذي ارتقى سدة الحكم والخلافة أن يغير الحالة الراعنة فيتدارك المساوئ ويباشر الإصلاح؟؟.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# الخـــــاتـــــمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## الخـــــاتمـــــة

والنتائج التي نصل إليها هي:

-اشتداد التمرد والثورة نتيجة لوصول بني أمية إلى الخلافة عن طريق الحيل والدهاء ، وتوريث السلطة في البيت ألأموي وتخليهم عن نظام الشورى.

-نقل مركز الخلافة الإسلامية من الكوفة إلى دمشق،وانتقل معها بيت المال في نفس الوقت، وصارت الكوفة والمدينة مصران من الأمصار،فلا عجب أن تزداد الضغناء والأحقاد بين الشاميين والعراقيين من جهة وبين الشاميين والحجازيين من جهة أخرى.

- إحياء بني أمية للعصبية القبلية ، وضرب القبائل بعضها ببعض ،شجع عناصر القبائل الأخرى على الثورة والعصيان للسلطة الأموية.

-انفراد الولاة في إدارة الأقاليم والمناطق بصلاحيات واسعة ،تصرفوا كحكام مستقلين، وفعلوا ما رأوه صالحا في رأيهم.هذا ما جلب للدولة فتن وثورات عديدة،أضعفت هيبة الدولة في أعين أعدائها والمناوئين لها.

- جعل الأمويون خراسان ولاية تابعة لولاية العراق ، وأن ولاة العراق لم يكن يهمهم إلاَّ أن تكون هذه المنطقة خزينة لهم ،تجمع منها الأموال ،هذا ما زاد من أعباء أهالي المناطق الشرقية المادية ، وبالتالي ابتعاد قلوبهم عن الأمويين،واستعدادهم للانضمام إلى الدعوات المضادة، خاصة الدعوة للرضا من آل البيت.

- لقد كان لمقتل الحسين دوراً في تطور التشيع ،إذ كان قبل مقتله رأياً سياسيا نظرياً ،فلما قتل أصبح عقيدة راسخة في نفوس أتباع الشيعة. وأثرت مطالب الشيعة على السلطة الأموية أشد التأثير ،دفعها إلى الانشغال بالحركات الداخلية وخاصة منطقة العراق.

-أدت سياسة الشدة التي اتبعها الأمويون مع أنصار الشيعة إلى انقلاب حركتهم إلى عقيدة دينية مطبوعة بطابع الحزن والألم والتوبة والندم.وتكررت حركات الشيعة وكثرت فرقهم حتى أصبحوا اخطر الأحزاب على بني أمية ، وكان لهم دور أساسي في القضاء على حكمهم.

-أجمعت برامج معظم الثورات على العمل بكتاب اللّه،وإحياء سنّة رسول اللّه ﷺ، ومقاومة الجائرين، ونصرة المستضعفين،ورد الفيء إلى من حرم منه، وتوزيع الخراج بالعدل على مستحقيه، ورد الحقوق إلى أهلها،وإعادة من أرسلوا إلى القتال في الثغور البعيدة فجمروا فيها، والدفاع عن أهل البيت،ضد أعدائهم الذين اغتصبوا حقوقه م،والمطالبة بحق آل البيت في الخلافة بعدما اغتصبها معاوية منهم وورثها ابنه يزيد ومن جاء بعده.

-بينما ركزت الدعوة العباسية في مطلبها العام بأنها تعمل من اجل المظلومين في المجتمع وكانت تظهر للمستائين من العرب بوجه وللمتذمرين من الموالي بوجه آخر.مما أدى إلى انكشاف حقيقة العباسيين ومشروع برنامج ،المتمثل في إسقاط الدولة الأموية ، وإقامة خلافة عباسية، وبذلك تحقق برنامج الدعوة العباسية،بعد أن استفادت من الثورات التي سبقتها.

وهكذا تضافرت أسباب متعددة وبرامج مختلفة،تصب في خانة الانتقام والثأر من الأمويين، والدعوة لآل البيت،والمطالبة بالعمل بكتاب الله وسنة نبيه ،خاصة وأن الجور زاد وساد،مما دفع بِنُشطاء المعارضة إلى توظيف ذلك لإسقاط الخلافة الأموية ،وهو ما تحقق على يد العباسيين سنة 132هـ/750م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# قائمة المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# مصادر البحث ومراجعه

## أ ــ قائمة المصادر

- **القرآن الكريم**


1- ابن الطقطقي،محمد بن علي بن طباطبا( ت709هـ/1309م):**الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**،عني بنشرة محمود توفيق الكتبي،دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

2- ابن حزم،علي بن احمد بن سعيد الأندلسي( ت456هـ/1063م):**جوامع السيرة**،تح: إحسان عباس، دار المعارف، مصر،ط1،(د.ت).

3-**جمهرة انساب العرب** ،تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون،دار المعارف،القاهرة، ط5،(د.ت).

4-ابن خلدون،عبد الرحمن بن خلدون المغربي( ت808/هـ/1405م):تاريخ ابن خلدون المسمى **ديوان المبتدأ والخبر من تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، 8أجزاء، ضبطه :خليل شحادة،راجعه سهيل زكار،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،لبنان، 1421هـ /2000م.

5-**المقدمة**: ضبطها:خليل شحادة،راجعه سهيل زكار،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،لبنان، (د.ط)، 2001م.

6-ابن سعد،محمد بن منيع البصري،( ت230هـ/844م):**الطبقات الكبرى**،8اجزاء،دار صادر، بيروت، لبنان،ط1، 1968م

**7**-ابن أبي الحديد ، عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني ( ت 622 هـ ) **شرح نهج البلاغة**.دار الكتب العربية الكبري ، القاهرة،(د.ط)، (د.ت).

8-ابن الأثير،عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري .(ت630هـ /1232م) ، **أسد الغابة في معرفة الصحابة** :8 أجزاء،تح:عليّ محمد معوض وعادل أحمد عبد الجود،دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان،(د.ط)، (د.ت).

**9- الكامل في التاريخ** ،13جزءا،تحقيق:محمد يوسف الدقاق،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان ط 1، 1407هـ/1987م.

10- **الكامل في التاريخ**،8 أجزاء،تح: عمر عبد السلام تدمري،دار الكتاب العربي،بيروت، لبنان ط3، 1422هـ/2001م.

**11**-ابن الجوزي،عبد الرحمن بن علي البغدادي،(ت 597هـ/1200م):**المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ،18 جزءا،تح:محمد عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1، 1992.

12-ابن الصباغ ،عليّ بن محمد بن أحمد المالكي المكي( ت855هـ/1451م) :**الفصول المهمة في معرفة أحوال الإئمة**، دار الأضواء،بيروت،لبنان،ط2، 1988م.

13-ابن العبري ،غريفوريوس أبي الفرج بن اهرون الطبيب الملطي،المعروف بابن العبري (685هـ/1286م):**تاريخ مختصر الدول**،فسره أنطوان صالحاني اليسوعي،دار الرائد، لبنان،ط2، 1994م.

14-ابن النديم، محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق ( ت 378 هـ/988م ) **الفهرست**، تحقيق رضا-تجدد ،(د،ط)،(د،ت).

15-ابن تغري بردى،جمال الدين،( ت874ه/1469م):**النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ، 12 جزءا، تح:محمد حسين شمس الدين،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1،1992م.

16-ابن حجر العسقلاني،شهاب الدين احمد بن عليّ( ت852هـ/ 1448م):**الإصابة في تمييز الصحابة**،تح:طه محمد الزيني، مكتبة ابن تيمية،القاهرة،(د.ط)، 1997م.

17- **تقريب التهذيب** ،جزءان،تح: مصطفى عبد القادر عطا،دار المكتبة العلمية، بيروت ،لبنان، ط2 ،1995م.

18- **تهذيب التهذيب**،12جزءاً،تحقيق:إبراهيم الزيبق وعادل مرشد، دار الفكر ،ط1 ،1984م.

19-ابن خلكان،شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر( ت681هـ/1282م):**وفيات الأعيان وأنباء الزمان**،8اجزاء،تح:إحسان عباس،دار صادر،بيروت،لبنان،1968م.

20-ابن خياط،خليفة بن خياط الشيباني العصفري( ت240هـ/854م):**تاريخ خليفة بن خياط** ، تح:أكرم ضياء العمري،دار طيبة، الرياض،ط2، 1985م.

21-ابن عبد البر ،أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي النَّمَري ( ت:463هـ /1070م) :**الاستيعاب في معرفة الأصحاب**،صححه عادل مرشد،دار الإعلام،ط1، 2002م.

22- ابن عساكر،أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت:571هـ/1175م):**تاريخ مدينة دمشق**،80جزء،تح:محمب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،لبنان،(د،ط)،1995م.

23- ابن قتيبة،عبد الله بن محمد الدينوري ،(ت276هـ/889م):**الإمامة والسياسة**،**المعروف بتاريخ الخلفاء**،جزءان،تح:طه محمد الزين،دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د،ط)، 1967م.

24- **المعارف**،تح: ثروت عكاشة،دار المعرفة،القاهرة ط4، 1984م.

25- **كتاب عيون الأخبار**، أربعة أجزاء،تح :لجنة بدار الكتب المصرية،مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2،1996م.

26-ابن عبد ربه،احمد بن محمد عبد ربه الأندلسي( ت328هـ/940م):**العقد الفريد** ،9اجزاء ،تح: مفيد محمد قميحة،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1، 1983م.

27-ابن كثير،عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقي( ت774هـ/1372م):**البداية والنهاية**،8 أجزاء، تح:محمود بن الجميل أبو عبد الله،دار الإمام مالك،الجزائر،ط2،2006م.

28- **البداية والنهاية**،14 جزءا، تح: علي شيري ، دار إحياء التراث العربي،ط1،1988م.

29-ابن منظور،محمد بن مكرم بن عليّ الأنصاري( ت711هـ/1311م):**لسان العرب** ،55جزءا، تح:عبد الله عليّ الكبير ومحمد أحمد حسب الله...،دار المعارف،القاهرة،(د.ط)، (د.ت).

30-أبو العرب،محمد بن أحمد بن تميم التميمي (ت333هـ/944م):**كتاب المحن** ،تح: يحي وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،ط2، 1988م.

31-أبو الفداء،عماد الدين إسماعيل أبي الفداء( ت733هـ/1332م):**المختصر في أخبار البشر**، جزءان، تح:محمد زينهم محمد عزب وبحي سيد حسين ومحمد فخري الوصيف ،دار المعارفة ، بالقاهرة ،(د،ط) (د،ت).

32-أبو بكر العربي، القاضي(ت543هـ/1148م):: **العواصم من القواصم** ،تحقيق عمار طالبي ،مكتبة دار التراث، القاهرة ،(د،ط) (د،ت).

33-الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله ( ت 430 هـ /1038م): **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**(د،مح)، دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1، 1988م

34-الأصفهاني ،أبو الفرج عليّ بن الحسين بن محمد بن أحمد ( ت 356 هـ/967م ) **مقاتل الطالبيين** .تحقيق أحمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة 1985م. وطبعة 1949م.

35-البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد ( ت 429 هـ/1038م ) **الفرق بين الفرق**، تح:محمد محي الين عبد الحميد،المكتبة العصرية،بيروت، (د،ط)،1995م.

36-البغدادي، أبو بكر أحمد بن عليّ الخطيب ( ت 463 هـ/1070م )، **تاريخ بغداد**، المعروف بـ (تاريخ مدينة السلام)،تح: بشار عواد معروف، دار الغر الإسلامي، ط 1 ، 2001م.

37-البخاري،ابن عبد الله اسماعيل بن إبراهيم الجعفي( ت256هـ/870م):**التاريخ الكبير**، دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،(د.ط)،(د.ت)

38-البلاذري،احمد بن يحي جابر(ت 279هـ/892م): **فتوح البلدان**،تح:عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع،بمؤسسة المعارف،يروت، لبنان، (د.ط)،1407هـ/1987م.

39-**انساب لأشراف** ،13جزءا،تح:سهيل زكار ورياض زركلي دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،ط1،1996م.

40-البيهقي،إبراهيم بن محمد( 320هـ/932م):**المحاسن والمساوئ** ،تح:محمد أبو الفضل إبراهيم،دار المعارف،القاهرة،(د.ط)،(د.ت).

41-الجاحظ،عمرو بن بحر ( ت 255 هـ/869م ) :**الرسائل** : ، 2أجزاء،تح:عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة، ط7،1384هـ/1964م.

42-**البيان والتبيين**،4أجزاء،تح:عبد السلام هارون،مكتبة الخانجي، القاهرة ،ط7 ،/1998م.

43-الجهشياري،أبو عبد الله محمد بن عبدوس ( ت 331 هـ/942م ) **الوزراء والكتاب** تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري ، مطبعة البابي ط 1 ، القاهرة 1938.

44-الحمودي،شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي (ت626هـ/1228م): **معجم البلدان** ، 5أجزاء،(د.مح) ،دارا صادر،بيروت،لبنان،(د.ط)، (د.ت).

45-الحميري،أبو سعيد نشوان بن سعيد (ت 573 هـ/1177م)**الحور العين** .تح:كمال مصطفى، دار آزال للطباعة،بيروت، ط2، 1985م.

46-الحنبلي، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي (ت1089هـ/1678م): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط،دار ابن كثير،دمشق، ط1، 1986م.

47-السمعاني،عبد الكريم محمد بن منصور تميمي(ت 562هـ/1166م): **الأنساب**،10اجزاء، تح:عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني،مكتبة ابن تيمية، ط2، 1980م.

48-الدينوري،احمد بن داود( ت282هـ/895م):**الأخبار الطوال** ،تح:عمر فاروق الطباع،دار القلم للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،ط1، 1960م.

49-الذهبي،شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الشافعي ( ت748هـ/1347م):**تاريخ الإسلام**،37 جزءا،تح: عمر عبد السلام التدمري ،دار الكتاب العربي،بيروت، لبنان، ط1،1990م.

50-**سير إعلام النبلاء** ،23جزءا،تح:عباس الأرناؤوط وآخرين،مؤسسة الرسالة،بيروت،لبنان،ط 9،1993م.

51-**العبر في خبر من غبر** ،تح:أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،(د.ط) (د.ت).

52-السيوطي،جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر محمد الخضيري ( ت911هـ/1505م) :**تاريخ الخلفاء**،تح:محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار النهضة ،القاهرة،(د.ط)، 1975م.

53-الشهرستاني،محمد بن عبد الكريم بن احمد(ت 548هـ/1153م):**الملل والنحل** ،جزءان، تح:أمير عليّ مهنا وعليّ حسن فاغور،دار المعرفة،بيروت،لبنان،ط3، 1993م.

54-الصفدي،صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ/1362م: **الوافي بالوفيات** ،29 جزءا، تح:أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى،دار إحياء التراث العربي،بيروت، لبنان،ط1، 2000م.

55-الطبري،محمد بن جرير،( ت310هـ/921م):**تاريخ الرسل والملوك** ،11جزء، ط 2، تح:محمد أبو الفضل إبراهيم،دار المعارف،القاهرة،مصر،1979م.

56-**استشهاد الحسين**:تحقيق السيد الجميلي،دار الريان للتراث،لدار الكتاب العربي،بيروت،لبنان، ط 2، م1988.

57-القلقشندي،احمد بن عليّ(ت821هـ/1418م):**صبح الأعشى في صناعة الإنشاء** ،**14** جزءا، دار الكتب المصرية،القاهرة،(د.ط)،1922م.

58-الكندي ومحمد بن يوسف بن يعقوب الكندي المصري( ت355هـ/966م):**الولاة وكتاب القضاة**،تح:حسن أحمد محمود،الدار المصرية،(د.ط) (ب،ت).

59-المبرد،محمد بن يزيد( ت285هـ/859م):**الكامل في اللغة والأدب** ،4اجزاء،تح:محمد أبو الفضل إبراهيم،المكتبة العصرية،بيروت،لبنان،(د،ط)،2002م.

60-المسعودي،عليّ بن الحسين بن عليّ المسعودي ( ت346هـ/957م):**مروج الذهب ومعادن الجوهر**،4مجلدات،تح: محمد محي الدين عبد الحميد،دار الفكر،(د.ط)،(د.ت).

61- **التنبيه والأشراف**،دار صادر، ،(د،ط) 1893م.

62-المقدسي،المطهر بن طاهر( ت355هـ/965م):**البدء والتاريخ**،6اجزاء،تح:بروكلمان هوار، مكتبة الثقافة الدينية،(د.ط)،(د.ت).

63-المقريزي،تقي الدين احمد بن عليّ( ت845هـ/1441م):**النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم**،تح:صالح الورداني،الهدف للإعلام والنشر،(د.ط)،(د.ت).

64-المنقري، نصر بن مزاحم بن سيار ( ت 212 هـ/827م ) **وقعة صفين** ،تح: عبد السلام محمد هارون ، المؤسسة العربية الحديثة للطبع ،ط2، 1382 هـ.

65-النرشخي،أبو بكر محمد بن جعفر (ت348 هـ959م):**تاريخ بخارى**،عربه وحققه:أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطرازي،دار المعارف،القاهرة،ط3، (د.ت).

66-النوبختي،أبو محمد الحسن بن موسى( ت310هـ/922م):**فرق الشيعة**،تح: عبد المنعم الحفني، دار الرشاد،ط1، 1992م.

67-النووي،أبي زكريا محيى الدين بن شرف النووى(ت676 هـ1277م): **تهذيب الأسماء واللغات**، تحق:مصطفى عبد القادر عط،(د.ط)،(د.ت).

68-النويري،احمد بن عبد الوهاب( ت733هـ/1332م):**نهاية الإرب في فنون الأدب** ،27 جزءا، تح:عبد المجيد ترحيني وعماد عليّ حمزة،دار الكتب العلميةبيروت،لبنان،ط1، 2004م.

69-اليعقوبي،إسحاق بن جعفر( ت292هـ/904م):**تاريخ اليعقوبي** ،جزءان،دار صار للطباعة والنشر ،بيروت،لبنان،(د.ط)،(د.ت)

70-مجهول:**أخبار الدولة العباسية** ويليه أخبار العباس وولده،تح:عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي،دار الطليعة ،بيروت،ط2، 1997م.

71-مصعب، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري((ت 236هـ/851م):**كتاب نسب قريش**،نشره وعلق عليه:إ.ليفي برُفنسال،دار المعارف،القاهرة،ط2،(د.ت).

**أ-المراجع الحديثة :**

1- أبو النصر،عمر:**عبد الملك بن مروان**،المكتبة ألأهلية،بيروت،لبنان،ط1، 1962.

2-أحمد،مصطفى أبو ضيف:**دراسات في تاريخ الدولة العربية**، دار النشر المغربية،ط4 ، 1986م

3-الجابري،محمد عابد:**العقل السياسي العربي**،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،ط6، 2007م.

4-الخربوطلي،عليّ حسين: **المختار الثقفي،مرآة العصر الأموي** ،،الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د.ط)، (د.ت).

5-**عبد الله بن الزبير**،الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د.ط)،(د.ت).

6-الدوري،عبد العزيز **مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي** ،دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،ط4 ،1982م.

7-**مقدمة في تاريخ صدر الإسلام**،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، (د.ط)2005م.

8-**العصر العباسي الأول** (دراسة في التاريخ السياسي والإداري) ،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،ط3،1997م.

9-الرايس ،محمد ضياء الدين:**النظريات السياسية الإسلامية**،دار التراث،القاهرة،ط7، (د.ت).

10-السيد فتحي، مجدي:**تاريخ الإسلام والمسلمين في العصر الأموي** ،دار الصحابة للتراث بطنطا، (د.ط)،1998م.

11-العش، يوسف:**الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها**،دار الفكر،دمشق، سوريا، ط2، 1406هـ/1985م.

12-**تاريخ عصر الخلافة العباسية**،دار الفكر،دمشق،سوريا،1402 هـ /1982م.

13-الفيومي، محمد إبراهيم:**الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي**،دار الشروق،القاهرة،ط1، 1998م.

14-الوشمي،صالح سليمان: **أبو مسلم الخراساني**،نادي القصيم الأدبي،(د.ط)، 1400هـ

15-بدوي، محمد أمين:**الشيعة ونشاطهم السياسي** ،دار الكتاب،القاهرة،(د.ط)،1985.

16-بيضون، إبراهيم: **ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري** ،دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،(د.ط)،1979.

17-بيطار،أمينة:**تاريخ العصر العباسي**،،جامعة دمشق،ط4 ،1418 هـ/1997م.

18-حسن، أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: **العالم الإسلامي في العصر العباسي** ، دار الفكر العربي،القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

19-حسن،إبراهيم حسن:**تاريخ الإسلام**،4اجزاء،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط7،1964م.

20-حسن،حسين الحاج:**الرسالة في الثورة الحسينية**،دار الكرام ،بيروت، لبنان، ط1، 1993م.

**21-**حمادة،محمد ماهر:**الوثائق السياسة** والادارية العائدة للعصر الأموي،مؤسسة الرسالة،دار النفائس، بيروت،ط4 ،1985م.

22-ذنون طه،عبد الواحد ه: **العراقي في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي** من الناحية السياسية والإدارية،دار المدار الإسلامية،بيروت،لبنان،(د.ط)،2004.

23-زعرور ،إبراهيم وعليّ أحمد: **تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري**،**منشورات جامعة دمشق**،(**د.ط**)،**1996**م.

24-سالم، عبد العزيز: **دراسات في تاريخ العرب –العصر العباسي الأول** –مؤسسة ضباب الجامعة، الأسكندرية،(د.ط)،1993.

25-سرور،محمد جمال الدين:**الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية** خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة.دار الفكر العربي،القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

26-شاكر،محمود:**التاريخ الإسلامي**،22جزءا،المكتب الإسلامي،دمشق،ط7،1991 م.

27-صبحي،أحمد محمود : **في علم الكلام–الزيدية–**،دار النهضة العربية،بيروت،ط3 ،1991م.

28-عطوان ،حسين:**الأمويون والخلافة**،دار الجيل،(د.ط) بيروت ،لبنان،، 1986.

29-**الفقهاء والخلافة في العصر الأموي**،،دار الجيل،بيروت،لبنان،ط1، 1991م.

30-**الدعوة العباسية**،**مبادئ وأساليب**،،دار الجيل،بيروت،لبنان،(د.ط)، (د.ت).

31-عمر،فاروق:**الثورة العباسية** ،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،ط1، 1989م.

32-العبدة،محمد: **حركة النفس الزكية**،دار الأرقم، ط3، 1993م.

33-محمد شعبان ،محمد عبد الحي: **صدر الإسلام والدولة الأموية** ،الأهلية للطباعة والنشر،بيروت، لبنان،(د.ط)1987.

34-يحي، بن إبراهيم: **الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري** ،تقديم:أكرم ضياء العمري، دار الهجرة للنشر والتوزيع،(د.ط)،1996.

## ج-المراجع المترجمة :

1-المودودي،أبو الأعلى: **الخلافة و الملك**،تعريب أحمد إدريس،دار القلم،الكويت،ط1،1978م.

2-جعيط،هشام: **الفتنة جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر**،ترجمة :خليل أحمد خليل،دار الطليعة ،بيروت،ط4، 2000م.

3-علي،سيد أمير:**مختصر تاريخ العرب** ،ترجمة عفيف البعلبكي،دار العلم للملايين ،بيروت،ط2، 1968م.

4-فلهاوزن،يوليوس :**تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية**،نقله إلى العربية د.محمد عبد الهادي أبو ريدة،وراجعه حسين مؤنس،لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،ط2 ،1968م.

5-فلهاوزن،يوليوس: **أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام:الخوارج والشيعة**،ترجمة عبد الرحمن بدوي،وكالة المطبوعات،الكويت،ط2،1978م.

6-فلوتن،فان:**السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات"المهدية" في ظل خلافة بني أمية**،ترجمة إبراهيم بيضون،دار النهضة العربية للطباعة والنسر،بيروت،1996م.

# الفهـــــــــــارس

- فـــهارس الأعلام
- فـــهرس الأمـــاكن
- فـــــهرس الـــقبائل
- فـــهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# فهرس الأعلام


ـأـ

-القاسم بن مجاشع التميمي أبو نصر. (1).180.

-أبان بن عثمان: (1) 17.

-إبراهيم بن الأشتر: (8).69. 73. 74.

-إبراهيم بن عبد الرحمان الحنفيُّ. (1). 162

-إبراهيم بن محمد بن طلحة.(2)..109. 113

-إبراهيم بن محمد بن عليّ.(26).171. 177. 178. 179. 182. 183. 184. 185 .186. 189. 190. 191. 192. 195.

-ابن الأشعث،عبد الرحمن بن محمد:(94).. 116. 118. 119. 120. 121. 122. 123. 124. 125. 126. 127. 128. 129. 130. 131. 132. 133. 134. 135. 136. 138. 139. 142. 149. 157. 159.

-ابن عمر بن الخطاب(2). 49. 75.

-أبو العباس السفاح.(13).191. 192. 194. 195. 196.

-أبو بكر الصديق. (7) 4. 20. 94. 181.

-أبو بكر بن الحسن بن عليٍّ . (1).52.

-أبو سلمة الخلال.(11).176. 188. 190. 196. 197.

-أبو مسلم الخراساني هو عبد الرحمان بن مسلم.(27). 168.169. 173. 174. 177. 184. 185. 186. 188. 189. 196. 197.

-أبو هاشم عبدِ اللّه بن محمد بن الحنفيّة. (1). 181.

-أسد بن عبد الله القشري. (2).155.

-إسماعيل بن الأشعث.(1). 123.

-إسماعيل بن عبد الله القشري.(2). 193.

-الأشتر النخعي.(2). 25.

-الأشعث بن عبد الله بن الجارود. (2). 120. 149.

-الجراح بن عبد الله الحكمي. (12).160. 161. 162.

-الجنيد بن عبد الرحم المري. (2). 167. 171.

-الحارث بن سريج.(1).184.

-الحجاج بن يوسف الثقفي. (239.) .66. 78.80. 102. 103. 109. 111. 112. 113. 114. 115. 116. 114. 118. 119. 120. 121. 122. 123. 124. 125. 126. 127. 128. 129. 130. 131 132. 133. 134. 135. 136. 137. 138. 139. 140. 141. 142. 146. 152. 157. 159.160. 161. 165. 169.

-الحسن بن أبي الحسن البصري. (4). 118. 146. 148. 151.

-الحسن بن عليّ بن أبي طالب. (17) .27. 37. 38. 39. 45. 69. 77. 78. 91. 153. 181. 191. 198.

-الحسين بن علي بن أبي طالب.( 220) . 32. 35. 36. 37. 40.39. 41. 42 . 43. 44. 45. 46. 47. 48. 49.50. 51. 52. 53. 54. 55. 56. 57. 58. 59. 60. 64. 67. 68. 69. 71. 73. 75. 76. 77. 80. 81. 87. 88. 97. 98. 104. 155.169. 200.

-الحصين بن نمير الكندي السكوني.(11).47. 62.108. 114

-الزبير بن العوام. (7) .18. 19. 20. 21. 22.

-الضحاك بن قيس الفهري .(3). 92. 102. 109.

-العباس بن الوليد. (1). 149.

-العباس بن عبد المطلب بن هشام بن عبد مناف القرشي. (2).89. 165.

-المختار بن أبي عبيد الثقفي.(124) 30. 58. 64. 65. 66. 67. 68. 69. 70. 71. 72. 73. 74.....78. 91. 108. 109. 114.

-المسيّب بن نجبه الفزاري. (2). 54. 58.

-المغيرة بن شعبة . (1).69.

-المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل الثقفي.(1). 150.

-المفضل بن المهلب.(2) 141. 150.

-المنذر بن الجارود. (3) .44. 46. 120.

-النضر بن أنس ابن مالك. (1) .148.

-النضر بن شمير.(1). 135

-النعمان بن بشير. (3).45. 47. 97.

-الهذيل بن زفر بن الحارث الكلابي.(4). 60. 63. 110 .150
-الهيثم بن عدىّ.(1). 155.
-الوليد بن عبد الملك.(3). 136. 150. 142.
-الوليد بن عتبة بن أبي سفيان.(5). 41. 96. 97. 115
-الوليد بن يزيد. (3). 170. 174.
-أمية بن عبد الله الأموي. (1). 159.

-ب، ج، ح -

-بخارى طغشادة. (1).164
-بكير بن ماهان. (1).177.
-جديع الكرماني. (2). 169. 188.
-جعفر بن محمد بن عليّ. (1). 191.
-حُبَيْش بن دُلْجَة القَيْنتي. (1) . 103
-حُجْر بن عَدّي: (1) .36.
-حكيم بن جبلة. (1) 25
-حمل بن مالك المحاربيّ. (1) .65.
-حميد بن مسلم. (1).63.
-حنظلة الكلبي. (1). 187.

-خ-

-خالد ابن إبراهيم، أبو داود، من بني عمرو بن شيبان بن ذهل.(1).182.
-خالد بن الحكم. (1). 40.
-خالد بن عبد الله القسري. (4).66 .49. 169. 171.
-خولى بن يزيد الاصبحيّ. (1). 75. 203

-ر، ز-

-رُتْبيل.(14) .123. 124. 127. 131. 136. 137. 153.
-زفر بن الحارث الكلابي. (2) 120. 151 ..
-زياد بن أبيه. (7) 24. 32 . 33. 37. 39 .
-زياد بن المهلب.(1). 150.

-س ،ش-

-سعيد بن العاص.(26) .20.
-سعيد بن جبير.( 7).118. 129. 136. 158.
-سعيد بن عبد العزيز الأموي. (1). 159.
-سليمان بن صرد.(30). 41. 46. 48. 51. 55. 56. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64.
-سليمان بن عبد الملك .(8). 120. 141. 142. 143 .155
-سليمان بن كثير الخزاعي. (12) 182. 183. 184. 185. 186. 188. 194.
-سويد بن عبد الرحمن المنقرى.(2) 69. 74.
-شريك بن حريث. (1). 164.
-شيبان اليشكري. (1).187.

-ص، ع -

-صالح بن عبد الرحمن.(2) 141. 142.
-صالح بن عليّ .(5). 192. 194. 195.
-عابس بن أبي شبيب الشاكري. (1). 42.
-عامر بن ضبارة. (3). 187. 188.
-عبد الرحمن بن أبي بكرة . (1). 34
-عبد الرحمن بن أبى حَشْكَارَة البَجَلى. (1). 75.
-عبد الرحمن بن أبي ليلى وأبو البختري.(1) .129.
-عبد الرحمن بن عبد الله القشيري. (6). 162.
-عبد الرحمن بن عقيل . (2). 52. 75.
-عبد الرحمن بن محمد أيوب ابن القرية.(1). 129.
-عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي. (84) .78. 92. 117. 118. 119. 120. 121. 122. 123. 109....136. 140. 141. 157.
-عبيد الله بن أسد الجهنىّ . (1) 75.

-عبيد الله بن زياد.(10) .45. 46. 47. 51. 53. 58. 61. 69.
-عبيد الله بن عبد الله المرئ. (1). 46.
-عثمان بن أبي الحكم الهنائي.(1). 149.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-عثمان بن خالد الجهني . (1). 75.

-عثمان بن عفان. (78). 18 19 .20. 21. 22. 23. 25. 30. 93. 94. 97. 107. 128. 137.169.

-عبد العزيز بن مروان.(1). 110.

-عبد الله ابن خازم. (1). 67.

-عبد الله بن عليّ. (10). 192. 193. 194.

-عبد الله بن معاوية.(1). 182.

-عبد الله القسري. (6).166. 169. 171.

-عبد الله بن الجارود.(2).120. 149.

-عبد الله بن الحر الجعفي. (1).69

-عبد الله بن الحسين. (1). 191

-عبد الله بن الزبير.(198). 38. 39. 40. 56. 60. 62. 66. 67. 68. 72. 77. 78. 79. 80. 92. 93. 94. 95. 96. 97. 98. 99. 100. 101. 102. 103. 104. 105. 106. 107. 108. 109. 110. 112. 113. 114. 115. 120. 199.

-عبد الله بن جعفر ذو الجناحين. (2).39. 95. 178. 181. 192.

-عبد الله بن حازم السُّلَميّ. (1). 110.

-عبد الله بن حنظلة الأنصاري.(1)..50.

-عبد الله بن خباب بن الأرث.(1). 26.

-عبد الله بن سعد بن نُفَيل الازدي.(1).54.

-عبد الله بن عامر التميميّ. (1) 131.

-عبد الله بن عباس.(10). 22. 38 .41. 49.. 53. 94. 97. 113. 133.

-عبد الله بن عمر.(9) 18 .22. 32. 41. 50. 102 .111.

-عبد الله بن مطيع. (5) 48. 70. 72. 105. 109.

-عبد الله بن وال التميمي. (1)54.

-عبد الله بن وهب الراسبي.(1) . 26.

-عبد الله بن وهيب الهَمَدَاني ابن عم الاعشى. (1). 75

-عبد المؤمن بن شبث بن ربعي التميمي.(2) 126 . 127.

-عبد الملك بن مروان.(17).65. 72. 80. 89. 92. 100. 101. 110. 113. 128. 134 .139. 144. 150. 172. 197.

-عدي بن أرطأة.(7) .143. 146. 148. 149. 153.

-عدي بن حاتم .(1). 32.

-عدَّي بن عبد الله بن جعفر الطيار .(1).52.

-عروة بن الزبير. (3). 102. 112.

-عليّ بن أبي طالب .(33). 18 . 19. 20. 22 .23. 24 .25. 26. 27. 30. 57. 69. 71. 82. 84. 90. 113. 154. 173.

-عمر بن الخطاب.(6).18. 20. 30. 87. 93. 146.

-عمر بن سعد بن أبي وقاص. (4). 47. 51. 67. 75.

-عمر بن عبد الرحمن ابن الحرث. (1)..49.

-عمر بن عبد العزيز.(15). 143 . 144. 146. 148. 160. 160. 162. 163. 184

-عمر بن عليّ بن الحسين بن عليّ. (1).202.

-عمر بن هبيرة. (4). 166. 167. 196.

-عمران بن خالد العَشْرِيّ .(1). 75.

-عمرو بن أعين أبو الحكم مولى لخزاعة. (1).182.

-عمرو بن الحَمِق. (1). 36.

-عمرو بن العاص.(3). 25. 26. 27.

-عمرو بن حريث. (3).51. 59. .73.

-عمرو بن سعيد بن العاص.(6) . 101 .104. 110. 114 . 115.

-عمرو بن عبيد الله بن معمر. (1).44.

-عياضَ ابن همیان البَكريّ. (1) 131.

-عيسى بن أعين الخزاعي مولى لخزاعة. (1).182.

-عيسى بن كعب التميمي. (1).192.

-عبد الملك بن يزيد الازدي. (1) 192.

-عبيد الله بن أبي بكرة.(1) 125.

-ق،ك،ل-

-قيس ابن الهيثم. (1).44.

-كلثوم بن عياض القسري. (1). 166.

-لا هز بن قُرَيْظ التميمي. (1).182.

-م-

-مالك بن الهيثم الخزاعي أبو عيينة. (1) 182.
-مالك بن شراحيل الخولاني. (1) 130.
-مالك بن مسمع البكري.(1).110.
-مالك بن نسيْر الكندىّ .(1) 75
-محمد ابن القاسم الثقفي.(1).66.
-محمد بن الحنفية. (7).68. 72. 75. 76. 97. 113.
-محمد بن المهلب.(1). 149.
-محمد بن عقيل بن أبي طالب. (1).52.
محمد بن عليّ ابن عبد الله بن العباس -الإمام-.(20).
155. 156. 173. 185. 176. 177. 180. 181.
183. 191.
-محمد بن عليّ ابن عبد الله بن العباس. (1).155.
-مُدْرك بن المهلب. (1). 149.
-مروان بن الحكم.(13) 20. .35. 40. 67. 100.
102. 103. 104. 109. 115.
-مروان بن محمد. (22). 167. 168. 186. 187.
188. 190. 192. 193. 194. 195. 197. 201.
-مسعود بن عمرو.(1). 44 .
-مسلم بن عقبة المري.(1) 108.
-مسلم بن عقيل بن أبي طالب.(7).42. 46. 47. 52.
-مسلمة بن عبد الملك. (7). 149.150. 152. 153.
-مصعب بن الزبير. (23).70. 73. 78. 79. 102.
106.
-معاوية بن أبي سفيان.(142). 18 .21. 22. 23. 24.
25. 27. 28. 29. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38.
39. 40.41. 42. 43. 45. 50. 57. 58. 84. 87.
92. 94. 95. 96. 100. 102. 103. 104. 112.
113. 155
-قتيبة بن مسلم الباهلي.(4).141. 142. 159.
-معاوية بن يزيد.(9).57. 58. 99. 100. 105. 109.
114.
-مغراء بن احمر النميري. (1). 167.
-منصور بن جمهور الكلبي.(1). 167.
-مُهْزِم بن القِرْن العَبْدي. (1). 149.
-موسى ابن كعب التميمي أبو علي.(1).182.

-ن،هـ، و-

-نَجْدَةَ الحَرُوريّ على العَرُوض.(1).72.
-نصر بن سيار. (19). 165. 166.167. 168.
169. 174. 178. 186. 187. 188.
-هانئ بن عروة المرادي. (1)46.
-هانء ابن أبي حية الوادعي.(1).68.
-هشام بن عبد الملك. (1). 83.
-هلال بن عياض الهنائي.(1). 149.
-واصل بن عطاء.(1) . 88.
-وداع بن حميد اليحمدي. (1). 149.
-وكيع بن أبي سود التميمي. (1). 159.

-ي-

-يزيد بن انس(رسول المختار). (1).69.
-يز يد بن معاوية بن أبي سفيان.(32). 40. 41. 47.
52. 59. 60. 65. 97. 98. 104. 105. 107. 108.
112. 114.
-يزيد ابن هبيرة. (13). 166. 167. 186 .187.
188. 189. 190. 195.
-يزيد بن أبي مسلم. (1). 141 .
-يزيد بن المُهلب.(13).92 .120. 122. 127. 139.
140 141 . 142. 143. 144. 145. 146. 147.
148. 149. 150. 151. 152.
-يزيد بن عبد الملك.(18) 144. 145. 146. 147.
149. 150. 201.
-يوسف بن عمر الثقفي.(8) 81. 89. 90. 166.
167. 171.

# فهرس الأماكن


–أ–

–اصبهان.(1). 189

–الأبطح. (1).107.

–الأنبار.(1).62.

–الأهواز.(2). 143. 149.

–البحرين.(1). 149.

–البصرة. (58). 20. 24. 34. 44. 47. 56.. 57.
61. 63. 72. 78. 84. 85. 87. 90. 92. 106..
109 . 110. 118. 120. 122. 128. 129. 132.
133. 137. 142. 145. 146. 148. 149. 157.
181.

–الجزيرة.(9). 76. 87 . 110 . 149. 172. 181.

–الحبشة(1)..108.

–الحجاز . (44) .37. 38. 39. 41. 45. 50. 52.
56. 64. 66. 68. 69. 72. 91. 95. 97. 99. 102.
103. 104. 105. 107. 108. 109. 110 . 113 .
114. 115. 181.

–الحرة. (7) 79. 80. 98. 107. 111. 115. 178.

–الحُمَيْمَة. .(7). 154. 175. 180.

–الريّ. (2). 141.

–الزاب(5). 191. 197. 102.

–الشام. (145). 18. 21. 22. 23. 24. 25. 26. .
28. 29. 37. 38. 41. 42. 43. 46. 55. 56 . 61.
63. 72 . 76. 78. 84. 86. 87. 90. 97. 98. 99.
103. 104. 105. 106. 108. 109. 110. 112.
113. 114. 117. 117. 121. 122. 123. 128.
129. 130. 132. 133. 134. 137. 142. 143.
144. 145. 146. 148. 149. 150. 150. 171.
179. 181. 183. 187. 193. 198. 100. 102.

–العراق. (241). 20. 21. 29. 30. 33. 35. 36.
37. 38. 39. 40. 41. 42. 44. 45. 46. 47. 48.
50. 51. 54. 55. 56. 62. 63. 65. 66. 67. 68.
69. 70. 71. 73. 75. 76. 77. 78. 70. 81. 86.
90. 91. 98. 99. 103. 104. 105. 106. 108.
109. 110. 111. 113. 114. 116. 117. 118.
120 . 121. 122. 123. 124. 125. 126. 127.
128. 129. 130. 131. 132. 133. 134. 135.
137. 140. 141. 142. 148. 149. 156. 158.
159. 160. 161. 162. 163. 164. 165. 166.
167. 168. 169. 170. 171. 173. 174. 175.
176. 177. 178. 179. 180. 181. 182. 183.
184. 185. 187. 186. 188. 189. 195. 196.
198.

–الفرات.(2).124. 189.

–القُطِقُطَانَةُ.(1). 148.

–الكعبة. (17).32. 76. 80. 98. 111. 112 . 113.
115. 148. 170.

–الكوفة. (132).20. 21. 25. 26. 29. 30. 32.
34. 41. 42. 44. 45. 46. 47. 48. 51. 52. 54.
55. 56. 57. 60. 61. 64. 66. 67. 68. 71. 72.
73. 77. 78. 80. 81. 86. 87. 88. 89. 92. 97.
98. 99 101. 109. 110. 113. 116. 128. 129.
133. 136. 137. 149. 150. 156. 157. 175.
177. 180. 181. 183. 184. 189. 190. 191.
195. 110.

–المدائن.(4). 57. 60. 63. 87.

–الموصل .( 4).87. 110. 172.

–النخيلة. (6). 56. 60. 61.

–الهند. (1). 66.

–اليمامة .(1).108.

–اليمن.(6). 52. 105. 109. 169. 171. 185.

–اليمن.(6). 52. 105. 109. 169. 171. 185.

–ب–

–بُسْتِ.(1).130.

–بلخ.(2). 163.

–ج،ح،خ ،د–

–جبل أبي قبيس.( 1). 111.

–جرجان. .(7). 139. 140. 142. 178. 189.

–حران. (6). 172. 190. 192. 193.

–خراسان.(158). 34. 73. 84. 87. 89. 104.
105. 109. 110. 113. 122. 139. 140. 141.
142. 143.

–دمشق. (30). 29. 50. 80. 82. 96. 98. 102.
104. 107. 113. 114. 128. 142. 144. 153.
159. 160. 166. 171. 172. 193. 194. 198.
100. 102.

–دهستان.(1). 142.

–دير الجماجم.(6). 129. 131. 133. 134. 135.

–س، ط،ع–

–سجستان.(5).122. 123. 124. 131. 132.

–سفيذنج.(4). 185.177.

–طبرستان (3). 139. 142. 143.

–عمان.( 2).149. 166.

–ف،م–

–فارس(9). 47. 50. 110. 122. 127. 138. 148.
173. 194.

–قرقيسيا.(2). 62.

–قنسرين(2).167. 194.

–مرْو الشاهجان(3). 173. 185. 188.

–مرو.(3) 141. 169.

–مكة.(42). 40. 41. 45. 47. 48. 68. 80. 96.
97. 99. 101. 103. 104. 107. 108. 109. 110.
111. 112. 113. 114. 115. 181. 183.

–ن،هـ،و–

–نهر أبي فُطْرُس. (1). 194.

–نهر خَازِرُ .( 2). 76.

–نيسابور.(1). 189

–هراة.(4). 136. 184.

–همذان .(1). 189.

–واسط. (6). 121. 137. 152. 153. 189. 195.

–وبرة .(1).108.


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

# فهرس القبائل والأمم


–أ–

–أزد. (3).27. 69. 166.

–آل ساسان. (1).150.

–الأمويون.(89):18. 23. 29. 30. 32. 33. 19. 39. 46. 49. 50. 51. 52. 54. 55. 66. 79. 84. 89. 90. 96. 98. 100. 102. 104. 108. 109. 113. 116. 117. 132. 153. 154. 156. 157. 158. 166. 172. 173. 174. 176. 177. 181. 182. 186. 189. 192. 193.194. 195. 196. 198. 101. 102. 103

–البزنطينين. (1). 109.

–التوابون. (46). 30. 54. 55. 56 . 57. 58. 59. 60. 61. 62. 63. 64. 65. 67. 68.76. 101.

–الجراجمة. (1). 109.

–الدهاقين. (8).33. 119 . 158. 159. 162.

–الربعية. (5). 167. 183. 186.

–الروم. (5). 110. 112. 152. 153. 191.

–السُّغْدُ. (1). 162.

–العباسيون. (50). 65. 154. 158. 159. 168. 166. 168. 169. 170. 171. 172. 175. 176. 177. 178. 179. 185. 187. 189. 190. 191. 192. 193. 194. 195. 191. 201.

–العجم.(14). 74. 87. 156. 158. 160. 162. 163. 164. 177. 188.

–العرب. (69).21. 41. 60. 65. 66. 67. 68. 71. 72. 77. 88. 116. 118. 119. 121. 122. 157. 156. 157. 158. 159. 160. 161. 162. 163. 164. 167. 169. 176. 183. 186. 194. 200.

–العلويون. (16). 50. 67. 68. 74. 88. 155. 170. 172. 173. 174.. 189. 191. 193 195. 198. 101.

–الفرس.(9). 51. 67. 88. 90. 158. 179. 195.

–القيسية. (5). 164. 165. 170. 190.

–الكلبية. (1). 170.

–الموالي. (65) .51. 65. 66. 71. 72. 76. 77. 78. 92. 117. 118. 119. 120. 121. 156. 157. 158. 160. 161. 162. 177. 182. 188. 194. 199. 100 .

–اليمنية(اليمانية). (24).25. 101. 116. 117. 159. 164. 166. 167. 170. 183. 186. 190. 192. 179.

–ب–

–بني إسرائيل. (1).58.

–بنو أمية . (69).32. 37. 40. 46 .52. 57. 60. 62. 72. 79. 82. 83. 84. 85. 86. 89. 92. 97. 99. 100. 101. 103. 104. 106. 107. 108. 113 . 116. 129. 130. 138. 145. 146. 147. 149. 156. 159. 167. 168. 172. 173. 176. 177. 178. 180. 185. 186. 195. 198. 199. 200

–ث،ر،ق،ك،م–

–ثقيف. (2).65.

–ربيعة. (4). 109. 133. 169. 185.

–قضاة. (1).170.

–كندة. (2). 74. 116.

–مضر. (9).48. 164. 183. 186. 192.

## فهرس الموضوعات


**المقدمة**..... **15-6**

**الفصل التمهيدي** ..... **28-16**

**الفصل الأول: ثورات الشيعـــــــة**..... **89-29**

**أولاً: ثورة الحسين**..... 31

أسباب الثورة..... 31

**برنامج ثورة الحسين**..... 40

سير تنفيذ البرنامج والثورة ..... 44

نتائج ثورة الحسين..... 48

**ثانياً: ثورة التوابين**..... 53

أسباب الثورة..... 54

برنامج ثورة التوابين..... 57

سير تنفيذ البرنامج..... 59

نتائج ثورة التوابين..... 62

**ثالثاً:ثورة المختار**..... 64

أسباب الثورة..... 65

الثورة على العصبية القبلية ..... 65

الثأر من قتلة الحسين..... 66

برنامج ثورة المختار..... 66

سير تنفيذ البرنامج والثورة ..... 72

نتائج ثورة المختار..... 74

**رابعاً:ثورة زيد بن عليّ**..... 78

أسباب ثورة زيد بن عليّ..... 78

برنامج حركة زيد بن عليّ..... 80

سير تنفيذ البرنامج والثورة..... 85

نتائج ثورة زيد..... 87

**الفـــصل الثاني: ثورات القراء والفقهاء**..... 151-90

أولاً: ثورة عبد الله بن الزبير..... 92

أسباب الثورة..... 93


جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الثورة على توريث الخلافة..... 93
انتهاك حرمة المدينة..... 97
شغور منصب الخلافة..... 97
الثورة على السياسة المتشددة والعصبية القبلية..... 99
**برنامج ثورة ابن الزبير**..... 101
الدعوة إلى الخلافة والقيام بأركانها..... 101
استعادة المكانة السياسية للحجاز..... 102
رفض بيعة يزيد و ربط ولاية الخلافة بشروطها الأصلية..... 103
الدعوة إلى الإصلاح..... 104
**سير تنفيذ البرنامج والثورة**..... 106
**نتائج الثورة**..... 110
النتائج الاجتماعية والاقتصادية..... 110
النتائج الدينية..... 111
النتائج السياسية..... 111
**ثانيا: ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي**..... 115
أسباب الثورة..... 115
برنامج الثورة..... 124
سير تنفيذ البرنامج والثورة ..... 129
نتائج حركة ابن الأشعث..... 134
**ثالثا: ثورة يزيد بن المهلب**..... 137
أسباب الثورة..... 138
برنامج ثورة زيد..... 143
سير تنفيذ البرنامج..... 146
نتائج ثورة زيد..... 149
**الفصل الثالث:الدعوة العباسية**..... 152-195
أسباب الدعوة..... 154
برنامج الدعوة العباسية..... 169
سير تنفيذ برنامج الدعوة العباسية..... 178
مراحل الدعوة..... 179

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

دور أبي مسلم الخراساني في الدعوة العباسية ..... 180
إظهار الدعوة العباسية بخراسان وموقف مروان بن محمد منها ..... 183
اعتقال إبراهيم بن محمد ومقتله وإظهار الخلافة العباسية..... 187
معركة الزاب 132هـ/750م نهاية الدولة الأموية ..... 189
نتائج الدعوة العباسية..... 182
**الخاتمة**..... 196
**قائمة المصادر والمراجع**..... 199
**الفهارس**..... **208**
**فهرس الأعلام**..... 209
**فهرس الأماكن**..... 214
**فهرس القبائل والأمم**..... 216
**فهرس الموضوعات**..... 217

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية